

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT

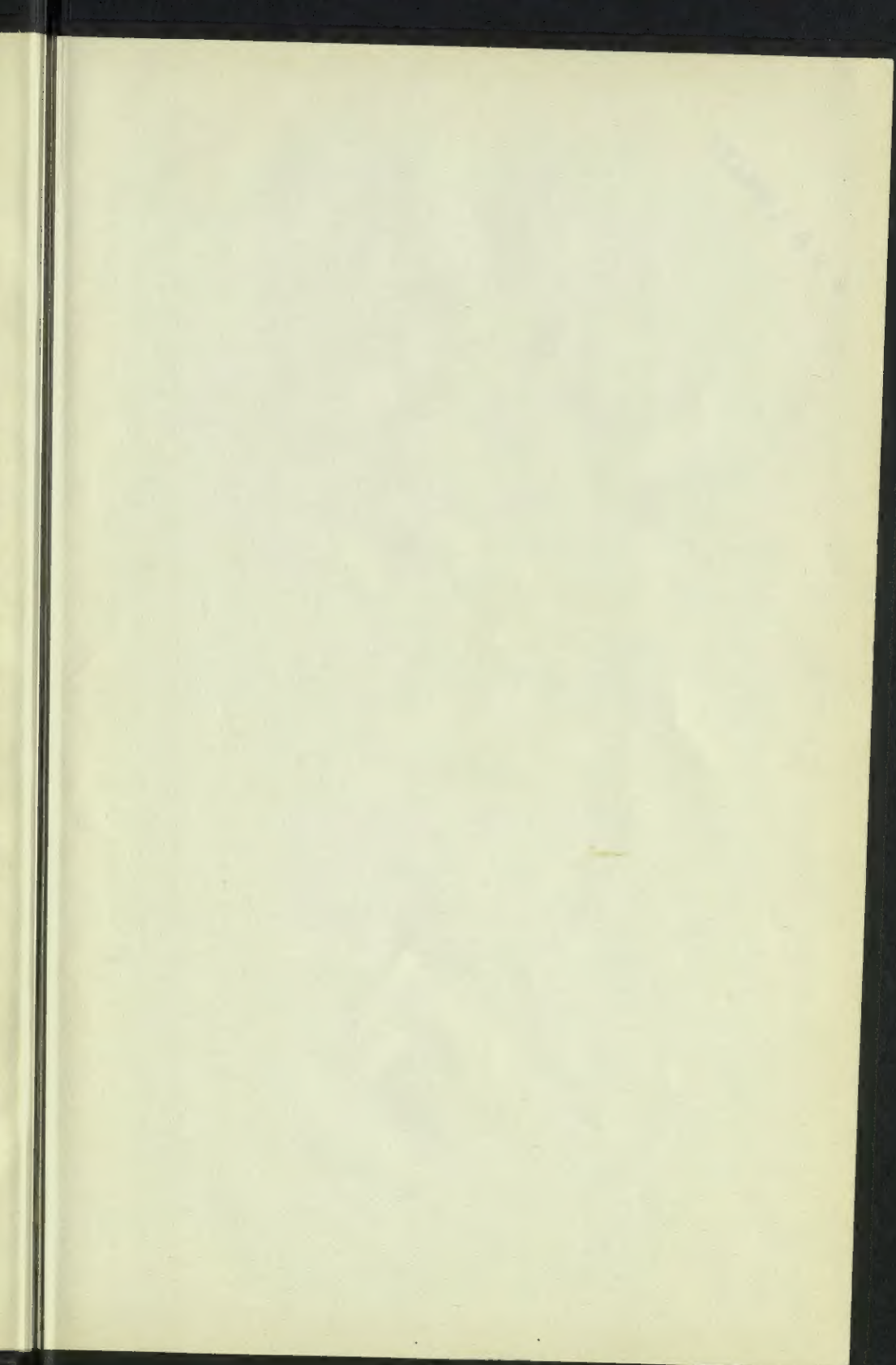


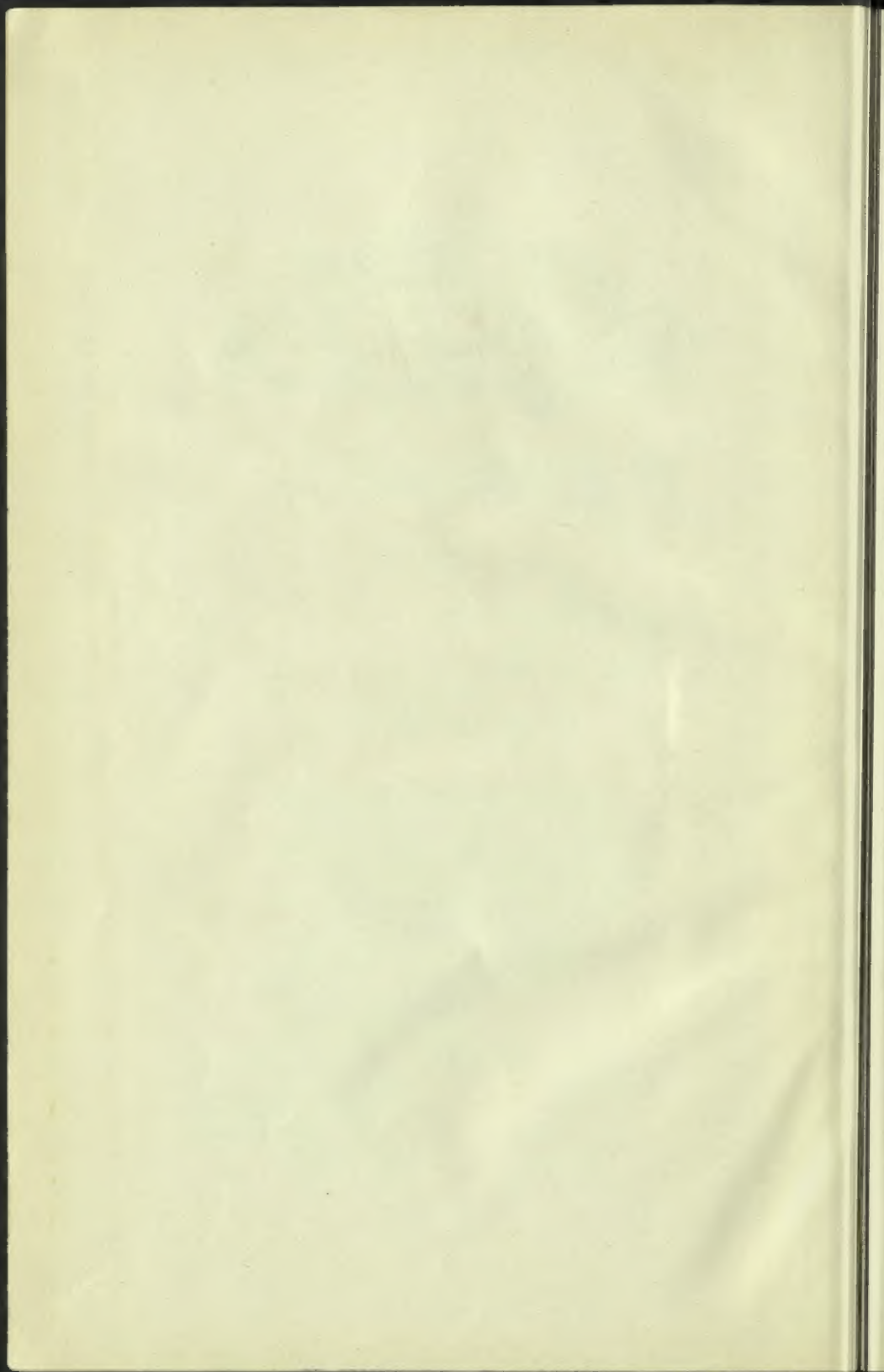


A. U. B. LIBRARY

تجليد صالح الدقر

تلفون ٢٢٢٩٧٧





Replacement. Cat. Nov. 1942



177.6  
I 134A  
C.1

كتاب الحب والجمال

طوق الحمامة  
في الألف والألف

تأليف

الامام ابى محمد علي بن حزم الاندلسي  
المتوفي سنة ٤٥٦ هـ

عنيت بنشره

مكتبة عرفت بمشون

٥

58589

مطبعة البرهان  
١٣٤٩/١١/٢٠

Replacement. Cat. Nov. 1942.



23232





﴿ كلمة الناشر ﴾

كان اول معرفتي بطوق الحماسة ان رأيت في مكتبة المجمع العلمي العربي ، فرأيت خير كتاب في وصف الحب ، ودرس ادواره ، وتحليل حوادثه ، واحسن اثر في تراثنا الادبي ثبت للناس ان في ادبائنا من اوتي ملكة التحليل النفسي ، ومن استطاع ان يفهم الحب قبل عشرة قرون كما يفهمه الادباء اليوم ، وعجبت منا ومن هؤلاء المستشرقين كيف عنوانه ، ونشروه وخدموه ، وجهلناه ثم حسبناه كتاب دعارة ومجون فنلنا منه وعرضنا بصاحبه ، ورأيت انه من العار علينا ان يكون الكتاب لنا ثم ينشر في كل لغات الناس قبل ان ينشر بيننا ، ولا نزاع في ان المكتبة العربية لم تغلق على كتاب مثله في فنه ، فغزمت على نشره ليرى ادباؤنا عظمة الادب العربي وعلو ما وصل اليه ، من غير ان تضرهم قراءته في اخلاقهم شيئاً ، بل انه سينفعهم حين يتحول ابن حزم الى واعظ تقي في فصليه الاخيرين : قبح المعصية ، وفضل التعفف ، وسيرون فيها ما ينفرهم من الرذيلة ، ويجب اليهم مكارم الاخلاق ويبعدهم عن دركات الشر والهلاك فيعملون ان في نشره ابتاء الفضيلة وهدم الفساد وعلى الله التوكل

### فقرات

مقتبسة من مقدمة الناشر الاول د. ك. يتروف  
الاستاذ في الجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ (\*)

الاستاذ يتروف هو الرجل الذي استطاع ان يخرج للناس هذا الكتاب القيم ، وقد كاد يضيع فلا يبقى له من اثر ، وقد صدره بمقدمة طويلة ملأت اربع واربعين صفحة بالحرف الفرنسي الدقيق استهلها بشكر من ساعده على نشر الكتاب ، من رجال الادب ومعاهده ولاسيا مجمع العلوم ومعهد الآداب في بطرسبرغ ، ومكتبة جامعة لايد

ثم اهدى الكتاب الى البارون فيكتور روزن...

ثم شرع في ددس الكتاب وصرح انه يختص بهذا المدرس القراء الذين لا يعرفون العربية ، فلم تر لترجمته كبير حاجة ، وانما اخترنا منه هذه الفقرات التي تبين لنا مقدار الجهد الذي يصرفه المستشرقون في سبيل نشر تراثنا العلمي والادبي وتطلعنا على مبلغ اهتمامهم بهذا الكتاب الذي يعد بحق من الاسفار الادبية النادرة المثال عند جميع الامم  
قال الاستاذ :

لم يكن كتاب ابن حزم الموسوم بطوق الحمامة معروفاً قبل ان ينشر دوزي في مجموعته لآثار لايد قطعاً منه صغيرة ، ويخصص له بضع صفحات من كتابه ، تاريخ الاسلام في اسبانيا ، يترجم فيها بعضاً من حوادث ابن حزم العاطفية وما كان من حبه العذري ، وقد خدمه دوزي وعرف به الناس  
ولكن هذا المستشرق لم يشأ او لم يستطع ان ينشر اصله العربي ، فقام من

---

(\*) طبع الدكتور يتروف طوق الحمامة سنة ١٩١٤ في مطبعة بريل في مدينة ليدن

بعده فرنسيسكو بون بواغ يريد تحقيق هذه الامنية التي اوضحها وبين عزمه عليها لكثير من اصدقائه ، والتي مهد اليها بمحاولته تحليل الكتاب تحليلًا عامًا وترجمة فهرسته في مقالة نشرها سنة ١٨٩٩ عن كتاب الملل والنحل ولكن المنية عاجلته ولنا يقدر على تحقيقها

ولم يكن في العالم الا نسخة واحدة من كتاب الطوق محفوظة في مجموعة قارتر في لايد وهي كراس مجلد عدد صفحاته ٢١٦ واسطر كل صفحة تتراوح بين العشر والخمسة عشر سطرًا ، واضح الخط مشكول الشعر ، بين العناوين ، والحبر الاحمر مستفيض في اكثرها ، والناسخ يقط جداً لا يخونه قلمه الا نادراً ، وما الغموض (١) الذي يرى في الطوق الامن الاصل والمعنى لامن الخط والنسخ ولكنها ليست بنسخة المؤلف ، وتاريخ نسخها متأخر عن عصره لانها نسخت في سنة ٧٣٨ للهجرة اي في سنة ١٣٣٧ للميلاد بقلم ناسخ مولع بها ، فرح بقدرته على اكمالها ، ثم ان الاسطر الاخيرة من الصفحة ١٧٦ تدلنا على ان كاتباً لم نعرف اسمه عمد الى اختصار الطوق وبجازه ، واختيار قسم من منظومه الجيد ، ولكنه قصر في هذه ايضا ، فلم يثبت في اكثر الاحيان الا سطر البيت ، فنتج من هذا ان الاصل الصحيح للطوق ، لم يصل الينا ونحن نهمل كون الكاتب صرف جهده الادبي الى نسختنا هذه ، او الى نسخة غيرها او الى ثالثة هي اقدم عهداً منهما

ثم قال الاستاذ :

كان ابن حزم فيلسوفاً ومتألفاً ومؤرخاً وعالماً اخلاقياً وكان له اثره العظيم في تاريخ بلاده ، فترك لنا في كتابه طوق الحمامة مرآة جلية تبدو فيها هذه

---

(١) بذلنا غاية جهدنا في اصلاح الغامض وتصحيح التصحيف وتركنا ما لم

نهتد الى صوابه على علته ونهنا اليه



المواهب على اكملها ، وتتضح فيها مشاهد ذكائه الفنية ، وتظهر لنا فيها نواح عديدة من نفسه ، وهو فوق هذا مرب ، ذو بصيرة وقادة وانتباه عظيم وقصصي ماهر وشاعر لطيف ، وله أحياناً ذوق الناقد الادبي البصير ، مدقق في عادات المعاصرين شريف النفس ، مستقيم السيرة ، اما كتابه فحجم الافكار ، واضح الاسلوب ، لذيذ متع .

ثم عمد الاستاذ الى بيان فصول الكتاب مما يعني عن ايراده الفهرس ، وعرض الاستاذ في بيانه هذا بتخصيص ابن حزم فصلين من كتابه للكلام على قبح المعصية وفضل التعفف ، ثم تكلم عن تغيير ابن حزم لهذه الحطة التي اختطها لنفسه ووجد له العذر في ذلك فقال :

وقد رجح ابن حزم — كما قال — تصوير الحب ، من مبدأ امره الى ان ينتهي بالموت ، وتقيب ذلك بصفات مبينة له كالتى ذكرها عن الزاني ' فخرج على ترتيبه ولكنه ارانا سير الحب الطبيعي وعوارضه ، وكشف لنا عن هنائه وشقائه ثم بدأ الاستاذ بدرس للكتاب ، لاجدو ان يكون تلخيصاً له فيبد — كما قال هو — من لا اطلاع له على الاصل العربي ' وليس له كبير نفع لقرائت فضربنا عنه صفحاً



( ترجمة المؤلف )

مأخوذة من نفح الطيب وابن خلكان ومعجم الادباء واخبار الحكماء ودائرة  
المعارف لوجدي ، والاعلام للأستاذ الزركلي

نسبه

هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف  
ابن معد ان ابن صفيان بن يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب  
ابن امية بن عبد شمس الأموي

وطنه

اصل آباءه من قرية اقليم الرواية من كورة نبله من غرب الاندلس واول  
من دخل الاندلس من اجداده خلف

مولده

وكان مولده بقرطبة آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٣ وكان ابوه ابو  
عمرو احمد بن سعيد احد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن ابي  
عامر لابنه المظفر بعده

حياته

كان مترجماً وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله ثم هام المعتد بالله ثم نبذ هذه  
الطريقة واقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن واوغل في الاستكثار من  
علوم الشريعة حتي نال منها ما لم ينله احد قط بالاندلس قبله وقد ناظر الباجي

شارح الموطأ فقال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقتديل بائت لسوق ، فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لالك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ماتعلمه وماذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فاحممه

### مؤلفاته

وله مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد ومعظمها في اصول الفقه وفروعه وقد روى عن ابنه الفضل المكنى ابا رافع ان تأليفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب نحو اربعائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة قال ياقوت وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً

### نكته

وكان يحمل علمه ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل باسراؤه واستناد على العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده ( لتبينته للناس ولا تكتمونه ) فنفرت عنه القلوب وابتعد عن وطنه وتوغل في البادية سنة ٤٥٦ هـ وهو في ذلك بيت علمه في العامة وبفقههم . ومما نكب فيه حرق مؤلفاته في حياته وتمزيقها علانية من قبل اعدائه وفي ذلك يقول :

وان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري  
يسير معي حيث استقلت ركائي وينزل ان انزل ويدفن في قبري  
دعوني من اطراق رق وكاعدا وقولوا بعم كي يرى الناس من يدري  
والا فعودوا في المكاتب بداء فكم هون ما تبغون لله من ستر



وله من قصيدة يخاطب بها حساده :  
انا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي ان مطلعني الغرب  
ولو اتيت من جانب الشرق طالع لجد على ماضع من ذكرني النهب  
الى ان قال :

هناك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب  
وان مكاناً ضاق عني لضيق على انه فيح مهامه سهب  
وان رجلاً ضيعوني لضيع وان زماناً لم ائل خصبه جذب

### طوق الحمامة

ولم يتعرض لذكر طوق الحمامة من مؤلفاته من ترجموه غير المقرئ في نفع  
الطيب حيث قال : قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوماً هو وابو عمر  
ابن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الخطابين بمدينة اشبيلية فلقيهما شاب حسن  
الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم تر الا الوجه فلعل  
ماسترته اثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالاً :

وذي عدل في من سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول  
أمن اجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدرك كيف الجسم انت عليل  
فقلت له أسرفت في اللوم فأتد فعندي رد لو اشاء طويل  
أم تر اني ظاهري وانني على ما ارى حتى يقوم دليل  
وقد ذكر هذا الكتاب ابن القيم الجوزية في كتابه روضة المحبين في  
غير ما موضع

### اقوال العلماء فيه

قال ابن صاعد وفيه قال ابو العباس العريف كان لسان ابن حزم وسيف  
الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين

— ي —

وقال الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ما رأينا مثله فيها اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه

وقال بن بشكوال في حقه كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار

وقال الذهبي : وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل العربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً لابي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه

وقال ابو مروان بن حيان : كان ابو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق باذيال الادب مع المشاركة في كثير من انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله في ذلك كتب كثيرة

خاتمة

هذا طرف من سيرة هذا الامام الكبير ، والوزير الخطير ، ترى منها صفاء نفسه ، ورقة شعوره ، وعلو همته ، وشدة مراسه ، وثبات اعتقاده ، وقوة يقينه ، وتعلم انه بهذه المواهب النادرة استطاع ان يكون وزيراً بارعاً في السياسة ومؤلفاً بارعاً في الادب ، وفقهاً اماماً في المذهب ومناضلاً ثابتاً في النضال ، رحمه الله وغفر له .

دمشق : غرة ذي الحجة ١٣٤٩

محمد بن الحسين بن محمد

## مقدمة

بقلم الشاعر العربي الكبير الاستاذ البزم

ماوفق البشر وان يوفق الى خدعة اطرف ولا اطرف من خدعة تكريم  
العطاء وتعظيم النابغين والتنبؤ بذكرهم ودلالة الناس على سر عظمتهم والرفع  
من اقدارهم الى حيث ينالون بعض مايجب لهم من لهج الناس بهم والحرص  
على ما أسأروه من آثار قيمة ومتاع باق مستقر  
ولهذا ما نراه ونسمع به من اقامة المہارج والاحتفال في عقد المواسم ورفع  
النصب والتماثيل والحفاوة باخراج الكتب بتراجم الرجال واحوال العبقريين  
فرادى ومجتمعين

وسواء أكان النابغ فاتحاً قدف بنفسه في لهوات الموت في الذود عن امته  
او عالماً أذاب مهجته في مہج الحنادس وقضى دهره بالاستنباط والتأليف او مخترعاً  
وقف عمره على نفع ابناء جلدته او الانسانية جمعاء ، او شاعراً سكب روحه دموعاً  
ونفسه حبرات واراق دمه بغرات بل شعر يبقى بقاء الدهر ويجري جريان  
الفلک ، فان للأمة من تكريمه والصعود بشأنه غاية واحدة لا تعدى  
الارتفاق بما تركه لها من تراث . ولا فرق عندها ان يكون هذا التراث سيرة  
او علماً ، اختراعاً او شعراً ، او اي شيء غير ذلك مما يعود عليها بالنفع

وقد تنذرع الأمة بنفسها فيذهب بها الظن الى ان تحفيها بنابقها ان هو الا  
الارحية المهيمنة وهزة الكرم الغالبة في حين ان من تنفى بشأنه وتشيد بذائع  
صيته كثيراً ما يكون ممن اوسعهم مقناً وهجراناً وطوت كشحها عنهم جفاء واعراضاً



فلم ينالوا من برها الا انهم نجوا بعض النجاة من كيدها وعدوانها اذ لم تكن  
البشارة قتلهم الا بغمطها حقوقهم والانصراف عنهم والتلوي بمن لا يعلق بفبارهم  
حتى اذا مات احدهم بحسرتة حثف أنفه تلك الميتة البائسة الشقية وقبض الله  
له من نظرائه البائسين او غير البائسين من يجمع اخباره ويدون أحواله ويشير  
الى القيم من آثازه ليحله التاريخ من صدره مكاناً رجباً ومقعد صدق مكين  
ثم استمر الفلك في دورته والايام في تقلبها ، واعتورت الامة الاحداث ومست  
الحاجة الى الارتفاق بما ترك ذلك النافع هبت الامة او نفر منها تعلل من امره  
وتحجى ما كاد يندثر من ارثه . وهذا لا يكون منها على الغالب الا بعد ان تطمئن  
من انه امسى سراً مكتماً بين ثنايا التراب ونهباً مقسماً في احتشاء ديدان  
الارض . اي لاتفعل هذا شيء من العطف عليه او الحير تريده له بل لتشير  
به الهمم وتحرك النفوس وتبعث في بعض القلوب نار التأسي وحرارة حب الاقتداء  
فلا تعدم من ابتائها على وجه الدهر وكر الاعصار رهطاً يهود بنفسه على  
التفادي في سبيلها في ناحية من نواحي الحياة

واكبر فائدة تحجى من كتب التراجم أو التاريخ على الجملة هي ان يكون  
للعظمة سبيل لا ينفو رسماً ولا تمجى معالماً فلا يعدم طالب المجد في كل امة من  
مختلف الشعوب من نظرة في كتب التاريخ تكون له نبراساً فيما يطمح اليه  
وفرقداً وضاً ، يميز له طريق ما يقتحمه ويسمو اليه فيأمن العثرة ويتجنب  
مواطيء الكبوة

ولو كان لكل امة ان تفاخر بمن مضى من رجالها المعبرين ، وافذاذاها  
الغابرين . وانتهى الامر لهذه الامة العربية لكان لها من عظمتها ونوابها العدد  
الدثر والحظ الاوفر ولنالت القدح الملى والمكان الارفع بين امم الارض  
وقد جرت السنة ، ونعم السنة ماجرت ، ان تعاد الكرة بالتنبية على قدر  
كل عظيم عندما يراد الاتفاق بشيء مما نسجته بنسائه ، او قذف به خاطره .

وابن حزم ، ولا كفران ، في الذروة من اولئك الذين يجب ان تستأثر بهم همم  
النافعين وتحرك بذكرهم عبقرية المبقرين . وان من بعض الوفاء للتاريخ والعلم  
لا لابن حزم ، ان تعرض على الناس من ابن حزم صورة صادقة بقدر ماتتفرج  
لنا مسافة القول في هذه الكلمة الموجزة نجلو بها من حقيقة امره وكنه ذاته  
ما يغري مطالع كتابه هذا بان يتبع كل أثر من آثاره ، وما اكثرت هذه الآثار  
وأعرقها بالبقاء لو رفقت بها او أبقّت على مجموعها يد الدهر العاتية

لم يستطع احد ممن تكلم عن ابن حزم ان يصعد بنا الى القمة التي تربع  
ذروتها ، واحتل قبتها كما انهم عجزوا بعض العجز او كله عن ان يأخذوا بيد  
قاريء ترجمته الى حيث يجب ان يقف من اعظام الرجل واكباره . وكأنه هو  
لما رأى بوادر ذلك من اهل دهره في اقليمه لم يشأ ان يحرمنا من نفثات  
يعرفنا بها بعض ما خشي ان يغمطه بعد الموت ، فمن تلك النفثات هذه النقطه  
وفيهما صورة بينة تشير الى حرقة متأججة ، وحسرة صالية على ماسلبه الدهر من  
مكانة ، وحرمة من علو . قال :

انا العلق الذي لا عيب فيه    سوى بلدي واني غير طاري  
تقر لي العراق ومن يلها    واهل الارض الا اهل داري  
طووا حسداً على اب وفهم    وعلم ما يشق له غباري  
فهما طار في الآفاق ذكرى    فما سطع الدخان بغير نار

ولولا ما مني به من علماء عصره ، وشهرهم الحرب عليه وانهاء هذه الحرب  
بتراجعه بعد احراق كتبه وفراقه قرطبة مهد عزه ، ومثوى عظمته ومثار عبقريته  
ونبوغه ، الى موطن اجداده حيث قضى ولولا انه كان جريئاً متمرداً على  
الاقدمين ، نقاداً وثاباً على غير المخلص من العلماء ، من حاضر او ماض ، صلب  
العريكة ، صعب المقادة ، صلباً فيما ترجى فيه الهوادة ويطلب اللين يحمل بين  
فكيه    اللسان المضرب الذي قيل فيه ، انه شقيق سيف الحجاج ، لكان

ابن حزم في الاندلس بلا نزاع صخرة واديتها وحجر الارض فيها ورجل الدهر في عامة امصارها ، ولقد سامت الحق او واشكته من قال : ان ابن حزم كان يجهل سياسة العلم لانه كان يجادل من خالفه على استرسال في طباعه وبذل بأسراره ، ولم يكن يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يرقه بتدريج بل كان يصك معارضه به صك الجندل ، وينشق متلفعه انشاق الخردل . فنفر عنه القلوب وألب عليه الخصوم

وناهيك برجل ينشأ في مقاصير الغر والزراء ، على عروش الحكم واسرة المجد يتردد من نباه وعلمه ورتبته عند السلطان بين عرش يحمله ربه وسرير يمتطي صهوته متقلباً على طنافس النعيم ونمازق السعادة يشمخ بانفه عن الوزارة وينأى بطرفه عن حجة الملوك فلا يرى متعة لنفسه الا السعي وراء العلم للعلم . فلا يزال يسمو ويرتقي ويقرأ ويكتب ويؤلف على منابر الذهب والفضة ، على ما في الجدة والنعيم من مشغلة عن العلم ، حتى يكون له من التأليف ما لا يكون لرجل غيره في العرب قاطبة الا ابن جرير الطبري في المشرق ، ولو انصفه رجال دهره ورزق شيئاً من اللين فيما يصدع به من امره وما يحاوله من اصلاح في الدين والعلم لانضوى تحت لوائه كل حامل محبرة او عمل في علم ودين

رجل هذا شأنه يطلب اليه احد اهل معرفته ان يضع له كتاباً في الحب على بعد مكانه وسمو مكاتته عن الكلام في الحب . فلا يعدم من كرم خيمه ، ورقة طبعه أريحية مضطربة ، وقريحة مطواعة ، وخاطراً سمحاً وقلماً يرسل من بين شقيه شؤبواً من جزل القول ورصينه يتدع ذلك ابتداءً ، ويرتجله ارتجالاً من غير سابق عهد به او أثر يجري عليه ويحتذي حذوه . واني لا عجب مهما ترفعت عن العجب لهذه النفس ، نفس ابن حزم الدائبة المكلومة بسهام الصبوة العفة بل الروح الخضلة الندية بماء الشغف والشوق تلك الروح الناعمة التي صقلتها رحمة الحب الطاهر وثققتها نار الكلف بالجمال . كيف تحدثك اصدق



الخبر عما كان لها وعليها في غابر دهرها وعنفوان شرخها ، وتقضي اليك بان كان لها الحظ الاوفر من احترام ماخطته بنان الخالق من حسن وجمال ، وما وقعت على صفحة الوجود من يدبغ الصور . ذلك الاحترام الطاهر من درن الرية كما اراد ان يدلنا عليه في اول كتابه وآخره حيث قال : وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن رآها علي اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه ، فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر واكثر ذلك « فان اخواني يحشموني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم » ثم بعد شيء من وصف شأن الحب يقول « واني لأعرف هذا واتقنه ومع هذا يعلم الله وكفى به عليا اني بريء الساحة ، سليم الاديم ، صحيح البشرة ، نقي الحجرة » ويدخله الجزع فيرجع فيقول في آخر الكتاب : « وانا اعلم انه سينكر علي بعض المتعصين تأليني لئلا هذا ويقول : انه خالف طريقته وتجاوى عن وجهته ، وما أحل لاحد ان يظن في غير ماقصده

الـ حب قديم والبشر (ان لم نقل الحيوان) نتيجة من نتائجها وقد عرفه الانسان قبل ان يعرف الكلام فهو رفيق البشر منذ طفولة البشرية والكلام فيه يرجع الى العهد الذي اخذ الانسان يعبر فيه عما يخامره من نوازع نفسه ومضطرب فؤاده وقد كان نصيب الامم من الاجادة في نعته والكلام عليه اكثرأ واقلا لا تابعا لحظها منه وعلاقته من ارواحها ونفوسها ولقدار مآلديها من صفاء القرائح وقوة الطباع على القول والوصف والتخيل

والامة العربية احدى الامم التي كثر حظها من الحب ونصيها من الكلام في شأنه لركة طباعها ولين عواطفها وتجاوى اكبادها عن الغلظة وقلوبها عن القسوة الا في بعض مواطن الغضب لما يوجه الذود عن الاعراض والنفوس ، فقد عرف العرب الحب وتغنوا في تعريفه ونعته ووصفه حتى صار الشغل الشاغل

للجم الكثير ممن وهب قوة القول منهم سواء في ذلك الشاعر والنثر والعالم والفقيه والمحدث والمتصوف والحكيم

وقد اوسعوا له من لغتهم سعة تدل على مكانه من نفوسهم ومكانهم من الفلسفة الفطرية ومقدار مابديهم من الخلابة والاقناع فلو جمع ماخصوه به من الشعر والنثر المبثوث هنا وهناك من كتب الادب والتاريخ والاجتماع لضاقت عنه ضخام الاجلاد مما لم تستطع فلسفة القرن العشرين اي الفلسفة الحديثة بما دعمها من فن وعلم وما تقدمها من فلسفات ان تريد عليه شيئاً يذكر

وقف العرب من لغتهم للحب طائفة بل طوائف من الالفاظ تغدو وتروح بين اسم له او صفة تلازمه او حال ينتهي اليها هو او من وحل به وتورط في هوته مما لم تتسع للوجود به عين لغة من لغات البشر وقد اتي على معظم ذلك ابو بكر ابن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين فكان ما جمعه من ذلك خمسين لفظة تعدها بالشرح وتفقدتها بالتحقيق والتدقيق مثل الحب والعشق، والشوق والهوى، والصبابة والشغف، والملة والوجد، والكلف واللوعة، والتيم والغرام. مما يحمل الوقوف عليه بكل ذي اربة يود ان يعرف ما لاجداده العرب من خواطر ماهمة واحوزية خارقة

ومهما قال القائلون في الحب فلن يتجاوزوا في الدنو من اصابة المرمى، والوقوف على ما يشبه الحق قول ابن سقاء الكوفة احمد بن الحسين المتبي اذ قال :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني اسلم  
ولم يقصر عنه في الاحسان من قال :

يقول اناس لو نمت لنا الهوى فوالله ما ادري لهم كيف انعت

فليس لشيء منه جد احده وليس لشيء منه وقت موقت

وما اصدق قول احد العرب واجله واجمه واوجزه وقد وشي اليه بان ابنه

— ف —

يحب فقال : دعوه فانه يلطف وينظف ويظرف . وقال احد الفلاسفة : لم أر  
حقاً أشبه باطل ولا باطلاً أشبه بحق من العشق : هزله جد وجده هزل وأوله  
لعب وآخره عطب ، وقيل لأبي زهير المديني ما العشق فقال : الجنون والذل ،  
وهوداء اهل الظرف وما احسن قول الشاعر :

لقد انت لم تعشق ولم تدرك ما الهوى فكأن حجراً من يابس الصخر جليداً  
وقول الآخر :

( وما سرني اني خلي من الهوى ولو ان لي ما بين شرق ومغرب  
ولآخر :

( وما احببتها فحشا ولكن رأيت الحب اخلاق الكرام  
وسأل المأمون يحيى بن اكرم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسبح للمرء  
فيهم بها قلبه وتؤثرها نفسه وكان ثمة بن اشرس حاضراً فقال اسكت يا يحيى  
انما عليك ان تحب في مسألة طلاق او محرم صاد ظيماً او قتل ثمة فاما هذه  
فمائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمة فقال : العشق جليس تمتع واليف مؤنس  
وصاحب ملك مسالكة لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائزة ملك الابدان  
وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها واعطي عنان طاعتها وقود  
تصرفها توارى عن الابصار مدخله وعمي في القلوب مسلكه فقال له المأمون  
احسنت والله يا ثمة وامر له بانث دينار

وكلام الناس في الحب على اختلاف أصقاعهم وتناهي اقاليمهم وتباين اجناسهم  
يكاد يكون متفجراً من معين واحد لان الحب واحد والبشر فيه سواسية وهو  
« حق لا يجوز ان يحرم احد منه » فقد يقذف الشرقي الكلمة في شأن من  
شؤون الحب فتجيء وفق كلمة قالها الغربي كأن الكلمتين صدرتا عن ضمير  
واحد ، فما يجري هذا المجرى ويسلك هذا النهج من الاتفاق ان احدى محاكم  
فرنسا وضعت قانوناً للحب جاء فيه ، ولعله احسن ما فيه : « كل عمل يعمل به الحب

ينتهي بالتفكر في حبيبه » وهو معنى عرض لكثير عزة قبل اثني عشر قرناً  
وزيادة في حال وقعت له تراء بيناً في الثالث من هذه الايات قال :

سهلك في الدنيا شقيق عليك اذا غاله من حادث الدهر غائله  
يود بان يمسي سقيماً لعلها اذا سمعت عنه بشكوى ترسله  
ويرتاح المعروف في طلب العلى لتحمد يوماً عند عز شمائله

وقد اراد الديقب الى معنى البيت الاخير السيد توفيق البكري صاحب كتاب  
صهاريج اللؤلؤ فضل الطريق واخفق في ستر الاختلاس فانزعج انتزاعاً شائئاً  
مع بعض الاحسان بزيادة المعنى فقال :

واطلب المجد والمكر مات لتحسن لي شيمة عندك

وقيح بنا الانشاطر القادي لذة القصة التي دعت كثيراً لارتجال الايات  
الثلاثة وهي من غرائب الاتفاق وطرائف قصص العرب وذلك انه كان لكثير  
غلام يتجر على العرب فاعطى النساء الى اجل فلما اقتضى ماله منهن وفيهن  
عزة ماطلته فقال لها يوماً وقد حضرت في نساء ، اما آن ان تقي بما عندك  
فقلت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول :

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة مطول معنى غريمها

وهو بيت مشهور من قصيدة لكثير بحبيته عزة هذه فقلن له أتدري من  
غريمك فقال لا فقلن هي والله عزة فقال اشهدكن على انها في حل لما عندها  
ومضي واخبر كثيراً بالحكاية فقال : وانت حر وما عندك لك وكان ماوجه اياه  
الف دينار وانشد الايات المتقدمة وفيها من الصراحة مايفر منه اكثر الناس وهو  
ان ما اتاه بفعله هذا وما حرص ويحرص عليه من استجاع انواع المكارم وضروب  
الحامد ان هو الا لينتهي اليها ويقرعه سمها

وطوق الحماة ان صح انه اول كتاب اخرج للناس في الحب فهو على  
كثرة ما ألف بعده في موضوعه لا يزال ينفرد بمحاسن ويتصم بخصائص تقضي



له بالسكانة العليا بين هذه الكتب فمن ذلك المامه ببعض ما يتفاهم به المتحابون  
وتعريجه على الخوض في معرفة سياسة الحب وما يلزم الوحل فيه من حذر  
واحتراس وعطفه على التماس العلة في ان النساء اكثر تعرضاً للحب واشد اشتغالا  
به من الرجال لكثرة فراغ النساء وزيادة مشاغل الرجال ، ولست بواجد عند  
احد ممن الف في الحب مثل قول ابن حزم في باب الهجر عن هية المحبوب  
وما تبلغه الذلة من العاشق امام المعشوق كما انه قد زره كتابه عن كثير مما شان  
يه المؤلفون في الحب كتبهم من اوهام وابطال فانك لا ترى في طوق الحمامة شيئاً مما  
شحن به صاحب تزيين الاسواق كتابه من الخرافات السمجة والاوهام المستبشرة  
وما تظرف به بحان الشعراء من ادعاء عشق الحيوان ووضعهم الشعر عن لسان  
العشاق من الحمير وغيرها مثل الزاغ !! فهو يعتذر في اول الكتاب عن ترك  
ما هو اولى من هذا بالتدوين فيقول : « ودعني من اخبار الاعراب والمتقدمين  
فسيبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت عنهم الاخبار وما مذهبي ان اضي مطية سواي  
ولا اتحلى بحلي مستعار »

وان في هذا الاسم طوق الحمامة من الخيال والشعر والجلابة والحسن  
والنعومة والطراوة ما يشعرك بان الاندلسيين قد بلغوا من التأنق والتنطع في  
انتقاء الالفاظ واستخدامها والتصرف بها في وجوه التسمية حداً كادوا ان  
يبروا به على من تحدوهم وجروا على آثارهم من البغادة والمشاركة وسيمر بك  
مما يدل على حذق الاندلسيين هذا الشيء الكثير امثال : صبح ، وغزلان  
وخلوة ، ودعجاء ، وطروب ، وواحد ، اسماء لجوار وعجيب اسم لغلام

ومما لا ريب فيه ان عمل ابن حزم في تأليفه هذا انما هو عمل القاب الجريح  
للكبد المصدوعة والروح المثالة للارواح البائسة تجد فيه النفوس من المتعة والسلوة  
ما لا يجده التيم المهجور في التديم المساعد الخلف على الراح . وجيل بنا وقد  
دللنا على بعض محاسن طوق الحمامة ان تناولها بشيء من النقد وان كان انما

كتبها لصديق وانه قد اخذ على نفسه ان لا يبحث فيها الا بما علمه وشاهده  
وحل عنده محل اليقين من نفسه واهل عصره

لم يحسن ابن حزم باقتصاره على شعره في طوق الحمامة فقد قيد نفسه من  
هذا بقيد ضيق عليه المضطرب وثقل من خطاه وقصر من مدى جريه وكف  
من جولانه في طيات الموضوع وكأن ابن حزم لم يكن يريد ان يحشر مع  
الشعراء او يطلع على الناس بديوان شعر اكتفاء بمكاته العلمية وزعامته الدينية  
وصعب عليه ان تثبت يد الضياع بامة شعره فأثر ان يجعل من طوق الحمامة  
مدخراً أميناً وحرزاً مكيئاً على هذا المقدار من شعره

ومهما اخطأ التوفيق ابن حزم بعمله هذا فقد افادنا ما كان يخامره من  
الصبوة الى نظم الشعر والنزعة الى صناعته وانه كان يغالب نفسه ويخالبها في  
صرفها عن الشعر وانه لو لم يكن ذلك الفقيه الكبير والحدث العظيم رجل المنطق  
والكلام وفحل الجدل والمناظرة والبالغ من الفلسفة درجة التجويد لكان الاندلس  
منه شاعر لا يدع الى جانب اسمه ذكراً لشاعر في قطره فضلاً عن ان يختصاره  
على شعره قد حال بينه وبين شيء من الاحسان واقام حاجزاً دون بلوغه  
الغاية المرجوة من امتاع القاريء لانه كثيراً ما يشرع بإيراد خبر فاذا بلغ مكان  
اللذة منه بتره فجأة وحملك على ان تقرأ قطعة شعرية له تشبه ذلك الخبر او تجري  
مجراه ولا تحوي الا شيئاً قليلاً من طرافته ولذته . وخير ما يقال في شعر ابن حزم  
انه صوب قريحة قطن في جوانبها من الفلسفة والفقه والكلام ما يفسد على اكثر  
الشعراء شاعريتهم ولهذا تراه ينحدر في شعره ويسف بقدر ما يترك من قياده  
للفلسفة والكلام يذهبان به ويحيثان في اغراض تلك مرة وما رب هذه اخرى  
ولو نجا من ذلك لجاء من شعره ما يجري مع الطبع ويتقلل في اجزاء النفس  
ويشتد شبهه بكلام العرب ولتل من صباية اهل البادية المزوجة برقة الحضر  
وخنوته وما يتبع هذا من ذل وضرع واستكانة وتهافت على عتبات الخضوع

لساطان الأهوى وجبروت الحب ما لا يقل عن شعر كثير وحيل وابن أبي ربيعة  
وذى الرمة

ولم ينج بن حزم من الوقوع في احاييل الفلسفة في اول كتابه فقد اوشك  
ان يرتبك بعض الارتباك حين قسم اعراض الحب ثم فطن الى ان الحب انما  
هو عرض فجعل ذلك من مجاز اللغة واقامة الصفة مقام الموصوف وهو قول  
مستمد من قول القدماء من ان العرض قد يرتفع الى مقام الجوهر فيكون له  
من الاعراض ما للجوهر وهو قول يتردد بين السفطة والحلاية وقد نظمه احد  
شعراء العرب فقال :

فسد القياس فللمغرام قضية ليست على نهج الحجبى تنقاد

منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عرض وتفتى دونه الاجساد

وخرافة اخرى علق ابن حزم في طوق الحمامة فلم ير لنفسه متدحاً عنها  
وهي ذهاب فلاسفة اليونان الى ان الارواح كانت لها قبل اتصالها بالاجسام  
وهبوطها من عالمها الاول الفة وتمازج وحب فلما بشرت هياكلها من الاجساد  
كان لها من الحنين وتزوع بعضها الى بعض بقدر ما وجدته من شفاقة الاجساد  
ورقتها ولطافتها ومرونتها وقد علق ابن حزم بشرك هذا الوهم واكنه اجاد  
في صوغه وتعليقه ومود له ذخرفاً براقاً منى به الى ما يزلف من الحقيقة كما  
اجاد «معاصره» ابو علي بن سينا في عينيه بالروح وهي قصيدة مشهورة شرحها  
كثيرون ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقد ابح الشعراء من المتصوفة كابن الفارض وغيره يلقبون هذه الفكرة  
ويوردونها على وجود مختلفة يتقنون بها حسب مآلدهم من قوة الشعر، وتقدم  
اجاد وظرف وحسن الخبر ارذى الشاعر في حرك هذه الخرافة فقال :

ولكن ارواح المحيين تلتقي اذا كانت الاجساد عنهن نوّما  
واحسب روحينا من الاصل واحد وامكنه ما بيننا قد تقسما  
ولولم يكن هذا ككذا ما تأملت له مهجتي في الغيب لما تألما  
ولا بن الفارض نظم في هذا المعنى :

بيني وبينك في الحجة نسبة مطوية من قبل هذا العالم  
نحن اللذان تعارفت ارواحنا من قبل خلق الله طينة آدم  
وقد يكون ابن حزم اول من اطل على الناس بمؤلف في الحب الا اذا  
كان ابن سينا في الشرق قد تقدمه بوضع رسالة في العشق لان وفاة ابن حزم  
تأخرت عن وفاة ابن سينا بثمان وعشرين سنة كما ان ابن سينا تقدم ميلاده  
لدة ابن حزم باربعة عشر عاماً ولا اعتقد ان واحداً منهما وقع اليه ما كتبه  
الآخر في الحب يدل على ذلك اختلاف النحى وتباين الجهة في مقصد التأليف  
على ان رسالة الرئيس ابن سينا لا يصح في حال من الاحوال ان تسمى  
تأليفاً وان كان سبب كتابتها الاقتراح كما اقترحت رسالة ابن حزم وان هي  
الافسكرة فلسفية عرضت له كما عرضت لمن تقدمه وتأخر عنه من فلاسفة اليونان  
والاسلام والصوفيين فتكلموا بالفلسفة باسم الحب واستخدموه لاغراضها كما  
استخدم اخوانهم النحاة المنطق لاغراضهم ( لا لاغراض النحو ) فافسدوا النحو  
على العرب كما افسد هؤلاء البحاث الحب فانك لترى ابن سينا على جلالة قدره  
وعلمه يتكلف ويحشم نفسه محاولة اثبات ان العوالم الثلاثة الجماد والنبات والحيوان  
بانواعه خاضعة لقانون الحب مدعنة لناموس تجاذبه فيبلغ في معالجة ذلك وتتبع  
عقله والتماس اسبابه حداً يكاد يشرف منه على السخف وينتهي الى ما يشبه الحق  
( ان صح ان يكون سؤ التقليد سخفاً وحقاً ) ولست بمحاول بهذا ان اضع  
من شأن ابى علي وشأنه في العلم والفلسفة ماهو مشهور ولكنها الجهرة بالحق  
والصدقة بامرء واجبة يقود اليها الاخلاص كما قاد ابن سينا وابن حزم وكلاهما



مأخوذ بعاطفة الدين يخشى ويتذم ويؤثر ان لا يؤثر عنه ما يخذش سمعته او يدفع بعض المتعصين الى النيل من دينه ، فكما عد ابن سينا العشق من وجهته الحيوانية تقيصة وعاراً فقد نقل نقل مثبت واثق ان العقلاء الاكياس يعدون النظر الى الصورة الجميلة فتوة وتطرفاً واستنتاج من هذا ونظاره ان الحب ليس حتماً فيه ان يكون حيوانياً وينتهي به البحث الى ان الحب مهما تخلله من قرب ولمس ان لم تكن الغاية منه الفحش تطرف وفتوة ورجولة ومرؤة وانه حينئذ تكون الصورة الجميلة الحسنة فتمة الاعتدال في التركيب مما يفيد طيباً في الشائل وعدوبة في السجاياء ويجعل من هذا الحديث القائل : اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ، وفي هذا من الاخلاص للعلم ما لم يوفق اليه بل ناصبه وعاداه بعض من الف في الحب وغيرهم ممن اخذ على عاتقه من طريق التحشية والشرح ان ينال من دين الناس نيل متسرع لا يدري من امور الدين الا ظواهر براءة محكومة الجبهة بالثوم فأساء الى الناس والدين وزعم ان بين من يتوهم بهم اتيان الموبقات بين سمع الناس وبصرهم من لا يفهم من الدين بقدر ما يفهم ويؤذنه ويؤذيهم بقوله ان للمتقين مفازاً كأنهم يحولون بينه وبين مفازه او كأنه احرز صكاً بذلك المفاز ذاهلاً عن ان بين هؤلاء من يحمل قلباً يضطرب به من معرفة ذات الله وجوهر الدين ما لا مطمح له ببعضه وان نقاء السرائر وطيب القلوب ليس بالتظاهر والدعوى

وما اشبه كلمة ابن سينا هذه بقول ابن حزم في ماهية الحب وهي : الحب اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالاتها عن ان توصف فلا تدرك حقيقتها الا بالعمارة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ القلوب بيد الله عز وجل

كان ابن حزم رحمه الله تنبأ بما سينشئ بين العلماء من خلاف في اعتبار الحب اختيارياً عند قوم واضطراباً عند آخرين وان الفرقة الاولى ستستنتج

من كونه اختيارياً ما يصح ان يكون سبباً لتحريمه فيؤمنون الناس من الدين في حرج وهم وان اخلصوا في هذا للدين فانهم لم يخلصوا للنفس الذي يكتبون فيه على ان الاخلاص في العلم فطرة لازمة لحاميه والناهضين باعبائه فلا تظن ان احداً ضمت جوانحه على شيء من العلم او اشتملت ترائبه على قليل او كثير مما يسمى فناً الا وفي قلبه جذوة تتوقد وتهيب به ممسكة بمقادته الى الاخلاص طوعاً او كرهاً مهما اعتورت طريقه العثرات واتصب امامه من عقاب الامن كان دخيلاً في العلم دعياً بين ابناؤه

وما دام امد القول في شأن ابن حزم يجب ان يكون قصيراً وحبله مقتضباً عن التطويل فلا بأس ان نخرج الى كلمة ختام يحتما عنايا الاجاز ويدعو اليها المقام ويقضي بها الرفق بالناشر وهو انما طبع كتاباً لا يعوزد اكثر من تعريفه الى قرائه مع شيء من ذكر قيمة مؤلفه وان كان الواجب يقضي علي بان امد في نفس القول كيداً به ونكاية له وطلباً لارهاقه بزيادة نفقة الطبع كما ارهقني وحلاني على الكتابة اشد ما كنت مفتقراً الى الراحة وترك التفكير بيد اني رجعت الى نفسي وفطنت الى ان لا خطر ولا ضرر عليه من هذا مادام القراء هم القائمون بهذه الزيادة في الاتفاق راضين او مكرهين، وهم المستحقون للعقوبة لانهم اصل البلاء ولولاهم لاستراح كثير من القرائح والافلام في هذا العصر . وكفى القراء عقوبة ان لا سبيل لهم الى هذا الكتاب المتع الا عن طريق هذه المقدمة فهي قنطرة لا ينجو من تكلف عبورها الا من يحسن الطفرة ويجيد النزوة، وما اخالهم فاعلين وقد دفعوا ثمنها في جملة ثمن الكتاب .

« محمد البرزم »

( بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين )

قال ابو محمد عفا الله عنه افضل ما ابتدء به حمد الله عز وجل بما هو اهله  
ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة وعلى جميع انبيائه عامة . وبعد عصمنا  
الله واياك من الحيرة ولا حملنا ما لا طاقة لنا به وقبض لنا من جيل عونه دليلاً  
هادياً الى طاعته ووهبنا من توفيقه ادباً صارفاً عن معاصيه ولا وكلنا الى ضعف  
عزائنا وخور قوتنا ووهاء بنيتنا وتلد (١) ارائنا وسؤ اختيارنا وقلة تمييزنا وقساد  
اهوائنا فان كتابك وردني من مدينة المرية الى مسكني بحضرة شاطبة تذكر  
من حسن حالك ما يسرني وحمدت الله عز وجل عليه واستدمت لك واستزدته فيك  
ثم لم البث ان اطلع على شخصك وقصدتني بنفسك على بعد الشقة وتناهي الديار  
وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق وفي دون هذا ما سلى المشتاق  
ونسى الذاكر الا من تمسك بحبل الوفاء مثلك ورعى سالف الازمة (٢) ووكيد  
المودات وحق النشأة ومحبة الصبي وكانت مودته لله تعالى ولقد اثبت الله بيننا  
من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون وكانت مغازيك في كتابك زائدة  
على ما عهده من سائر كتبك ثم كشفت الي باقبالك غرضك واطلعتني على  
مذهبك سجية لم ترل علينا من مشاركتك لي في حلوك ومرك وسرك وجهرك  
يحدوك الود الصحيح الذي اتاك على اضعافه لا ينبغي جزاء غير مقابلته بمثله  
وفي ذلك اقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن امير المؤمنين  
التاصر رحمه الله في كلمة لي طويله وكان لي صديقاً

اودك ودأ ليس فيه غضاضة وبعض مودات الرجال سراب

(١) لدده خيره (٢) اللعام الحق : الحرمة : والجمع ازمة

والمحضتك النصح الصريح وفي الحشى  
فلو كان في روجي هواك اقتلعت  
وما لي غير الود منك ارادة  
اذا حزنه فالارض جمعاء والورى

وكلفتني اعزك الله ان اصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه واسبابه  
واعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا مزيداً ولا مفتناً (١) لكن مورداً  
لما يحضرنى على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حظي وسعة باغي فيما اذكره  
فبادرت (٢) الى مرغوبك ولولا الايجاب لك لما تكلفته فهذا من الفقر والاولى بنا  
مع قصر اعمارنا الا نصرفها الا فيما نرجو به ربح القلب وحسن المآب  
غداً. وان كان القاضي حسام بن احمد حدثني عن يحيى بن مالك عن عائذ  
باسناد يرفعه الى ابي الدرداء انه قال اجموا النفوس بشيء من الباطل ليكون  
عوناً لها على الحق. ومن بعض اقوال الصالحين من السلف المرضي: من لم يحسن  
يتقى لم يحسن يتقوى. وفي بعض الآثار: اريحوا النفوس فانها تصدأ كما يصدأ  
الحديد. والذي كلفتني فلا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وادركته عنايتي  
وحدثني به الثقات من اهل زمانني فاعتقر لي الكناية عن الاسماء فهي اما عورة  
لا نستجيز كشفها واما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي ان  
أسمى من لا ضرر في تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره اما لاشتهار  
لا يفي عنه الطي وترك التبيين واما ارضى من المحقر عنه بظهور خبره وقلة انكار  
منه لثقله وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن  
راها عليّ اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه فهذا مذهب التحليل  
بقول الشعر واكثر ذلك فان اخواني يحشمونني القول فيما يعرض لهم على  
طرائقهم ومذاهبهم وكفاني اني ذاكر لك ما عرض لي مما يشاكل ما نحوت نحوه  
(١) فن الشيء خلطه: رأيه لونه ولم يثبت على رأي واحد (٢) في الاصل فبادرت



وناسبه اليّ والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقصار على ما رأيت  
اوضح عندي بنقل الثقات ودعني من اخبار الاعراب والتقدمين فسييلهم غير  
سبيلنا وقد كثرت الاخبار عنهم ومأذهبي ان انضي مطية سواي ولا تحلى بحلي  
مستعار والله المستغفر والمستعان لارب غيره

(باب) وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً منها في اصول الحب عشرة فأولها هذا الباب في  
علامات الحب ثم (باب فيه ذكر من احب في النوم) ثم (باب فيه ذكر من احب بالوصف)  
ثم (باب فيه ذكر من احب من نظرة واحدة) ثم (باب فيه ذكر من لا تصح محبته  
الاعم الطأولة) ثم (باب التعريض بالقول) ثم (باب الاشارة بالعين) ثم (باب المراسلة)  
ثم (باب السغير) ومنها في اعراض الحب وصفاته المحموده والمذمومة اثنا عشر باباً وان  
كان الحب عرضاً والعرض لا يحتمل الاعراض وصفة والصفة لا توصف فهذا على  
مجاز اللغة في اقامة الصفة مقام الموصوف وعلى معنى قولنا وجودنا عرضاً اقل  
في الحقيقة من عرض غيره واكثر واحسن واقبح في ادراكنا لها علمنا انها  
متباينة في الزيادة والنقصان من ذاتها المرئية والمعلومة اذ لا تقع فيها الكمية  
ولا التجزي لانها لا تشغل مكاناً وهي (باب الصديق المساعد) ثم (باب الوصل) ثم  
(باب طي السر) ثم (باب الكشف والاذاعة) ثم (باب الطاعة) ثم (باب  
المخالفة) ثم (باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها) ثم (باب  
القنوع) ثم (باب الوفاء) ثم (باب الغدر) ثم (باب الضنى) ثم (باب الموت)  
ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة ابواب وهي (باب العاذل) ثم (باب الرقيب)  
ثم (باب الواشي) ثم (باب الهجر) ثم (باب الين) ثم (باب السلو) من هذه الابواب  
الستة بابان لكل واحد منهما ضد من الابواب المتقدمة المذكور هو (باب العاذل وضده)  
(باب الصديق المساعد) (باب الهجر وضده) (باب الوصل) ومنها اربعة ابواب لا ضدها  
من معاني الحب وهي (باب الرقيب) و (باب الواشي) ولا ضد لها الا ارتفاعهما  
وحقيقة الضد ما اذا وقع ارتفع الاول وان كان المتكلمون قد اختلفوا في ذلك

ولولا خوفنا اطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناه ﴿ وباب الين  
 وضده تصاقب الديار ﴾ وليس التصاقب من معاني الحب التي تسكّم فيها ﴿ وباب السلو  
 وضده الحب بعينه ﴾ اذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه ومنها بيان ختمنا بهما  
 الرسالة وهما ﴿ باب الكلام في قبج المعصية ﴾ و ﴿ باب في فضل التعنف ﴾ ليكون خاتمة  
 ايرادنا وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن لكننا خالفنا في نسق بعض هذه  
 الابواب هذه الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو اول ابواب الرسالة  
 فجعلناها على مبادئها الى متنها واستحقاقها في التقدم والدرجات والوجود ومن  
 اول مراتبها الى آخرها وجعلنا الضد الى جنب ضده فاختلف في المساق في  
 ابواب يسيرة والله المستعان وهيأتها في الايراد اولها هذا الباب الذي نحن فيه  
 وفيه صدر الرسالة وتقسّم الابواب والكلام في ماهية الحب ثم ﴿ باب علامات الحب ﴾  
 ثم ﴿ باب من احب بالوصف ﴾ ثم ﴿ باب من احب من نظرة واحدة ﴾ ثم ﴿ باب من  
 لا يحب الامع المطاولة ﴾ ثم ﴿ باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها ﴾  
 ثم ﴿ باب التعريض بالقول ﴾ ثم ﴿ باب الاشارة بالعين ﴾ ثم ﴿ باب الرسالة ﴾ ثم  
 ﴿ باب السفير ﴾ ثم ﴿ باب طي السر ﴾ ثم ﴿ باب اذاعته ﴾ ثم ﴿ باب الطاعة ﴾ ثم ﴿ باب  
 الخالفة ﴾ ثم ﴿ باب العاذل ﴾ ثم ﴿ باب المساعد من الاخوان ﴾ ثم ﴿ باب الرقيب ﴾  
 ثم ﴿ باب الواشي ﴾ ثم ﴿ باب الوصل ﴾ ثم ﴿ باب الهجر ﴾ ثم ﴿ باب الوفاء ﴾ ثم  
 ﴿ باب الغدر ﴾ ثم ﴿ باب الين ﴾ ثم ﴿ باب القنوع ﴾ ثم ﴿ باب الضنى ﴾ ثم ﴿ باب  
 السلو ﴾ ثم ﴿ باب الموت ﴾ ثم ﴿ باب قبج المعصية ﴾ ثم ﴿ باب فضل التعنف ﴾ .

### ﴿ الكلام في ماهية الحب ﴾

الحب اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه جلاتها عن ان توصف  
 فلا تدرك حقيقتها الا بلغانة وليس يتنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة اذ  
 اقلوب بيد الله عز وجل وقد احب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير.

منهم باندلس عبد الرحمن بن معاوية لدعجاء والحكم بن هشام وعبد الرحمن ابن  
الحكم وشغفه بطروب ام عبد الله ابنة اشهر من الشمس ومحمد بن عبد الرحمن  
وامره مع غزلان ام بنه عثمان والقاسم والمطرف معلوم. والحكم المستنصر واقتاته  
بصبح ام هشام ابؤيد بالله رضي الله عنه وعن جميعهم وامتناعه عن التعرض  
للولد من غيرها. ومثل هذا كثير، ولولا ان حقوقهم على المسلمين واجبة وانما  
يجب ان تذكر من اخبارهم ما فيه الحزم واحياء الدين وانما هو شيء كانوا  
يتفردون به في قصودهم مع عيالهم فلا ينبغي الاخبار به عنهم لاوردت من  
اخبارهم في هذا الشأن غير قليل. واما كبار رجالهم ودعائم دولتهم فاكثر من ان  
يحصوا. واحداث ذلك ماشاهدناه بالامس من كلف المظفر بن عبد الملك ابن ابي  
عامر بواحد بنت رجل من الجبائين حتى حمله حبا ان يتزوجها وهي التي خلف  
عليها بعد فناء العامر بن الوزير عبد الله بن مسلمة ثم تزوجها بعد قتله رجل  
من رؤساء البربر وما يشبه هذا ان ابا العيش بن ميمون القرشي الحسيني اخبرني  
ان تزار بن معد صاحب مصر لم ير ابنه منصور بن تزار الذي ولي الملك بعده  
وادعى الالهية الا بعد مدة من مولده مساعدة لجارية كان يحبها حباً شديداً  
هذاهو لم يكن له ذكر ولا من يرث ملكه ويحي ذكره سواه (ومن الصالحين  
والفقهاء) في الدهور الماضية والازمان القديمة من قد استغنى باشعارهم عن ذكرهم  
وقد ورد من خبر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وشعره ما فيه  
انكفائية وهو احد فقهاء المدينة السبعة وقد جاء من فتيا بن عباس رضي الله عنه  
ما لا يحتاج معه الى غيره حين يقول هذا قتل الهوى لاعتقل ولا قود وقد اختلف  
الناس في ماهيته وقالوا واطالوا والذي اذهب اليه انه اتصال بين اجزاء النفوس  
المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع لا على ما حكاه محمد ابن داود  
رحمه الله عن بعض اهل الفلسفة الارواح اكر مقسومة ولكن على سبيل مناسبة  
قواها في مقر عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها وقد علمنا ان سر

التأرجح والتباين في المخلوقات انما هو الاتصال والافتصال والشكل دأبا يستدعي شكله والمثل الى مثله ساكنه وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد والتناظر في الازداد والموافقة في الانداد والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيتنا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف وجوهرها الجوهر الصعاد المتعدل وسنخها الميسر لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والتفاد كل ذلك معلوم بالحضرة في احوال تصرف الانسان فيسكن اليها والله عز وجل يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها) فجعل علة السكون انها منه ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب الا يستحسن الاقص من الصورة ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الادنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محبداً لقلبه عنه ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لا يساعده ولا يوافقها فعملنا انه شيء في ذات النفس وربما كانت المحبة لسبب من الاسباب وتلك تقنى بفناء سببها فمن ذلك الامر ولي مع انقضائه وفي ذلك اقول :

ودادي لك الباقي على حسب كونه تناهى فلم ينقص بشيء ولم يزد  
وليس له غير الارادة علة ولا سبب حاشاء يعلمه احد  
اذا ما وجدنا الشيء علة نفسه فذاك وجود ليس يقنى على الابد  
واما وجدناه لشيء خلافاً باعدامه في عدمنا ما له وحده

ومما يؤكد هذا القول اننا علمنا ان المحبة ضرورية فافضلها محبة المتحابين في الله عز وجل اما لاجتهاد في العمل واما لاتفاق في اصل النحلة والمذاهب واما لفضل علم يمنحه الانسان ومحبة القرابة ومحبة الالفه والاشترار في الطالب ومحبة الصاحب والمعرفة ومحبة لبر يضما المرء عند اخيه ومحبة لطمع في جاء المحبوب ومحبة المتحابين لبر يجتمعان عليه يلزمهما ستره ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ومحبة العشق التي لاعلة لها الا ما ذكرنا من اتصال النفوس وكل هذه الاجناس فنقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها متأكدة



بدونها فآخرة بعدها حاشى محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي  
 لأفناء لها الأبلوت وانك لتجد الإنسان السالي بزعمه وذا السن المتناهية اذا  
 ذكرته تذكر وارتاح وسبا واعتاده الطرب واحتجاج له الحين ولا يعرض في  
 شيء من هذه الاجناس المذكورة من شغل البال والحبل والوسواس وتبدل  
 الغرائز المركبة واستحالة السجيا المطبوعة والتحول والزفير وسائر دلائل الشجا  
 ما يعرض في العشق فصيح بذلك انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني فان قال  
 قائل لو كان هذا كذلك لكانت المحبة بينهما مستوية اذ الجزءان مشتركان  
 في الاتصال وحظهما واحد فالجواب عن ذلك ان نقول هذه لعمرى معارضة  
 صحيحة ولكن نفس الذي لا يجب من محبة مكنته الجهات ببعض الاعراض  
 السارة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية فلم تحس بالجزء الذي كان  
 متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة ونفس  
 المحب متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له قاصدة اليه  
 باحثة عنه مشتهية للأقاة جاذبة له لو امكنها كالمغنطيس والحديد قوة جوهر  
 المغنطيس المتصلة بقوة جوهر الحديد لم تبلغ سن تحكمها ولا من تصفيها ان  
 تقصد الى الحديد على انه من شكلها وعنصرها كما ان قوة الحديد لشدها  
 قصدت الى شكلها وانجذبت نحوه اذ الحركة ابدأ انما تكون من الاقوى وقوة  
 الحديد متروكة الذات غير ممنوعة بحابس تطلب ما يشبهها وتقطع اليه وتهض  
 نحوه بالطبع والضرورة بالاختبار والتعمد وانت متى امسكت الحديد بيدك لم  
 ينجذب اذ لم يبلغ من قوته ايضاً مغالبة المسك له مما هو اقوى منه ومتى  
 كثرت اجزاء الحديد اشتغل بعضها ببعض واكتفت باشكالها عن طلب اليسير  
 من قواها النازحة عنها فتى عظم جرم المغنطيس ووزت قواه جميع قوى جرم  
 الحديد عاد الى طبعها المعهود وكالتار في الحجر لا يبرز على قوة النار في الاتصال  
 والاستدعاء لاجزائها حيث كانت الا بعد القدح ومجاورة الجرمين بضغطهما

— واصطكا كهما والا فهي كامنة في حجرها لا تبدو ولا تظهر ومن الدليل على هذا  
 — ايضاً انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية لا بد  
 — من هذا وان قل وكلما كثرت الاشياء زادت المجانسة وتأكدت المودة فانظر  
 هذا تراء عياناً وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد (الارواح جنود  
 مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقول مروي عن احمد  
 الصالحين (ارواح المؤمنين تعارف) ولهذا ما اغتم بقراط حين وصف له رجل  
 من اهل النقصان يحبه قليل له في ذلك فقال ما احبني الا وقد وافقته في  
 بعض اخلاقه وذكر افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظمأ فلم يزل يحتج عن  
 نفسه حتى اظهر براءته وعلم الملك انه له ظالم فقال له وزيره الذي كان يتولى  
 ايصال كلامه اليها الملك قد استبان لك انه بريء فمالك وله فقال الملك  
 لعمرى مالي اليه سبيل غير اني اجد لنفسى استقلالاً لا ادري ماهو فأدى ذلك  
 الى افلاطون قال فاحتجت ان اقتش في نفسي واخلاقي شيئاً اقابل به نفسه  
 واخلاقه مما يشبهها فنظرت في اخلاقه فاذا هو محب للعدل كاره للظلم فيرت  
 هذا الطبع في فاهو الا ان حركت هذه الموافقة وقابلت نفسه بهذا الطبع  
 الذي بنفسه فأمر باطلاقي وقال لوزيره قد انحل كل ما اجد في نفسي له .  
 واما العلة التي توقع الحب ابدأ في اكثر الامر على الصورة الحسنة الظاهرة  
 ان النفس حسنة تولع بكل شيء حسن وتقبل الى التصاوير المتقنة فهي اذا رأت  
 بعضها تثبتت فيه فان ميزت وراءها شيئاً من اشكالها اتصلت وصحت المحبة  
 الحقيقية وان لم تميز وراءها شيئاً من اشكالها لم يتجاوز احبابها الصورة وذلك  
 هو الشهوة وان للصور توصيلاً عجيباً بين اجزاء النفوس النائية وقرأت في  
 السفر الاول من التوراة ان النبي يعقوب عليه السلام ايم رعيه غداً لان خاله  
 مهرا لابنته شارطه على المشاركة في اسائها فكل بهم ليعقوب وكل اضر للابن  
 فكان يعقوب عليه السلام يعدد الى قضبان الشجر يساج نصلاً ويترك نصناً

بحاله ثم يلقي الجميع في الماء الذي ترده الغيم ويتعمد ارسال الطروقة في ذلك الوقت فلا تلد الا نصفين نصفاً بهماً ونصفاً غراً وذكر عن بعض القافة انه اتى ابن اسود لأبيخين فنظر الى اعلامه فرآه لهما غير شك فرغب ان يوقف على الموضع الذي اجتمعا عليه فأدخل البيت الذي كان فيه مضجعهما فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة اسود في الحائط فقال لأبيه من قبل هذه الصورة اتيت في ابك وكثيراً ما يصرف شعراء اهل الكلام هذا المعنى في اشعارهم فيخاطبون المرثي في الظاهر خطاب المعقول الباطن وهو المستفيض في شعر النظام ابراهيم بن سيار وغيره من المتكلمين وفي ذلك اقول شعراً منه :

ما علة النصر في الاعداء تعرفها      وعلة الفر منهم انت يفرون  
الا تراع نفوس الناس قاطبة      اليك يا لؤلؤاً في الناس مكنوناً  
من صكت قدامه لا ينثني ابدأ      فبهم الى نورك الصعاد يعيشون  
ومن تكن خلفه فانفس تصرفه      اليك طوعاً فهم دأباً يكرون  
وفي ذلك اقول :

امن عالم الاملاك انت ام النسي      ابن لي فقد ازدي بتمييزي العي  
ارى هيئة انسية غير انه      اذا عمل التفكير فالجرم علوى  
تبارك من سوى مذاهب خلقه      على انك انور الانيق الطيبي  
ولاشك عزي انك الروح ساقه      الينا مثال في النفوس اتصالي  
عزنا دليلاً في حديثك شاهداً      تقيس عليه غير انك مرئي  
ولا وقع العين في الكون لم تقل      سوى انك العقل الرفيع الحقيقي  
وكان بعض اصحابنا يسمى قصيدة لي الادراك المتوهم منها

ترى كل ضد به قائماً      فكيف تحد اختلاف المعاني  
فيا ايها الجسم لا ذا جهات      وباعرضاً ثابتاً غير فان  
نقضت علينا وجوه الكلام      بما هو مذ لحث بالمستبان

وهذا بعينه موجود في البغضة ترى الشخصين يتباغضان لا لغنى ولا علة  
ويشتغل بعضهما بعضاً بلا سبب والحب اعزك الله داء عيأ وفيه الدواء منه  
على قدر المعاملة ومقام مستلذ وعلة مشتهة لا يود سليمها البرء ولا يتمنى عليها  
الافاقة زين للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى  
يحيل الطباع المركبة والحياة المخلوقة وسأني كل ذلك ملخصاً في بابه ان  
شاء الله (خير) ولقد علمت فتي من بعض معارفي وقد وحل في الحب وتورط في  
جرائله واضر به الوجد وانضح الدنف وما كانت نفسه تطيب بالدعاء الى الله  
عز وجل في كشف ما به ولا ينطلق به لسانه وما كان دعاؤه الا بالوصل  
والتمكن ممن يحب على عظيم بلائه وطويل همه فما الظن بستم ولا يريد فقد سقه  
ولقد جالسته يوماً فرأيت من اكبابه وسؤ حاله واطراقه ما ساءني فقلت له  
في بعض قولي فرج الله عنك فلقد رأيت اثر الكراهية في وجهه وفي مثله  
اقول من كلمة طويلة :

(واستلذ بلائي فيك يا ملي ولست عنك مدى الايام انصرف  
ان قيل لي تسلي عن مودته فما جوابي الا اللام والالف  
(خير) وهذه الصفات مخالفة لما اخبرني به عن نفسه ابو بكر محمد ابن قاسم  
ابن محمد القرشي المعروف بالشلشي من ولد الامام هشام بن عبد الرحمن ابن  
معاوية انه لم يحب احداً قط ولا اسف على الف بان منه ولا تجاوز حد الصحة  
والالفة الى حد الحب والعشق منذ خلق

### [ باب علامات الحب ]

وللحب علامات يقفوها الفطن ويهتدي اليها الذكي فأولها ادمان النظر  
والعين باب النفس الشارع وهي المنقبة عن سرورها والمعبرة لضاؤها والمعرية عن  
بواطنها فترى الناظر لا يطرف يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه ويميل حيث  
مال كالخرياء مع الشمس وفي ذلك اقول شعراً منه

فليس لعيني عند غيرك موقف كأنك ما يحكون من حجر البهت  
أصرفها حيث أنصرفت وكيف ما تقلبت كالمعنوت في النحو والنعت  
ومنها الأقوال بالحديث بما يكاد يقل على سوى محبوه ولو تعد ذلك وإن  
التكلف ليستين لمن يرمقه فيه والأنصت لحديثه إذا حدث واستغراب كل ما يأتي  
به ولو أنه عين الحال وخرق العادات وتصديقه وإن كذب وموافقته وإن ظلم  
والشهادة له وإن جار واتباعه كيف سلك وأي وجه من وجوه القول تناول  
ومنها الأسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للعود بقربه والدنو منه  
وأطراح الاشتغال الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقتها  
والتباطيء في الشيء عن القيام عنه وفي ذلك أقول شعراً :

وإذا قت منك لم أمش إلا مشي عان يقاد نحو الفناء  
في مجئني إليك احتت كالد ر إذا كان قاطعاً للشقاء  
وقيامي أن قت كالأنجم العال لية الثابتات في الإبطاء

ومنها بهت يقع وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة وظلوعه  
بقية ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوه أو عند سماع  
اسمه فجأة وفي ذلك أقول قطعة منها

إذا ما رأيت عينا لايس حمرة تقطع قلبي حمرة وتفترا  
أعدا لدماء الناس بالاحظ سافكا وضر ج منها ثوبه فتعصقرا

ومنها أن يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان متمتعاً به قبل ذلك  
كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه كل ذلك لبيدي محاسنه وورغب في نفسه  
فكم بخيل جاد وقطوب تطلق وجبان شجع وغليظ الطبع تطرب وجاهل تأدب  
وتقل ترين وفقر تجمل وذو سن تقى وناسك فك ومصوف تمسك وهذه  
العلامات يكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه وتوقد شعله واستطارة لهبه  
فأما إذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سراراً والأعراض عن



كل ما حضر الا عن المحبوب جهاراً ولي آيات جمعت فيها كثيراً من هذه  
العلامات منها :

اهوى الحديث اذا ما كان يذكر لي فيه ويحق لي عن عنبر أرج  
ان قال لم استمع ممن يجالسني الى سوى لفظة المستطرف المنج  
ولو يكون امير المؤمنين معي ما كنت من اجله عنه بمنعرج  
فان اقم عنه مضطراً فاني لا ازال ملتقاً والمشي مشي وجي  
عينا في وجسمي عنه مرتحل مثل الثقات الغريق البر في اللجج  
اغص بالماء ان اذكر تباعده كمن تائب وسط القع والوهج  
وان تقل يمكن قصد السماء اقل نعم واني لادري موضع الدنج  
ومن علاماته وشواهد الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد  
وانتضيق في المكان الواسع والمجاذبة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز  
الحق والميل بالانكاء والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء  
الظاهرة وشرب فصلة ما ابقى المحبوب في الالة وتحري المكان الذي قابل فيه  
ومنها علامات متضادة وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة والاسباب المحركة  
والخواطر المهيجة والاضداد انداد والاشياء اذا افرطت في غايات تضادها ووقفت  
في انتهاء حدود اختلافها تشابهت قدرة من الله عز وجل تضل فيها الاوهام  
فهذا التلج اذا ادمن حبسه في اليد فعل فعل النار ونجد الشرح اذا افرط قتل  
وانغم اذا افرط قتل والضحك اذا كثر واشتد سال الدمع من العين وهذا  
في العالم كثير فنجد الحين اذا تكلفنا في المحبة وتأكدت بينهما تأكداً شديداً  
اكثر بهما جدهما بغير معنى وتضادهما في اقبال تعمداً وخروج بعضهما على بعض  
في كل يسير من الامور وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على  
غير معناها كل هذه تجربة ليدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه والذوق  
بين هذا وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشجاء ومخارجة التشاجر

سرعة الرضى فانك ربما ترى المحسن قد بلغا الغاية من الائتلاف الذي لا تقدره  
 يصلح عند الساكن النفس السالم من الاحتقاد في الزمن الطويل ولا يتجبر عند  
 الحقود ابداً فلا تلبث ان تراهما قد عادا الى اجد الصلحة واهدرت المعاناة  
 وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمداعة هكذا في  
 الوقت الواحد مراراً واذا رأيت هذا من اثنين فلا تخافك شك ولا يدخلك  
 ريب التة ولا تمار في ان بينهما سراً من الحب دفينا واقطع عليه قطع من  
 لا يصرفه عنه صارف ودونكها تجربة صحيحة وخبرة صادقة هذا لا يكون الا عن  
 تكاف في المودة واتلاف فحيح وقد رأيت كثيراً ومن اعلامه انه تجد الحب  
 يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في اخباره ويحبها هيراه ولا  
 يرتاح لشيء ارتياحه له ولا ينهنه عن ذلك تخوف ان ينظن السامع وبهم  
 الحاضر وجك الشيء يعمي ويصم فلو امكن الحب ان لا يكون حديث في مكان  
 يكون فيه الا ذكر من يحبه لما تعداء ويعرض للصادق المودة ان يتدي في  
 الطعام وهو له مشتة فما هو الا وقت ما يحتاج له من ذكر من يحب صار الطعام  
 غصة في الحلق وشجي في المري وهكذا في الماء وفي الحديث فانه يفتاحه  
 متبجاً فنعرض له خطرة من خطرات الفكر فيمن يحب فتستين الحوالة في  
 منطقته وانتصير في حديثه وآية ذلك الوجوم والاطراق وشدة الانعلاق فينا  
 هو طلق الوجه خفيف الحركات صار منطقاً متاقلاً حار النفس جامد الحركة  
 يرم من الكلمة ويضجر من السؤال ومن علاماته حب الوحدة والانس بالانفراد  
 وتحول الجسم دون حد يكون فيه ولا وجع مانع من الثقل والحركة والمشي  
 دليل لا يكذب ومخبر لا يخون عن كلمة في النفس كاتمة والسهر من اعراض  
 الحين وقد اكثر الشعراء في وصفه وحكوا انهم رعاة الكواكب ووصفوا طول  
 الليل وفي ذلك اقول واذا ذكر كتمان السر وانه يتوسم بالعلامات  
 تلمت السحاب من شؤوني فعمت بالحيا السكب الهتون

وهذا الليل فيك غدا رفيفي  
فان لم ينقض الاظلام ...  
فليس الى النهار لنا سبيل  
كأن نجومه والغيـم يخفي  
ضميري في ودادك يا منسائي  
وفي مثل ذلك قطعة منها :

ارعى النجوم كأنتي كلفت ان  
فكأنها والليل نيران الجوى  
وكأنتي امسيت حارس روضة  
لو عاش بطليموس ايقن انني

والشيء قد يذكر لما يوجه وقع لي في هذه الايات تشبيه شيئين بشيئين  
في بيت واحد وهو البيت الذي اوله فكانها والليل وهذا مستغرب في الشعر  
ولي ما هو اكمل منه وهو تشبيه ثلاثة اشياء في بيت واحد وتشبيه اربعة اشياء  
في بيت واحد وكلاهما في هذه القطعة التي اوردها وهي :

مشوق معنى ما ينـام مسهد  
قفي ساعة يبدي اليك عجائباً  
كان النوى والعتب والهجر والرضى  
رثى لغرامي بعد طول تمنع  
نعنا على نور من الروض زاهر  
كأن الحيا والمزن والروض عاطراً  
ولا ينكرن على منكر قولي قران فاهل المعرفة بالكواكب يسمون اتقاء  
كوكبين في درجة واحدة قراناً ولي ايضاً ما هو اتم من هذا وهو تشبيه خمسة  
اشياء في بيت واحد في هذه القطعة وهي :

بخمر التجني ما زال يعربد  
(و) يعدو ويستحلي ويدني ويبعد  
قران وانداد ونحس واسعد  
واصبحت محسوداً وقد كنت احسد  
سقتة الغواصي فهو يثني ويحمد  
دموع واجفان وخذ مورد

خلوت بها والراح نائلة لها وجنح ظلام الليل قد مد واتلج  
فتاة عدمت العيش الا بقربها فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج  
كافي وهي والكاس والحمرو الدجي ترى وحياء والدر والتبر والسنج  
فهذا امر لامزيد فيه ولا يقدر احد على اكثر منه اذ لا يحتمل العروض  
ولابنية الاسماء اكثر من ذلك. ويعرض للمحين القلق عند احد امرين احدهما  
عند رجائه لقاء من يحب فيعرض عند ذلك حائل

(خبر) واني لاعلم بعض من كان محبوبه يعده الزيارة فما كنت اراه الا جائئاً  
وزاهياً لا يقربه القرار ولا يثبت في مكان واحد مقبلاً مدبراً قد استخفه السرور  
بعد ركانة واشاطه بعد رزانة ولي في معنى انتظار الزيارة

اقت الى ان جاء في الليل راجياً لقاءك يا سؤلى ويا غاية الامل  
فأأسنى الاظلام عنك ولم اكن لأتأس يوماً ان بدى الليل يتصل  
وعندي دليل ليس يكذب خبره بامثاله في مشكل الامر يستدل  
لانك لو زمت الزيارة لم يكن ظلام ودام النور فينا ولم يزل

والثاني عند حادث يحدث بينهما من عتاب لا تدرى حقيقته الا بالوصف فتند  
ذلك يشتد القلق حتى توقف على الجلملة فاما ان يذهب تحمله ان رجا العفو  
(اما) ان يصير القلق حزناً واسفاً ان تخوف الهجر ويعرض للمحب الاستكانة  
لجفاء المحبوب عليه وسيأتي مفسراً في باب ان شاء الله تعالى. ومن اعراض الجزع  
الشديد والحرمة المقطعة تغلب عندما يرى من اعراض محبوبه عنه ونفساره منه  
آية ذلك الزفير وقلة الحركة والتأوه وتنفس الصعداء وفي ذلك اقول  
شعراً منه :

وجيل الصبر مسجون ودموع العين سارحه

ومن علاماته انك ترى المحب يحب اهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا  
احظى لديه من اهله ونفسه ومن جميع خاصته والبكاء من علامات الحب ولكن

يتفاضلون فيه فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون تحببه عينه وتحضره عبرته اذا شاء  
ومنهم جود العين عديم الدمع وانا منهم وكان الاصل في ذلك ادماي اكل الكندر  
لحققان القلب وكان عرض لي في الصبي فاني لاصاب بالصلبية الفادحة فأجد قلبي  
يتنظر ويتقطع واحس في قلبي غصة امر من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام  
حتى محارجه وتكاد تشوقي بالنفس احيانا ولا تحجب عيني البتة الا في الندرة بالشيء  
اليسير من الدمع

(خبر) ولقد اذكرني هذا النصل يوما ودعت انا وابو بكر محمد ابن اسحق  
صاحبي ابا عامر محمد ابن عامر صديقاً رحمه الله في سفرته الى المشرق  
التي لم نره بعد فجعل ابو بكر يبكي عند وداعه وينشد متفتلاً بهذا البيت :  
الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك يساقى دمعه لجود

وهو في رثاء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله ونحن وقوف على ساحل البحر  
بمأقفة وجعلت انا اكثر التفجع والاسف ولا تساعدني عيني فقلت محبباً لابي بكر  
وان امرأ لم يفن حسن اضطباره عليك وقد فارقه جليلد

وفي المذهب الذي عليه الناس اقول من قصيدة قلتها قبل باوغ الخيم اولها  
دليل الاسى نار على القلب تلتفح ودمع على الحدين يحمي ويسفح  
اذا كتم المشغوف سر ضلوعه فان دموع العين تبدي وتفضح  
اذا ماجفون العين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبرح

ويعرض في الحب سوء الظن واتهام كل كلمة من احدهما وتوجيهها الى غير  
وجهها وهذا اصل العتاب بين المحبين واني لاعلم من كان احسن الناس ظناً  
واوسعهم نفساً واكثرهم صبراً واشدهم احتمالاً وارحهم صدرأ ثم لا يحتمل من  
يجب شيئاً ولا يقع له معه اليسر مخالفة حتى تبدي من التعديد فنونا ومن سوء الظن  
وجوهاً وفي ذلك اقول شعراً منه :

أسيء ظني بكل محقر تأتي به والحقير من حققر



كي لا يرى اصل هجرة وقلبي فالتار في بده امرها شررا

واصل عظم الامور اعونها ومن صغير النوى ترى شجرا

وترى الحب اذا لم يتق بقاء طوية محبوبة له كثير التحفظ مما لم يكن يتحفظ  
قبل ذلك مثقفاً لكلامه مزيناً لحركاته ومرامي طرفه ولا سيما ان دهى بتجن  
ويلى بمعربد . ومن آياته : مراعاة الحب لمحبوبة وحفظه لكل ما يقع منه  
وبحثه عن اخباره حتى لا يسقط عنه دقيقة ولا جليله وتبعه لحركاته ولعمري لقد  
ترى البلد يصير في هذه الحالة ذكياً والغافل فظناً

( خبر ) ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان اسمعيل بن يونس الطيب  
الاسرائيلي وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها وكنا في لمة فقال له مجاهد ابن  
الحسين القيسي ما تقول في هذا وأشار الى رجل متبذ عنا ناحية اسمه حاتم  
ويكنى ابا البقاء فنظر اليه ساعة يسيرة ثم قال هو رجل عاشق فقال له  
صدقت فمن اين قلت هذا ؟ قال : لبت مفروط ظاهر على وجهه فقط دون  
سائر حركاته فعلمت انه عاشق وليس بمريب

### ﴿ باب من احب في النوم ﴾

ولا بد لكل حب من سبب يكون له اصلاً وانا مبتديء بابعد ما يمكن ان  
يكون من اسبابه ليجري الكلام على نسق وان يبتدأ ابدأ بالسهل والأهون  
فمن اسبابه شيء لولا اني شاهدته لم اذكره لغرابته

( خبر ) وذلك اني دخلت يوماً على ابي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى  
المؤيد فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به فتمنع ساعة ثم قال لي اعجوبة ما سمعت  
قط قلت وما ذاك قال رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب  
قلبي فيها وهمت بها واني لاني اصعب حال من حبها ولقد بقي اياماً كثيرة  
يزيد على الشهر مغموماً مهموماً لايهنته شيء وجداً الى ان عذلته وقلت له

من الخطأ العظيم ان تشغل نفسك بغير حقيقة وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد هل تعلم من هي قال لا والله قلت انك لتقليل الرأي مصاب البصيرة اذ تحب من لم تره قط ولا خلق ولا هو في الدنيا ولو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي اعذر فما زلت به حتى سلا وما كاد وهذا عندي من حديث النفس واضافتها وداخل في باب التمني وتخيل الفكر وفي ذلك اقول شعراً منه :

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت      أطلعة الشمس كانت ام هي القمر  
اظنة العقل ابداه تدبره      او صورة الروح ابدتها الى الفكر  
او صورة مثلت في النفس من املي      فقد تخيل في ادراكها البصر  
او لم يكن كل هذا فهي حادثة      اتى بها سبباً في حتمي القدر

### ﴿ باب من احب بالوصف ﴾

ومن غريب اصول العشق ان تقع المحبة بالوصف دون المعاينة وهذا امر يترقى منه الى جميع الحب فتكون المراسلة والمكاتبة والهلم والوجد والسهرة على غير الابصار فان للحكايات ونعت المحاسن ووصف الاخبار تأثيراً في النفس ظاهراً وان تسمع نغماتها من وراء جدار فيكون سبباً للحب واشتغال البال وهذا كله قد وقع لغير ما واحد ولكنه عندي ببيان هار على غير أس وذلك ان الذي افرغ ذهنه في هوى من لم ير لابد له اذ يخلو بفكره ان يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعينياً يقيمها نصب ضميره لا يتمثل في حاجه غيرها قد مال بوجهه نحوها فان وقعت المعاينة يوماً ما فيخند يتأكد الامر او يطل بالكلية وكلا الوجهين قد عرض وعرف واكثر ما يقع هذا في ديار القصور المحجوبات من اهل البيوتات مع اقاربهن من الرجال وحب النساء في هذا اثبت من

حب الرجال لضعفهن وسرعة اجابة طبائعهن الى هذا الشأن وتمكنه منهن  
وفي ذلك اقول شعراً منه :

ويا من لامني في حب من لم يره طرفي  
لقد افرطت في وصفك لي في الحب بالضعف  
فقل هل تعرف الجنة يوماً بسوى الوصف

واقول شعراً في استحسان النعمة دون وقوع العين على العيان منه :

قد حل جيش الغرام سمعي وهو على مقلتي يسدو  
واقول ابضاً في مخالفة الحقيقة لظن المحبوب عند وقوع الرؤية :  
وصغوك لي حتي اذا ابصرت ما وصفوا علمت بانه هذيان  
فالطبل جلد فارغ وطنينه يرتاع منه ويفرق الانسان  
وفي ضد هذا اقول :

لقد وصغوك لي حتي التقينا فصار الظن حقاً في العيان  
فاوصاف الجنان مقصرات على التحقيق عن قدر الجنان

وان هذه الاحوال لتحدث بين الاصدقاء والاخوان وعني احدث  
(خبر) انه كان بيني وبين رجل من الاشراف ود وكيد وخطاب كثير  
وما ترآينا قط ثم منح الله لي لقاءه فما مرت الا ايام قلائل حتي وقعت لنا  
منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة الى الآن فقلت في ذلك قطعة منها :

ابدلت اشخاصنا كرهاً وفرط قلبي كما الصحائف قد يبدلن بالنسخ  
ووقع لي ضد هذا مع ابي عامر ابن ابي عامر رحمة الله عليه فاني كنت  
له على كراهة صحيحة وهو لي كذلك ولم يرني ولا رأيته وكان اصل ذلك  
تقيلاً يحمل اليه عني والي عنه يؤكده انحراف بين ابويننا لتنافسهما فيما كانا  
فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا ثم وفق الله الاجتماع به فصار لي اود  
الناس وصرت له كذلك الى ان حال الموت بيننا وفي ذلك اقول قطعة منها :

اخ لي كسبته اللقاء واوجدني فيه علماً شريفاً  
وقد كنت اكرمه الجوار وما كنت ارجيه لي اليافاً  
وكان البغيض فصار الحبيب وكان الثقل فصار الخفيفاً  
وقد كنت ادمن عنه الوجيف فصرت اديم اليه الوحيفاً  
واما ابو شاكر عبد الرحمن بن محمد القبري فكان لي صديقاً مدة على غير  
رؤية ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت الى الآن

### ( باب من احب من نظرة واحدة )

وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة وهو ينقسم قسمين  
فالقسم الواحد يخالف للذي قبل هذا وهو ان يعشق المرء صورة لا يعلم من هي  
ولا يدري لها اسماً ولا مستقراً وقد عرض هذا لغير واحد  
( خبر ) حدثني صاحبنا ابو بكر محمد بن احمد بن اسحق عن ثقة اخبره  
سقط عنى اسمه وأظنه القاضي بن الحذاء ان يوسف بن هرون الشاعر المعروف  
بالرمادي كان مجتازاً عند باب العطارين بقرطبة وهذا الموضع كان مجتمع النساء  
فرأى جارية اخذت بمجامع قلبه وتخلل حبها جميع اعضائه فانصرف عن  
طريق الجامع وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة فجازتها الى الموضع المعروف  
بالريض فلما صارت بين رياض بني مروان رحيم الله المبنية على قبورهم في  
مقبرة الريض خلف النهر نظرت منه منفرداً عن الناس لاهمة له غيرها  
فانصرفت اليه فقالت له مالك تمشي ورأني فاخبرها بعظيم بليته بها فقالت له  
دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتي فلا مطمع لك في النية ولا الى ما ترجيه  
سبيل فقال اني اقع بالنظر فقالت ذلك مباح لك فقال لها ياسيدي أحره  
أم مملوكة قالت مملوكة فقال لها ما اسمك قالت خلوة قال ولمن انت فقالت  
له علمك والله بما في السماء السابعة اقرب اليك مما سألت عنه فدع الخصال

فقال لها ياسيدي واين اراك بعد هذا قالت حيث رأيتي اليوم في مثل تلك الساعة من كل جمعة فقالت له إما تنهض انت وإما أنهض انا فقال لها انهضي في حفظ الله فنهضت نحو القنطرة ولم يمكنه اتباعها لأنها كانت تلتفت نحوه لترى ايسارها ام لا فلما تجاوزت باب القنطرة أتى يقفوها فلم يقع لها على مسألة قال ابو عمر وهو يوسف بن هرون فوالله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت الى الآن فما وقعت لها على خبر ولا ادري أسماء لحسها أم أرض بلعها وأن في قلبي منها لأحر من الجمر وهي خلوة التي يتنزل بها في اشعاره ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سبيلها الى سرقسطة في قصة طويلة ومثل ذلك كثير وفي ذلك اقول قطعة منها :

عيني جنت في فؤادي لوعة الفكر فأرسل الدمع مقتصاً من البصر  
فكيف تبصر فعل الدمع منتصفاً منها باعراقها في دمعها الدرر  
لم ألحها قبل أبصاري فاعرفها وآخر العهد منها ساعة النظر  
(والقسم الثاني) مخالف للباب الذي يأتي بعد هذا الباب ان شاء الله وهو ان يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشأ ولكن التفاضل يقع في هذا في سرعة الفناء وابطائه فمن احب من نظرة واحدة واسرع العلاقة من لحة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر ومخير بسرعة السلو وشاهد الظرافة والمثل وهكذا في جميع الاشياء اسرعها نمواً اسرعها فناء وابطؤها حدوثاً وابطؤها نفاذاً

(خبر) اني لأعلم قتيلاً من ابناء الكتاب ورأته امرأة سرية النشأة عالية المنصب غليظة الحجاب وهو محتار ورأته في موضع تطلع منه كان في منزلها فعلقته وعلقها وتهاديا المراسلة زماناً على ارق من حد السيف ولولا اني لم اقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد لاوردت مما صبح عندي اشياء تحير اللبيب وتدهش العاقل اسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين منه وكفانا



## ( باب من لا يجب الا مع المطاولة )

ومن الناس من لاتصح محبته الا بعد طول الخافقة وكثير المشاهدة ومتادي  
الانس وهذا الذي يوشك ان يدوم ويثبت ولا يحبك فيه مر الليالي فما دخل  
عسيراً لم يخرج يسيراً وهذا مذهبي وقد جاء في الاثر ( ان الله عز وجل  
قال للروح حين امره ان يدخل جسد آدم وهو فخار فهاب وجزع أدخل  
كرهاً واخرج كرهاً ) حدثنا عن شيوختنا ولقد رأيت من اهل هذه الصفة من  
ان احس من نفسه بابتداء هوى او توحش من استحسانه ميلاً الى بعض  
الصور استعمل الهجر وترك الانام لئلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر عن يده ويحال  
بين الغير والتزوان وهذا يدل على لصوق الحب باكباد اهل هذه الصفة وانه اذا  
تمكن منهم لم يحل ابداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

سأبعد عن دواعي الحب أني رأيت الحزم من صفة الرشيد  
رأيت الحب اوله التصدي بعينك في ازاهير الحدود  
فينا انت مقبض مخلى اذا قد صرت في حلق القيود  
كمغتر بضحاح قريب فذل فغاب في غمر المدود

واني لأطيل العجب من كل من يدعي انه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد  
أصدقه ولا أجعل حبه الا ضرباً من الشهوة واما ان يكون في ظني متمكناً  
من صميم الفؤاد نافذاً في حجاب القلب فما اقدر ذلك وما لصق باحشائي حب  
قط الا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذني معه في كل  
جد وهزل وكذلك انا في السلو والتوق فما نسيت ودأ لي قط وان حنيني الى  
كل عهد تقدم لي ليفضي بالطعام ويشرقني بالماء وقد استراح من لم تكن هذه  
صفته وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به ولا اسرعت الى الانس بشيء قط اول  
لقاتي له وما رغبت الاستبدال الى سبب من اسبابي مذ كنت لا اقول في الألف

والاخوان وحدهم لكن في كل ما يستعمل الانسان من ملبوس ومركوب  
ومطعم وغير ذلك وما استنعت بميش ولا فارقي الاطراق والانغلاق مذ ذقت  
طعم فراق الاحبة وانه لشجى يتادني وولوع هم ما ينفك يطرقني ولقد نقص  
تذكرى ماضى كل عيش استأنقه وأني لقتيل الهموم في عداد الاحياء ودفين  
الاسى بين اهل الدنيا والله المحمود على كل حال لا اله الا هو . وفي ذلك  
اقول شعراً منه :

حبة صدق لم تكن بنت ساعة ولا ورثت حين ارتباد زنادها  
ولكن على مهل سرت وتولدت بطول امتزاج فاستقر عمادها  
فلم يدن منها عزمها واتقاضها ولم ينأ عنها مكثها وازديادها  
يؤكد ذا انا نرى كل نشأة تم سرها عن قريب نهادها  
ولكنني ارض عزاز صليبة منبع الى كل الغروس انقيادها  
فما نفذت منها اديها عروقها فليست تبالي ان يجود عهادها

ولا يظن ظان ولا يتوهم متوهم ان كل هذا خلف لغوي المسطر في صدر  
الرسالة ان الحب اتصال بين النفوس في اصل عالمها العلوي بل هو مؤكد له  
فقد علمنا ان النفس في هذا العالم الادنى قد غمرتها الحجب ولحقها الاغراض  
واحاطت بها الطبائع الارضية الكورية فسترت كثيراً من صفاتها وان كانت لم  
تحله لكن حالت دونه فلا برج الاتصال تلى الحقيقة الا بعد التيهو من النفس  
والاستعداد له وبعد اتصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافقها ومقابلة الطبائع التي  
خفت مما يشابهها من طبائع المحبوب فينثذ يتصل اتصالاً صحيحاً بلا مانع . واما  
ما يقع من اول وهلة ببعض اعراض الاستحسان الجسدي واستطراف البصر  
الذي لا يجاوز الالوان وهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة فاذا فصلت الشهوة  
وتجاوزت هذا الحد ووافق الفصل اتصال نفسي تشترك فيه الطبائع مع النفس  
يسمى عشقاً ومن هذا دخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق

شخصين متباينين فانما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفاً وهي على المحاز  
تسمى محبة لاعلى التحقيق واما نفس الحب فما في الميل به فضل يصرفه من اسباب  
دينه ودينه فكيف بالاشتغال بحب ثان وفي ذلك اقول :

كذب المدعي هوى اثنين حتماً مثل ما في الاصول اكذب ما في  
ليس في القلب موضع لحبيب ن ولا احدث الامور بشائي  
وكما العقل واحد ليس بدري خالقاً غير واحد رحمان  
فكذا القلب واحد ليس يقوى غير فرد ماعد او مدان  
هو في شرعة المودة ذو شك بيد من صحة الإيمان  
وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

واني لأعرف فتى من اهل الجدة والحبيب والأدب كان يبتاع الجارية وهي  
سائلة الصدر من حبه واكثر من ذلك كارهة له لقلة حلاوة شمائل كانت فيه وقطوب  
دائم كان لا يفارقه ولا سيما مع النساء فكان لا يلبث الا يسيراً ربما يصل اليها  
بالجماع ويعود ذلك الكره حباً مفرطاً وكلفاً زائداً واستهتاراً مكشوقاً ويتحول  
الضجر لصحبته فجراً لفراقه محبته هذا الامر في عدة منهن فقال بعض اخواني  
فسألت عن ذلك فتبسم نحوي وقال إذا والله اخبرك انا ابطأ النفس انزالا  
تقضي المرأة شهوتها وربما ثنت وانزالي وشهوتي لم ينقضيا بعد وما فترت بعدها  
قط واني لا أتقى بحسبي بعد انقضائها الحين الصالح وما لاقى صدري صدر امرأة  
قط عند الخلوة الا عند تعدي المعانقة وبحسب ارتفاع صدري نزول مؤخري فثقل  
هذا وشبهه اذا وقع وافق اخلاق النفس وولد المحبة اذ الاعضاء الحساسة مسالك  
الى النفوس ومؤديات نحوها (١)

(١) خطر لنا حذف ما في هذا الكتاب مما ياتل هذا بيد انا لم نبح لانفسنا  
اسقاط ما ارتضاه ابن حزم لكتابه وما نحن بابرع ولا اتقى ولا احفظ لحزمة  
الاخلاق منه .

( باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها )

واعلم اعزك الله ان للحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً وامراً لا يخالف وحداً لا يعصى وملكاً لا يتمدى وطاعة لا تصرف ونفاذاً لا يرد وانه ينقص المرر ويحيل المبرم ويحلل الجامد ويحلل الثابت ويحلل الشفاف ويحلل المنوع ولقد شاهدت كثيراً من الناس لا يتمون في تمييزهم ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تنصير في جدسهم قد وصفوا احباباً لهم في بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال فصارت محيرتهم وعرضة لاهوائهم ومنتهى استحسانهم ثم مضى اولئك اما بسلو او بين او حجر او بعض عوارض الحب وما فارقهم استحسان تلك الصفات ولا بان عنهم تفضيلها على ما هو افضل منها في الخليفة ولا مالوا الى سواها بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة لديهم الى ان فارقوا الدنيا وانقضت اعمارهم حينئذ منهم الى من فقدوه والفة ان صحبوه وما اقول ان ذلك كان تصنعاً لكن طبعاً حقيقياً واختياراً لادخاله فيه ولا يرون سواء ولا يقولون في طي عقدهم بغيره واني لأعرف من كان في جيد حبيب بعض الوقص فما استحسن اغيد ولا غيداء بعد ذلك واعرف من كان اول علاقته بجارية مائلة الى القصر فما احب طريفة بعد هذا واعرف ايضاً من هوى جارية في فربا فوه لطيف فاقدر كان يتنذر كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة وما اصف من منقوصي الخلو في العلم والادب لكن عن اوفر الناس قسطاً في الادراك واحقهم باسم الفهم والدراية . وعني اخبرك اني احببت في صبي جارية لي شقراء الشعر فما استحسن من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو انه على الشمس او على صورة الحسن نفسه واني لاجد هذا في اصل تركيبي من ذلك الوقت لانزائني نفسي على سواء ولا تحب غيره البتة وهذا العارض بعينه

عرض لأبي رضي الله عنه وعلى ذلك جرى الى ان وافاه اجله واما جماعة  
خلفاء بني مروان رحمهم الله ولا سيما ولد الناصر منهم فكلهم مجبولون على تفضيل  
اشقرا لا يختلف في ذلك منهم مختلف وقد رأيتهم ورأينا من رأيهم من لدن  
دولة الناصر الى الآن فما منهم الا اشقر نزاعاً الى اماتهم حتى قد صار ذلك  
فيهم خلقه حاشى سليمان الظافر رحمه الله فاني رأيته اسود الهة واللحية واما  
الناصر والحكم المستنصر رضي الله عنهما فحدثني الوزير ابي رحمه الله وغيره  
انهما كانا اشقرين اشهلين وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمن  
المرتضى رحمهم الله فاني قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاً  
وهكذا اولادهم واخوتهم وجميع اقاربهم فلا ادري اذلك استحسان مركب  
في جميعهم ام لرواية كانت عند اسلافهم في ذلك فحروا عليها وهذا ظاهر في  
شعر عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن امير المؤمنين الناصر  
وهو المعروف بالظليق وكان اشقر اهل الاندلس في زمانهم واكثر تغرله فبالشتر  
وقد رأيته وجالسته وليس العجب فيمن احب قبيحاً ثم لم يصحبه ذلك في  
سواه فقد وقع من ذلك ولا فيمن طبع مذ كان على تفضيل الادنى ولكن  
فيمن كان ينظر بعين الحقيقة ثم غاب عليه هوى عارض بعد طول بقاءه في  
الجماعة فاحاله عما عهدته نفسه حوالة صارت له طبعاً وذهب طبعه الاول وهو  
يعرف فضل ما كان عليه اولاً فاذا رجع الى نفسه وجدها تأتي الا الادنى  
فالعجب لهذا التغلب الشديد والتسليط العظيم وهو اصدق الحجة حقاً لامن يتحلى  
بشيء قوم ليس منهم ويدعي غريزة لاتقبله فيزعم انه يتخير من يحب اما لو  
شغل الحب بصيرته واجاح فكرته واجحف بتمييزه لحال بينه وبين الشغل  
والارتياح وفي ذلك اقول شعراً منه :

منهم فني كان في محبوه وقص كائنا العبد في عينه جنان

وكان منبسطاً في فضل خبرته بحجة حقها في القول تبين



ان المها وبها الامثال سائرة لا يكثر الحسن فيه الدهر انسان  
وقص فليس بها عتقاء واحدة وهل تران بطول الجيد بعران  
وآخر كان في محبوه فوه يقول حسبي في الافواه غزلان  
وثالث كان في محبوه قصر يقول ان ذوات الطول غيلان  
واقول ايضاً :

يعيونها عندي بشقرة شعرها فقلت لهم هذا الذي زاتها عندي  
يعيون لون النور والتبرضة لرأي جهول في القواية تمتد  
وهل عاب لون المرجس الفض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد  
وابعد خلق الله من كل حكمة مفضل جرم فاحم اللون مسود  
به وصفت الوان اهل جهنم ولبسة باك مشكل الاهل متحد  
ومذلاحت الرايات سوداً اتقنت نقوس الوري ان لاسيدل الى الرشيد

### ( باب التعريض بالقول )

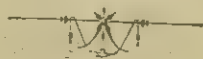
ولا بد لكل مطلوب من مدخل اليه وسبب يتوصل به نحوه في ينفر  
بالاختراع دون واسطة الا العليم الاول جل ثناءه فاول ما يستعمل طلاب الوصل  
واهل المحبة في كشف ما يجدونه الى احبتهم التعريض بالقول اما بانشاد شعر  
او بارسال مثل او تعمية بيت او طرح لغز او تسليط كلام والناس يختلفون في  
ذلك على قدر ادراكهم وعلى حسب ما يرونه من احبتهم من نفاق او انس او فطنة  
او بلاهة واني لاعرف من ابتداء كشف محبته الى من كان يحب بايات قاتها  
فهذا وشبهه يبتدي به الطالب للمودة فان رأى انساً وتسهيلاً زاد وان يمين  
شيئاً من هذه الامور في حين انشاده لشيء مما ذكرناه او ايراده لبعض المعاني  
التي حددنا وانتظاره الجواب اما بانفظ او بهيئة الوجه والحركات لموقف بين  
الرجاء واليأس هائل وان كان حيناً قصيراً ولكنه اشراف على بلوغ الامل

او انقطاعه (ومن التعريض بالقول) جنس ثان ولا يكون الا بعد الاتناق ومعرفة  
الحجة من المحبوب فحينئذ يقع التشكي وعقد المواعد واتعديد واحكام المودات  
بالتعريض وبكلام يظهر لسامعه منه معنى غير ما يذهبان اليه فيجيب السامع عنه  
بجواب غير ما يتأدى الى المقصود بالكلام على حسب ما يتأدى الى سمعه ويسبق  
الى وهمه وقد فهم كل واحد منهما عن صاحبه واجابه بما لا يفهمه غيرهما الا  
من أيد بحس نافذ واعين بذكاء وامد بتجربة ولا سيما ان احسن من معانيهما  
بشيء وقل ما يغيب عن التوسم الحميد فهناك لا خفاء عليه في ما يريدان  
(وانا اعرف) ففي وجارية كانا يتحابان فارادها في بعض وصلها على بعض  
ما لا يحمل فقالت والله لا شكوكك في الملا علانية ولا فضحكك فضيحة مستورة  
فما كان بعد ايام حضرت الجارية مجلس بعض اكابر الملوك واركان الدولة  
واجل رجال الخلافة وفيه ممن يتوق امره من النساء والخدم عدد كثير وفي  
جثة الحاضرين ذلك الفتى لانه كان بسبب من الرئيس وفي المجلس مقنيات  
غيرها فما اتى الغناء اليها سوّت عودها واندفعت تغني بايات قديمة وهي :

غزال قد حكى بدر التمام      كشمس قد تجلت من غمام  
سبي قلبي بالحظ مراض      وقد الفصن في حسن القوام  
خضعت خضوع صب مستكين      له وذلت ذلة مستهام  
فصلني يا فديتك في حلال      فما اهوى وصالا في حرام

وعفت انا هذا الامر فقلت :

عذاب واقع وشكاة ظلم      انت من ظالم حكم وبخضم  
تشكت ما بها لم يدر خلق      سوى المشكو ما كانت تسمي



## ﴿ باب الإشارة بالعين ﴾

ثم يتلو التعريض بالقول اذا وقع القبول والموافقة الاشارة باحظ العين  
وانه يقوم في هذا المعنى المقام المحمود وبياح البالغ العجيب ويقطع به ويتواصل  
ويوعد ويهدد ويتهر ويسقط ويؤمر وينهى وتضرب به الاعداد وينبه على الرقيب  
ويضحك ويحزن ويسئل ويحجب ويمنع ويعطي واكمل واحد من هذه المعاني  
ضرب من هيئة اللخط لا يوقف على تحديده الابالرؤية ولا يمكن تصويره ولا  
وصفه الا الاقل منه وانا واصف ما تنسر من هذه المعاني فالاشارة بمؤخر العين  
الواحدة نهى عن الامر وتفتيرها اعلام بالقول وادامة نظرها دليل على التوجع  
والاسف وكسر نظرها آية الفرج والاشارة الى اطرافها دليل على التهديد  
وقلب الخدقة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه والاشارة  
الخفية بمؤخر العينين كتابتها سؤال وقلب الخدقة من وسط العين الى المايق  
بسرعة شاهد المنع وترعيد الخدقتين من وسط العينين نهى عام وسائر ذلك  
لا يدرك الا بالمشاهدة واعلم ان العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد  
والحواس الاربع ابواب الى القلب ومنافذ نحو النفس والعين ابغها واحمها دلالة  
واوعاها عملاً وهي رائد النفس الصادق ودليها الهادي ومرآتها المجاورة التي بها  
تقف على الحقائق وتحوز الصفات وتنهم المحسرات وقد قيل ليس الخبر  
كالمعين وقد ذكر ذلك افليمون صاحب الفراسة وجعلها معتمدة في الحكم  
وبحسبك من قوة ادراك العين انها اذا لاقى شعاعها شعاعاً مجلياً صافياً اما  
حديداً ، منصولاً او زجاجاً او ماء او بعض الحجارة الصافية او سائر الاشياء  
المجولة البراقة ذوات الرقيق والبصيص واللحمان يتصل اقصى حدوده بحجم  
كثيف سائر مناع كدور انعكس شعاعها فادرك الناظر نفسه وحازها عياناً  
وهو الذي ترى في المرأة فانت حينئذ كالناظر اليك بعين غيرك ودليل عياني

على هذا انك تأخذ مرأتين كبيرتين فتمسك احدهما بيمينك خلف رأسك  
والثانية بيسارك قبالة وجهك ثم تزويها قليلاً حتى يلتقيان بالمقابلة فانك ترى  
قفاك وكل ما وراءك وذلك لانعكاس ضوء العين الى ضوء المرأة التي خلفك  
اذ لم تجد منفذاً في التي بين يديك ولما لم تجد وراء هذه الثانية منفذاً انصرف  
الى ما قبله من الجسم وان كان صالح غلام ابي اسحق النظام خالف في  
الادراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه احد ولو لم يكن من فضل العين  
الا ان جوهرها ارفع الجواهر واعلاها مكانا لانها نورية لاتدرك الالوان  
بسواها ولاشيء ابعد مرمى ولا انأى غاية منها لانها تدرك بها اجرام الكواكب  
التي في الافلاك البعيدة وترى بها السهء على شدة ارتفاعها وبعدها وليس ذلك  
الاتصالها في طبع خلقتها بهذه المرأة فهي تدركها وتصل اليها بالظفر لاعلى  
قطع الاماكن والحلول في المواضع وتنفذ الحركات وليس هذا لشيء من  
الحواس مثل الذوق واللمس لا يدركان الا بالمجاورة والسمع والشم لا يدركان  
الا من قريب ودليل على ما ذكرناه من الظفر انك ترى الصوت قبل سماع  
الصوت وان تعمدت ادراكهما معاً وان كان ادراكهما واحداً لما تقدمت  
العين والسمع .

### ﴿ باب المراسلة ﴾

ثم يتلو ذلك اذا امتزجا المراسلة بالكتب وللكتب آيات ولقد رأيت اهل  
هذا الشأن يادرون لقطع الكتب وبحلها في الماء ويمحو اثرها قرب فضيحة  
كانت بسبب كتاب وفي ذلك اقول :

عزيز علي اليوم قطع كتابكم      ولكنه لم يلف للود قاطع  
فأثرت ان يبق وداد ويمتحي      مداد فان الفرع للاصل تابع  
فكم من كتاب فيه مية ربه      ولم يدره اذ تمتته الاصابع

وينبغي ان يكون شكل الكتاب الطف الاشكال وجنسه املح الاجناس  
ولعمري ان الكتاب للسان في بعض الاحايين اما لخصر في الانسان واما  
لحياء واما لاهية نعم حتى ان لوصول الكتاب الى المحبوب وعلم الحب انه قد  
وقع يده ورآه للذة يجدها الحب عجيبة تقوم مقام الرؤية وان ارد الجواب  
والنظر اليه سروراً يعدل اللقاء ولهذا ماترى العاشق يضع الكتاب على عينيه  
وقلبه ويعانقه ولعهدي ببعض اهل المحبة ممن كان يدري ما يقول ويحسن  
الوصف ويعبر عما في ضميره بلسانه عبارة جيدة ويجيد النظر ويدقق في الحقائق  
لايدع المراسلة وهو ممكن الوصل قريب الدار آتي الزار ويحكى انها وجوه  
اللذة ولقد اخبرت عن بعض السقاط الوضء انه كان يضع كتاب محبوه  
على احليله وان هذا النوع من الاغتلام قبيح وضرب من الشبق فاحش واما  
سقي الجبر بالدمع فاعرف من كان يفعل ذلك ويقارضه محبوه بسقي الجبر بالريق  
وفي ذلك اقول :

جواب أتاني عن كتاب بعته فسكن مهتاجاً وهيج ساكناً  
سقيت بدمع العين لما كتبه فعال محب ليس في الود خائناً  
فما زال ماء العين يحوسطوره فيا ماء عيني قد محوت المحاسنا  
غدا بدموعي اول الخط يتنا واضحى بدمعي آخر الخط باثنا  
(خير) ولقد رأيت كتاب الحب الى محبوه وقد قطع في يده بسكين له  
فسال الدم واستمد منه وكتب به الكتاب اجمع ولقد رأيت الكتاب بعد جفوفه  
فما شككت انه يصبغ الملك .

### ﴿ باب السفير ﴾

ويقع في الحب بعد هذا بعد حلول الثقة وتأم الاستئناس ادخال السفير  
ويجب تحيره وارتياذه واستجاده واستفراجه فهو دليل عقل المرء ويده حياته  
وموته وستره وفضيخته بعد الله تعالى فينبغي ان يكون الرسول ذا هيئة حاذقاً

يكتفي بالإشارة وقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه ويضع من عقله ما اعقله باعته ويؤدي الى الذي ارسله كل ما يشاهد على وجهه كاتماً للاسرار حافظاً للعهد وفياً قنوعاً ناصحاً ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعته بمقدار ما نقصه منها وفي ذلك اقول شعراً منه :

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساماً ولا تضرب به قبل صقله  
فمن يك ذا سيف ~~ك~~هام فضره يعود على المعنى منه بحمله  
واكثر ما يستعمل المحبون في ارسالهم الى من يحبونه اما حائلاً لا يؤبه  
له ولا يهتدي للحفاظ منه لصياه او لهيأة رثة او بدادة في طلعتة واما جليلاً  
لا تلحقه الظن لنسك يظهره او لسن عالية قد بلغها وما اكثر هذا في النساء  
ولاسيما ذوات العكاكيز والتسايع والثوبين الاخرين واني لا ذكر بقرطبة  
التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيث مارأيتها او ذوات صناعة يقرب  
بها من الاشخاص فمن النساء كالطبية والحجامة والسراقاة والدلالة والماشطة  
والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع في المغزل والتسج وما اشبه  
ذلك او ذا قرابة من المرسل اليه لا يشح بها عليه فكم منيع سهل بهذه  
الافصاف وعير يسر وبعيد قرب وجوح انس وكم داهية دعت الحجب  
المصونة والاستار الكثيفة والمقاصير المحروسة والسدد المضبوطة لارباب هذه  
النعوت ولولا ان ابنه عليها لما ذكرتها ولكن لقطع النظر فيها وقلة الثقة  
بكل واحد والسعيد من وعظ بغيره وبالضد اسبل الله علينا وعلى جميع المسلمين  
ستره ولا ازال عن الجميع ظل العافية

( خبر ) واني لاعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة ويعقد الكتاب

في جناحها وفي ذلك اقول قطعة منها

تخيرها نوح فما خاب ظنه لديها وجاءت نحوه بالبشار  
سأودعها كتي اليك فما كها رسائل تهدي في قوادم طائر



## (باب طي السر) محمد بن عبد الله بن محمد

ومن بعض صفات الحب الكتمان باللسان وجحود الحب ان سئل والتصنع  
 باظهار الصبر وان يري انه عزه<sup>(١)</sup> خي وبأى السر الدقيق ونار الكلف  
 المتأججة في الضلوع الاظهوراً في الحركات والعين وديباً كديب النار في  
 الفحم والماء في بيس المدر وقد يمكن التموه في اول الامر على غير ذي  
 الحس اللطيف واما بعد استحكامه فحال وربما يكون السبب في الكتمان  
 تصاون الحب عن ان يسم نفسه بهذه السمة عند الناس لانه يزعمه من صفات  
 اهل البطالة فيفر منه ويتفادى منه وما هذا وجه التصحيح فبحسب المرء المسلم  
 ان يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره ومحاسب عليها يوم  
 القيامة واما استحسان الحسن وتمكن الحب قطيع لا يؤمر به ولا ينهى عنه  
 اذ القلوب بيد مقلبيها ولا يلزمها غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطاء  
 والصواب وان يتقدم الصحيح باليقين واما المحبة فخلقها وانما يملك الانسان  
 حركات جوارحه المكتسبة وفي ذلك اقول :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى	وسيان عندي فيك لاح وساكت
يقولون جانبك التصاون جملة	وانت عليهم بالشرعية قانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه	صراحاً وزكي المرائين ماقت
متى جاء تحريم الهوى عن محمد	وهل منعه في حكم الذكر ثابت
اذا لم اوقع محرماً اتقي به	محيثي يوم البعث والوجه باهت
فلست ابالي في الهوى قول لأم	سواء لعمرى جاهر او مخافت
وهل يلزم الانسان الا اختياره	وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت

(١) قال في الاساس : هو عزه<sup>(١)</sup> عن الله والنساء اذا لم يردهن ورغب عنهن . قال  
 اذا كنت عزه<sup>(١)</sup> عن الله والصبا فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

(خبر) واني لأعرف بعض من امتحن بشيء من هذا فسكن الوجد بين جوانحه فرام ججده الى ان غلظ الامر وعرف ذلك في شمائله من تعرض للمعرفة ومن لم يتعرض وكان من عرض له بشيء نجبه (١) وقبحه الى ان كان من اراد الخطوة لديه من اخوانه يوجهه تصديقه في انكاره وتكذيب من ظن به غير ذلك فسر بهذا ولعهدي به يوماً قاعداً ومعه بعض من كان يعرض له بما في ضميره وهو ينتهي غاية الانتفاء اذ اجتاز بهما الشخص الذي كان يتهم بعلاقته فما هو الا ان وقعت عينه على محبوبه حتى اضطرب وفارق هيأته الاولى واصفر لونه وتفاوتت معاني كلامه بعد حسن تثقيف فقطع كلامه المتكلم معه فلقد استدعى ما كان فيه من ذكره فقل له ما عدا عما بدا فقال هو ما تظنون عذر من عذر وعذر من عذر ففي ذلك اقول شعراً منه :

ماعاش الا لان الموت يرحمه      مما يرى من تباريح الضنى فيه  
وانا اقول :

دموع الصب تنسلك      وستر الصب ينهتك  
كأن القلب اذ يبدو      قطرة ضمها شرك  
فيا أصحابنا قولوا      فان الرأي مشترك  
الى كم ذا أكتمه      وما لي عنه مترك

وهذا انما يعرض عند مقاومة طبع الكتمان والتعاون لطبع الحب وغلبته فيكون صاحبه متحيراً بين نارين محرقتين وربما كان سبب الكتمان ابقاء الحب على محبوبه وان هذا لمن دلائل الوفاء وكرم الطبع وفي ذلك اقول :

درى الناس أني فتى عاشق      كتيب معنى ولكن بمن  
اذا عاينوا حالي ايقنوا      وان قنشوا رجعوا في الظن  
كنخط يرى رسمه ظاهراً      وان طلبوا شرحه لم ين

(١) نجمة الرجل رده اقبح رد

كصوت حمام على ايكة يرجع بالصوت في كل فن  
تأذ بفحواه أسمعنا ومعناه مستعجم لم بين  
يقولون بالله سم الذي نفى حبه عنك طيب الوسن  
وهيأت درن الذي حاولوا ذهاب العقول وخوض الفتن  
فهم ابدأ في احتلاج الشكوك بظن كقطع وقطع كظن

وفي كتمان السر اقول قطعة منها :

للسر عندي مكان لو يحل به حي اذا لا اهتدى ريب النون له  
امته وحياة السر ميتة كما سرور المعنى في الهوى الوله  
وربما كان سبب الكتمان توقي المحب على نفسه من اظهار سره لجلالة  
قدر المحبوب

(خبر) ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة شعراً تغزل فيه بصبح ام المؤيد  
رحمه الله فغنت به جارية ادخلت على المنصور محمد ابن ابي عامر ليتاعها  
فامر بقتلها

(خبر) وعلى مثل هذا قتل احمد بن مغيث واستئصال آل مغيث والتسجيل  
عليهم الا يستخدم بواحد منهم ابدأ حتى كان سبباً لهلاكهم واتقراض بيتهم فلم  
يبق منهم الا الشريد فقال وكان سبب ذلك تغزله باحدى بنات الخلفاء ومثل  
هذا كثير ويحكى عن الحسن بن هانيء انه كان مغرمًا بحب محمد بن هارون  
المعروف بابن زبيدة واحسن منه بعض ذلك فاتهره على ادامة النظر اليه فذكر  
عنه انه قال انه كان لا يقدر ان يديم النظر اليه الا مع غلبة السكر على محمد  
وربما كان سبب الكتمان الا ينفر المحبوب او ينفر به فاني أدري من كان  
محبوبه له سكناً وجليساً ولو باح باقل سبب من انه يهواه لكان منه مناط  
الزنا قد تلت نجومها وهذا ضرب من السياسة ولقد كان يبلغ من انبساط  
هذا المذكور مع محبوبه الى فوق الغاية وابتعد النهاية فما هو الا ان باح اليه

بما يجد صار لا يصل الى التافه اليسير مع التيه ودالة الحب وتمنع الثقة بملك  
الفؤاد وذهب ذلك الانبساط ووقع التصنع والتجني فكان اخاً فصار عبداً  
ونظيراً فعاد اسيراً ولو زاد في برحه شيئاً الى ان يعلم خاصة المحبوب ذلك لما  
رآه الا في الطيف ولا تقطع القليل والكثير ولعاد ذلك عليه بالضرر وربما كان  
من اسباب السكتمان الحياء الغالب على الانسان وربما كان من اسباب السكتمان  
ان يرى الحب من محبوبه انحرافاً وصدأً ويكون ذا نفس ابيه فيستتر بما يجد لئلا  
يشمت به عدو او يريهم ومن يحب هوان ذلك عليه

### ﴿ باب الاذاعة ﴾

وقد تعرض في الحب الاذاعة وهو من منكر ما يحدث من اعراضه ولها  
اسباب منها ان يريد صاحب هذا الفعل ان يتزني بزى الحين ويدخل في  
عدادهم وهذه خلافة لا ترضى وتخلج بغض ودعوى في الحب ذائفة وربما  
كان من اسباب الكشف غلبة الحب وتسور الجهر على الحياء فلا يملك الانسان  
حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً وهذا من ابعد غايات العشق واغوى تحكمه على  
العقل حتى يمثل الحسن في تمثال القبيح والقبيح في هيئة الحسن وهناك يرى  
الخير شراً والشر خيراً وكل من مصون الستر مسبل القناع مسدول الغطاء قد  
كشف الحب ستره واباح حرمة واحمل حماء فصار بعد الصيانة علماً وبعد  
السكون مثلاً وأحب شيء اليه الفضيحة فيما لو مثل له قبل اليوم لاعتراه النافض  
عن ذكره ولطالت استعاذته منه فسهل ما كان وعراً وهان ما كان عزيزاً  
ولان ما كان شديداً ولعهدي بفتى من سروات الرجال وعلية اخواني قد دهي  
بمحبة جارية مقصورة فلم بها وقطعه حبها عن كثير من مصالحه وظهرت آيات  
هواه لكل ذي بصر الى ان كانت هي تغذله على ما ظهر منه مما يقوده  
اليه هوى .

( خبر ) وحدثني موسى بن عاصم بن عمرو قال كنت بين يدي ابي الفتح  
والذي رحمه الله وقد امرني بكتب اكتبه اذ لحت عيني جارية كنت اكلف  
بها فلم املك نفسي ورميت الكتاب عن يدي وبادرت نحوها وبهت ابي وظن  
انه عرض لي عارض ثم راجعني عقلي فمسحت وجهي ثم عدت واعتذرت بانه  
غلبني الرعاف واعلم ان هذا داعية نفاق المحبوب وفساد في التدبير وضعف في  
السياسة وما شئ من الاشياء الا ولما أخذ فيه سنة وطريقة متى تعداها الطالب  
او خرق في سلوكها انعكس بعلمه عليه وكان كده عناء وتعبه هباءً وبخسه  
زيادة وكلما زاد عن وجه السيرة انحرافاً وفي تجنبها اغراقاً وفي غير الطريق  
ما يغالا ازداد عن بلوغ مراده بعداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

ولا تسع في الامر الجسيم تهازئاً ولا تسع جهراً في السير تريده  
وقابل افاكين الزمان متى يرد عليك فان الدهر جم وروده  
فاشكاه من حسن سعيك يكفك السير بغير والثريد شريده  
الم تبصر الصباح اول وقده واشعاله بالنفخ يطفأ وقوده  
وان ينصرم لفحه ولهيه فتفخك يذككه وتبدو مدوده

( خبر ) واني لاعرف من اهل قرطبة من ابناء الكتاب وجلة الخدمة من  
اسمه احمد بن فتح كنت اعهد كثير التصاون من بغاة العلم وطلاب الادب يبرز  
اصحابه في الانقباض ويفوت في الدعة لا يظهر الا في حلقة فضل ولا يرى الا في  
محفل مرضي محمود المذاهب جميل الطريقة بائناً بنفسه ذاهباً بها ثم ابعدت الاقدار  
داري من داره فأول خبر طراً علي بعد اطاعتني شاطبة انه خلع عذاره في  
حب فتى من ابناء الفتانين يسمى ابراهيم بن احمد اعرفه لاتستاهل صفاه  
محبة من بيته خير وتقدم واموال عريضة ووفر تالد وصح عندي انه كشف  
رأسه وابدى وجهه ورمى رسته وحسر محياه وشمر عن ذراعيه وصمد اصمده  
الشهوة فصار حديثاً للسمار ومدافعاً بين نقلة الاخبار وتهودي ذكره في

الاقطار وجرت نقلته في الارض راحلة بالتعجب ولم يحصل من ذلك الا على كشف الغطاء واذاعة السر وشعة الحديث وفتح الاحدثة وشروء محبوبه عنه جملة والتحضير عليه من رؤيته البتة وكان غنياً عن ذلك وبمندوحة واسعة ومعزل رجب عنه ولو طوى مكنون سره واخفى بليات ضميره لاستدام لباس العافية ولم ينهج (١) برد الصيانة ولكن له في لقاء من يلي به ومحادثته ومجالسته امل من الآمال وتعلل كاف وان جبل الغدر ليقطع به والحجة عليه قائمة الا ان يكون مختلطاً في تميزه او مصاباً في عقله بجليل مافدحه فربما آل ذلك للغدر صحيح واما ان كانت بقية او ثبتت مسكة فهو ظالم في تعرضه ما يعلم ان محبوبه يكرهه ويتأذى به وهذا غير صفة اهل الحب وسيأتي هذا مفسراً في باب الطاعة ان شاء الله تعالى

### ﴿ ومن اسباب الكشف وجه ثالث ﴾

وهو عند اهل العقول وجه مرذول وفعل ساقط وذلك ان يرى الحب من محبوبه غدرأ او مللاً او كراهة فلا يجد طريق الاتصاف منه الا بما ضرره عليه اعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار وهذا اشد العار واقبح الشار واقوى بشواهد عدم العقل ووجود السخف وربما كان الكشف من حديث ينتشر واقوايل تفشو وتوافق قلة مبالة من الحب بذلك ورضى بظهور سره اما لا عجاب واما لاستظهار على بعض ما يؤمله وقد رأيت هذا الفعل لبعض اخواني من ابناء القواد وقرأت في بعض اخبار الاعراب ان نساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه وبجاهر ويعلن وينوه بذكرهن ولا ادري ما معنى هذا على انه يذكر عنهن العفاف واي عفاف مع امرأة اذ اقصى منها وسرورها الشهرة في هذا المعنى

---

(١) نهج الثوب اخلقه



## ﴿ باب الطاعة ﴾

ومن عجيب مايقع في الحب طاعة الحب لمحبوبه وصرفه طباعه قسراً الى طباع من يحبه ربما يكون المرء شرس الخلق صعب الشكيمة جموح القياد ماضي الغزيرة حيي الاف ابي الخلف فما هو الا ان يتنعم نعيم الحب وتورط غمره ويعوم في بحره عادت الشراسة ليلاً والصعوبة سهلة والمضاء كلاله والحمية استسلاماً وفي ذلك اقول قطعة منها :

فهل للوصل الينا معاد      وهل لتصاريف ذا الدهر حد  
فقد اصبح السيف عبد القضيبي      واضحى الغزال الاسير أسد

واقول شعراً منه :

واني وان تسب لاهون هالك      كذائب تقررل من يدجهذ  
على ان قتلي في هواك لذادة      فيا عجياً من هالك متلذذ

ومنها :

ولو ابصرت انوار وجهك فارس      لاغناهم عن هرمزان وموبذ  
وربما كان المحبوب كارهأ لاطهار الشكوى متبرماً بسباع الوجد فترى الحب حينئذ يكم حزنه ويكظم اسفه وينطوي على غلته وان الحبيب متجن فعندها يقع الاعتذار عند كل ذنب والاقرار بالجريمة والمرء منها بريء تسلياً لقوله وتركاً لمخالفته واني لاعرف من دهي بمنل هذا فما كان ينفك من توجيه الذنوب نحوه ولاذنب له وايقاع العتاب عليه والسخط وهو تي الجلد واقول شعراً الى بعض اخواني ويقرب مما نحن فيه وان لم يكن منه :

وقد كنت تلقاني بوجه لقربه      تدان وللهجران عن قربه سخط  
وما تكره العتب اليسر سيجتي      على انه قد عيب في الشعر الوخط

فقد يتعب الانسان في الفكر نفسه      وقد يحسن الخيلان في الوجه والنقطة  
ترين اذا قلت ويفحش امرها      اذا افطمت يوماً وهل يحمد الفرط  
ومنه :

اعنه فقد اضحى لفرط همومه      يبكي اذ القرطاس والخبر والحط  
ولا يقولن قائل ان صبر الحب على ذلة المحبوب دناءة في النفس فقد اخطأ  
وقد علمنا ان المحبوب ليس له كفواً ولا نظيراً فيقارض باذاه وليس سبه وجفاده  
مما يعير به الانسان ولا يبقى ذكره على الاحتباب ولا يقع ذلك في مجالس الخلفاء  
ولا في مقاعد الرؤساء فيكون الصبر مستجرة للمذلة وضراعة قائدة للاستهانة  
فقد ترى الانسان يكلف بامته التي يملك رقبها ولا يحول حائل بينه وبين التعدي  
عليها فكيف الانتصار منها وسبل الامتياز من السبب غير هذه انما ذلك بين  
علية الرجال الذين تحصل انفاسهم وتتبع معاني كلامهم فوجه لها الوجوه  
البعيدة لانهم لا يوقعونها سدى ولا يلقونها هملاً واما المحبوب فصعدة ثابتة وقضيب  
متأد يحنو ويرضى متى شاء لاملنى وفي ذلك اقول :

ليس التذلل في الهوى يستنكر      فالحب فيه يخضع المستنكر  
لا تعجبوا من ذاتي في حالة      قد ذل فيها قبلي المستنصر  
ليس الحبيب مائلاً ومكافياً      فيكون صبرك ذلة اذ تصبر  
تفاحة وقعت فألم وقوعها      هل قطعها منك انتصاراً يذكر

( خبر ) وحدثني ابو دلف الوراق عن ملهة ابن احمد الفياسوف المعروف  
بالمرجطي انه قال في المسجد الذي بشرقى مقبرة قریش بقرطبة الموازي لدار  
الوزير ابن عمرو احمد بن محمد بن جدير رحمه الله في هذا المسجد كانت  
مقدم بن الاصغر مريضاً ايام حداته بمشق بعجب ففى الوزير ابى عمرو  
المذكور وكان يترك الصلاة في مسجد مسرور وبها كان سكناه ويقصد في الليل  
والنهار الى هذا المسجد بسبب عجب حتى اخذه الحرس غير ما مرة في الليل

في حين انصرفه عن صلاة العشاء الآخرة وكان يقعد وينظر منه الى ان كان الفتي يغضب ويضجر ويقوم اليه فيوجهه ضرباً ويلطم خديه وعينه فيسر بذلك ويقول هذا والله اقصى امنيتي والآن قرت عيني وكان على هذا زماناً يماشيه قال ابو دلف ولقد حدثنا مسلم بهذا الحديث غير مرة بحضرة عجيب عندما كان يرى من وجاهة مقدم بن الاصغر وعرض جاهه وعافيته فكانت حال مقدم بن الاصغر هنذا قد جات جداً واخص بالمظن ابن ابي عامر اختصاصاً شديداً واتصل بوالدته واهله وجرى على يديه من بنيان المساجد والسقايات وتسهيل وجوه الخير غير قليل مع تصرفه في كل ما يتصرف فيه اتحاب السلطان من العناية بالناس وغير ذلك

(خبر) واشنع من هذا انه كانت لسميد بن منذر بن سميد صاحب الصلاة في جامع قرطبة ايام الحكم المستنصر بالله رحمه الله جارية يحبها حباً شديداً فمرض عليها ان يعتقها وتزوجها فقالت له ساخرة به وكان عظيم اللحية ان لحيتك استبشع عظمها فان حذفت منها كان ما ترغبه فاعمل الجليلين فيها حتى لطفت ثم دعا بجاعة شهود واشهدهم على عتقها ثم خطبها الى نفسه فلم ترض به وكان في جملة من حضر اخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر اعرض عليها اني اخطبها انا ففعل فاجابت اليه فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده فانا ادركت سعيدها هذا وقتله البربر يوم دخولهم قرطبة عنوة واتهابهم اياها وحكم المذكور اخوه هو رأس المرتلة بالاندلس وكبيرهم واستاذهم ومتكلمهم وناسكهم وهو مع ذلك شاعر طيب وفقه وكان اخوه عبد الملك بن منذر متهماً بهذا المذهب ايضاً ولي خطبة الري الرد ايام الحكم رضي الله عنه وهو الذي صلبه النصور بن ابي عامر اذ اتهمه هو وجماعة من النقباء والقضاة قرطبة انهم يبايعون سرّاً لعبد الرحمن بن عبيد الله بن امير المؤمنين الناصر رضي الله عنهم فقتل عبد الرحمن وصاب عبد الملك بن منذر وبدد شمل جميع

عن اثمهم وكان ابوهم قاضي القضاة منذر ابن سعيد متهماً بذهب الاعتزال ايضاً  
وكان اخطب الناس واعلمهم بكل فن واورعهم واكثرهم هزلاً ودعابة وحكم  
المذكور في الحياة في حين كتابتي اليك بهذه الرسالة قد كف بصره  
وأسن جداً

(خبر) ومن عجيب طاعة الحب المحبوبة اني اعرف من كان سهر الليالي  
الكثيرة ولقي الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضرور الوجد ثم ظنر بمن يحب  
وليس به امتناع ولا عنده دفع فحين رأى منه بعض الكراهة لما نواه تركه  
وانصرف عنه لاتعفنأ ولا تخوفاً لكن توقفاً عند موافقة رضاه ولم يجد من نفسه  
معينا على اتيان ما لم ير له اليه نشاطاً وهو يجحد ما يجحد واني لاعرف من فعل  
هذا الفعل ثم تدم وتند ما ظهر من المحبوب فقلت في ذلك :

غافض (١) الفرصة واعلم انها كمضي البرق تمضي الفرص  
كم امور امكنت امهلها هي عندي اذ تولت غصص  
بادر الكنز الذي الفيته واتهن صبراً كبحار يقنص

ولقد عرض مثل هذا بعينه لابي المظفر عبد الرحمن ابن احمد بن محمود  
صديقنا وانشدته ابياتاً لي فطار بها كل مطار واخذها مني فكان هجيراً  
(خبر) ولقد سألتني يوماً ابو عبد الله محمد بن كليب من اهل القبروان  
ايام كوني بالمدية وكان طويل اللسان جداً مثقفاً للسؤال في كل فن فقال لي  
وقد جرى بعض ذكر الحب ومعانيه اذا كره من احب لقائي وتجنب قربى  
فما اصنع قلت ارى ان تسعى في ادخال الروح على نفسك بلقاءه وان كره  
فقال لكني لا ارى ذلك بل اؤثر هواه على هواي ومراده على مرادي واصبر  
واصبر ولو كان في ذلك الحنف فقلت له اني انما احبته لنفسي ولالاتذاهها بصورته

---

(١) غافضة غفاصاً ومنافضة : فاجأه واخذته على غرة منه

فأنا اتبع قياسي واقود اصلي واقفو طريقتي في الرغبة في سرورها فقال لي هذا ظلم من القياس اشد من الموت ما تمنني له الموت واعز من النفس ما بذلت له النفس فقلت له ان بذلك نفسك لم يكن اختياراً بل كان اضطراراً ولو أمكنك الا تبذلها لما بذلتها وتركك لقاءه اختياراً منك انت فيه ملوم لاضراك بنفسك وإدخالك الحنف عليها فقال لي انت رجل جدلي ولا جدل في الحب يلتفت اليه فقات له اذا كان صاحبه مأوفاً (١) فقال واي آفة اعظم من الحب .

### ﴿ باب المخالفة ﴾

وربما اتبع الحب شهوته وركب رأسه فبلغ شقاءه من محبوه وتعهد مسرته منه على كل الوجوه سخط اورضي ومن ساعده على الوقت هذا وثبت جناحه واتيحت له الاقدار استوفى لذته جميعاً وذهب غمه وانقطع همه ورأى امله وبلغ مرغوبه وقد رأيت من هذه صفته وفي ذلك اقول اياتاً منها :

{	اذا انا بلغت نفسي المنى	من رشحاً ما زال لي ممرضاً
	فما أبالي الكره من طاعة	ولا أبالي سخطاً من رضا
	اذا وجدت الماء لا بد أن	أطفي به مشعل جمر الفضا

### ﴿ باب العاذل ﴾

والحب آفات فأولها العاذل والعاذل اقسام فأصلهم صديق قد اسقطت مؤونة اشحفظ بينك وبينه فعذله افضل من كثير المساعدات وهي من الحظ والنهي وفي ذلك زاجر للنفس عجيب وتقوية لطيفة لها عرض وعمل ودواء تشد عليه الشهوة ولا سيما ان كان رفيقاً من قوله حسن التواصل الى ما يرد من المعاني

---

(١) الآفة العاهة : وأصابته آفة فهو مشرف

بلفظه عالماً بالاوقات التي يؤكد فيها النبي وبلاحيات التي يزيد فيها الامر  
والساعات التي يكون فيها وفقاً بين هذين على قدر ما يرى من تسهيل العاشق  
وتوعره وقبوله وعصيانه ثم عاذل زاجر لا يفيق ابداً من الملامة وذلك خطب  
شديد وعند ثقيل ووقع لي مثل هذا وان لم يكن من جنس الكتاب ولكنه  
يشبهه وذلك ان ابا السري عمار بن زياد صديقنا اكثر من عذلي على نحو  
نحوته واعان على بعض من لامني في ذلك الوجه ايضاً وكنت اظن انه سيكون  
معي مخطئاً كنت او مصيباً لو كيد صداقتي معه وصحيح اخوتي به ولقد رأيت  
من اشد وجده وعظم كلفه حتى كان العذل احب شيء اليه ليري العاذل  
عصيانه ويستلذ مخالفته ويحصل مقاومته اللائمة وغلبته اياه كالملك الهازم لعدوه  
والمجادل الماهر للغالب الخصمه ويسر بما يقع منه في ذلك وربما كان هذا  
المستجلب لعذل العاذل باشياء يوردها توجب ابتداء العذل وفي ذلك اقول  
اياتاً منها :

احب شيء الى اللوم والعذل كي اسمع اسم الذي ذكره لي امل  
كأني شارب بالعذل صافية وباسم مولاي بعد الشرب اتقل

### ﴿ باب المساعد من الاخوان ﴾

ومن الاسباب ائتمنة في الحب ان يهب الله عز وجل للانسان صديقاً  
مخلصاً لطيف القول بسيط الطول حسن المأخذ دقيق المتفد متمكن البيان  
مرهف اللسان جليل الحلم واسع العلم قليل الخائفة عظيم المساعدة شديد الاحتمال  
صابراً على الادلال جم الموافقة جميل الخائفة مستوي المطابقة محمود الخلاق  
مكثوف البوائق محتوم المساعدة كارهاً الماعدة نبيل المداخل مصروف العوائل  
غامض المعاني عارفاً بالاماني طيب الاخلاق سري الاعراق مكتوم السر كثير  
البر صحيح الامانة مأمون الحيانة كريم النفس نافذ الحس صحيح الحدس مضمون



العون كامل الصون مشهور الوفاء ظاهر الغناء ثابت القريحة مبذول النصيحة  
مستيقن الوداد سهل الانقياد حسن الاعتماد صادق اللهجة خفيف المهجة غفيف  
الطباع رحب الذراع واسع الصدر متخلقاً بالصبر يألف الاحياء ولا يعرف  
الاعراض يستريح اليه ببلابه ويشاركه في خلوة فقره ويفاوضه في مكتوماته  
وان فيه للمحب لا عظم الراحات واين هذا فان ظفرت به يدك فشدتها عليه  
شد الضنين وامسك بهما إمسك البخيل وصنه بطارفك وتلك فمه يكمل الانس  
وتنجلي الاحزان ويقصر الزمان وتطيب الاحوال ولن يفقد الانسان من  
صاحب هذه الصفة عوناً جيلاً ورأياً حسناً ولذلك اتخذ الملوك الوزراء والمخلاء  
كي يخففوا عنهم بعض ما حملوه من شديد الامور وطوقوه من باهض الاحمال  
ولكي يستغفوا آثامهم ويستمدوا بكفائهم والا فليس في قوة الطبيعة ان تقاوم  
كل ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها ولقد كان بعض  
الحسين لعدمه هذه الصفة من الاخوان وقلة ثقته منهم لما جربه من انس  
وانه لم يعدم من باح اليه بشيء من سره احد وجهين اما اذراء على رأيه  
واما اذاعة لسره اقام الوحدة مقام الانس وكان ينفرد في المكان التارخ عن  
الانيس ويتاجي الهوى ويكلم الارض ويحبد في ذلك راحة كما يحبد المريض  
في التأوه والحزون في الزفير فان الهوم اذا ترادفت في القلب طاق بها  
فان لم ينض منها شيء باللسان ولم يسترح الى الشكوى لم يلبث ان يهلك غماً  
ويموت اسفاً وما رأيت الاسعاد اكثر منه في النساء فعندهن من المحافظة على  
هذا الشأن والتواصي بكتمانهم والتواطيء على طيه اذا اطلعن عليه ما ليس عند  
الرجال وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين الا وهي عند النساء ممقوتة مستثناة  
مرمية عن قوس واحدة وانه ليوجد عند العجائز في هذا الشأن ما لا يوجد  
عند القتيات لان القتيات منهن ربما كشفتن ما علمن على سبيل التفسير وهذا

لا يكون الا في الندرة واما العجائز فقد يئسن من انفسهن فانصرف الاشفاق  
محضاً الى غيرهن

(خبر) واني لاعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم فشاع على احدى  
جواريهما انها تعشق فتى من اهلها ويعشقها وان بينهما معان مكروهة وقيل لها  
ان جارتك فلانة تعرف ذلك وعندها جلبه امره فاخذتها وكانت غليظة  
العقوبة فذاقها من انواع الضرب والاذاء مالا يصبر على مثله جلداء الرجال  
رجاء ان تبوح لها بشيء مما ذكر لها فلم تفعل البتة

(خبر) واني لاعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله عز وجل ناسكة مقبلة  
على الخير وقد طفرت بكتاب لفتى الى جارية كان يكلف بها وكان في غير  
ملكها فعرفته الامر فرام الانكار فلم يتبأ له ذلك فقالت له مالك ومن ذا  
عصم فلا تبالي بهذا فوالله لا اطلعت على سر كما احداً ابداً ولو امكنتي ان  
ابتاعها لك من مالي ولو احاط به كله لجعلتها لك في مكان تصل اليها فيه ولا  
يشعر بذلك احده وانك لترى المرأة الصالحة المسنة المنقطة الرجاء من الرجال  
واحب اعمالها اليها وارجاها للقبول عندها سعيها في ترويح يتيمة واعارة ثيابها  
وحلبها لعروس مقلدة وما اعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء الا انهن متفرغات  
البال من كل شيء الا من الجماع ودواعيه والغزل واسايبه والتألف ووجوهه  
لاشغل هن غيره ولاخلقن لسواه والرجال مقسمون في كسب المال وصحبة  
السلطان وطلب العلم وحياطة العيال ومكابدة الاسفار والصيد وضروب الصناعات  
ومباشرة الحروب وملاقة الفتن وتحمل المخاوف وعمارة الارض وهذا كله متحيف  
للفراغ صارف عن طريق البطل وقرأت في سير ملوك السودان ان الملك منهم  
يوكل ثقة له بنسائه يلقي عليهم ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها ابد الدهر  
لانهم يقولون ان المرأة اذا بقيت بغير شغل انما تشوق الى الرجال وتحن الى  
النكاح ولقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري لاني

ربيت في حجرهم ونشأت بين ايديهم ولم اعرف غيرهم ولا جالست الرجال الا وانا في حد الشباب وحين يتقبل وجهي وهن علفني القرآن ورويني كثيراً من الاشعار ودرّبتني في الخط ولم يكن وكدي واعمال ذهني مذ اول فهمي وانا في سن الطفولة جداً الا تعرف اسبابهن والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك وانا لالسي شيئاً مما اراه منهن واصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها وسوّ ظن في جهن فطرت به فاشرفت من اسبابهن على غير قليل وسيأتي ذلك مفسراً في ابوابه ان شاء الله تعالى

### ﴿ باب الرقيب ﴾

ومن آفات الحب الرقيب وانه لحي باطنة وبرسام ملح وفكر مكب والرقباء اقسام فاولهم مقل بالجلوس غير متعمد في مكان اجتمع فيه المرء مع محبوبه وعزما على اظهار شيء من سرهما والبرح بوجودهما والانفراد بالحديث ولقد يعرض المحب من القلق بهذه الصفة ما لا يمرض له مما هو اشد منها وهذا وان كان يزول سريعاً فهو عائق حال دون المراد وقطع متوفر الرجاء (خبر) ولقد شاهدت يوماً محبين في مكان قد ظنا انهما انفردا فيه وتأهبا للشكوى فاستجلبا ما هما فيه من الخلوة ولم يكن الموضع حي فلم يلبثا ان طلع عليهما من كاتا يستقلانه فرأى فعدل الي واطال الجلوس معي فلو رأيت الفتى المحب وقد تمازج الاسف البادي على وجهه مع الغضب لرأيت عجياً وفي ذلك اقول قطعة منها :

يطيل جلوساً وهو اثقل جالس ويدي حديثاً لست ارضى فنونه  
شمام ورضوى واللكام ويذبل ولبنان والضان والحرب دونه  
ثم رقيب قد احس من امرهما بطرف وتوجس من مذهبهما شيئاً فهو يريد  
ان يستبري حقيقة ذلك فيدمن الجلوس ويطيل القعود ويتخفى بالحركات ويرمق

الوجوه ويحصل الانقاس وهذا اعدا من الحرب واني لاعرف من هم ان  
بيادش رقيباً هذه صفته وفي ذلك اقول قطعة منها :

مواصل لا يغب (١) قصداً اعظم بهذا الوصال غمّاً

صار وصرنا لفرط ما لا يزول كالاسم والمسمّا

ثم رقيب على المحبوب فذلك لاحيلة فيه الابتضية واذا أرضى فذلك غاية  
اللذة وهذا الرقيب هو الذي ذكرته الشعراء في اشعارها ولقد شاهدت من تلطف في  
استرضاء رقيب حتى صار الرقيب عليه رقيباً له ومتغافلاً في وقت التغافل ودافعاً  
عنه وساعياً له ففي ذلك اقول :

ورب رقيب ارقبوه فلم يزل على سيدي عمداً ليعيدني عنه

فما زالت الالطاف تحكم أمره الى ان غدا خوفي له آمناً منه

وكان حساماً سل حتى يهديني فعاد محباً مالتعمته كنه

واقول قطعة منها :

صار حياة وكان سهم ردى وكان سماً فصار درياقاً (٢)

واني لاعرف من رقب على بعض من كان يشفق عليه رقيباً وثق به عند  
نفسه فكان اعظم الآفة عليه واصل البلاء فيه واما اذا لم يكن في الرقيب حياة  
ولا وجد الى ترضيه سبيل فلا طمع الا بالاشارة بالعين همساً وبال حاجب احياناً  
والتعريض اللطيف بالقول وفي ذلك متعة وبلاغ الى حين يقنع به المشتاق وفي  
ذلك اقول شعراً اوله :

على سيدي مني رقيب محافظ وفي لمن والاه ليس بناكت

ومنه :

ويقطع اسباب اللبابة في الهوى ويفعل فيها فعل بعض الحوارث

---

(١) يعني لا يقل في الزيارة (٢) الدرايق لغة في الترياق

كأن له في قلبه رية ترى وفي كل عين مخبر بالأحداث  
ومنه :

على كل من حولي رقيان رتباً وقد خصني ذو العرش منهم بثالث  
واشنع ما يكون الرقيب اذا كان ممن امتحن بالعشق قديماً ودهي به وطالت  
مدته فيه ثم عري عنه بعد إحكامه لمعانيه فكان راغباً في صيانة من رقب عليه  
فتبارك الله اي رقيب يأتي منه واي بلاء مصبوب يحل على اهل الهوى من  
جهته وفي ذلك اقول :

رقب طالما عرف الغراما وقاسى الوجد وامتنع النداما  
ولاقي في الهوى المآ ألياً وكاد الحب يورده الحماما  
وأثقل حيلة الصب المعنى ولم يضع الاشارة والكلاما  
واعقبه التسلي بعد هذا وصار يرى الهوى عاراً وذاماً (١)  
وصيردون من اهوى رقيباً ليعبد عنه صبا مستهاما  
فأي بلية صبت علينا واي مصيبة حلت لماما

ومن طريق معاني الرقباء اني اعرف محبين مذهبهما واحد في حب محبوب  
واحد بعينه فلهدي بهما كل واحد منهما رقيب على صاحبه وفي ذلك اقول :  
صبان هيئاتان (٢) في واحد كلاهما عن خدنه منحرف  
كالكلب في الأرى (٣) لا يختلف ولا يخفي الغير ان يختلف

---

(١) الدام العيب . ومنه المثل : لاتعدم الحسنة ذاماً  
(٢) رجل هيان يحب شديد الوجد  
(٣) في المختار : مما يضعه الناس في غير موضعه قولهم للمعلق آرى وانما  
الأرى محبس الدابة

## ﴿ باب الواشي ﴾

ومن آفات الحب الواشي وهو على ضربين أحدهما واش يريد القطع بين المتحابين فقط وإن هذا لأفترهما (١) سواء على أنه السم الذعاف والصاب الممقر (٢) والحنف القاصد والبلاء الوارد وربما لم ينجع ترقيشه (٣) وأكثر ما يكون الواشي فالى المحبوب وأما المحب فهيأت : حال الجريض دون القريض . ومنع الحرب من الطرب شغله بما هو مانع له من استماع الواشي وقد علم الوشاة ذلك وإنما يقصدون الى الحلي البال الصائل بحوزة الملك المتعقب عند أقل سبب وإن للوشاة ضرراً من التثيل فنها ان يذكر للمحبوب عن محب انه غير كاتم للسر وهذا مكان صعب المعاناه بطيء البرء الا ان يوافق معارضاً للمحب في محبته وهذا امر يوجب التفار فلا فرج للمحبوب الا بان تساعد الاقدار بالاطلاع على بعض اسرار من يحب بعد ان يكون المحبوب ذا عقل وله حظ من تمييز ثم يدعه والمطاولة فاذا تكذب عنده نقل الواشي مع ما أظهر من الجفاء والتحفظ ولم يسمع لسره اذاعة علم انه انما زور له الباطل واضمحل مقام في نفسه ولقد شاهدت هذا بعينه لبعض المحبين مع بعض من كان يحب وكان المحبوب شديد المراقبة عظيم الكتان وكثر الوشاة بينهما حتى ظهرت اعلام ذلك في وجهه وحدث في حب لم يكن وركبته رحمة وأظلمت فكمرة ودهمت حيرة الى ان ضاق صدره وباح بما نقل اليه فلو شاهدت مقام المحب في اعتذاره لعلمت ان الهوى سلطان مطاع وبناء مشدود الاواخي (٤) وسنان نافذ وكان اعتذاره بين الاستسلام والاعتراف والانكار والتوبة والرمي بالمقاييد فبعد لأي ماصليح

---

(١) يريد اقلهما اساءة واخفهما شراً (٢) أمقر صار مرأ (٣) رقص كلامه رقصاً زوقه وزخرفه (٤) كناية عن قوته ومثانة اساسه



الامر بينهما وربما ذكر الواشي ان ما يظهر الحب من المحبة ليست بصحيحة وان مذهبه في ذلك شفاء نفسه وبلوغ وطره وهذا فصل وان كان شديداً في النقل فهو ايسر معاناة مما قبله فحالة الحب غير حالة التلذذ وشواهد الوجد متفرقة بينهما وقد وقع من هذا نبد كافية في باب الطاعة وربما نقل الواشي ان هوى العاشق مشترك وهذه النار المحرقة والوجع الفاشي في الاعضاء واذا وافق الناقل لهذه المقالة ان يكون الحب فتي حسن الوجه حلو الحركات مرغوباً فيه مائلاً الى اللذات دنيوي الطبع والمحجوب امرأة جليلة القدر سرية المنصب فاقرب الاشياء سميها في اهلاكه وتصديها لحقه فكم صريع على هذا السبب وكم من سقى السم فقطع أمعاء لهذا الوجه وهذه كانت ميثه مروان بن احمد ابن حدير والد احمد المنسلك وموسى وعبد الرحمن المعروفين بابي لبني من قبل قطر الندى جاريته وفي ذلك اقول محذراً لبعض اخواني قطعة منها :

وهل يأمن النسوان غير مغفل | جهول لاسباب الردى متأرض  
وكم وارد حوضاً من الموت اسود | ترشفه من طيب الطعم ايض  
والثاني واش يسعى للقطع بين المحبين لينفرد بالمحجوب ويستأثر به وهذا اشد شيء واقطعه واجزم لاجتهاد الواشي واستفادة جهده ومن الوشاة جنس ثالث وهو واش يسعى بهما جميعاً ويكشف سرهما وهذا لا ياتفت اليه اذا كان الحب مساعداً

وفي ذلك اقول :

عجبت لو اش ظل يكشف امرنا | وما يسوى اخبارنا يتنفس  
وماذا عليه من عنائي ولوعتي | أنا آكل الرمان والولدي يضرس  
ولا بد أن اورد ما يشبه ما نحن فيه وان كان خارجاً منه وهو شيء في بيان التنكيل والتأثم فالسلام يدعو بعضه بعضاً كما شرطنا في اول الرسالة وما في جميع الناس شر من الوشاة وهم التهامون وان التهمة لطبع يدل على نقي الاصل

ورداءة الفرع وفساد الطبع وخبث النشأة ولا بد لصاحبه من الكذب . والنميمة  
فرع من فروع الكذب ونوع من انواعه وكل تمام كذاب وما احببت كذاباً .  
قط وإني لاساح في اخاء كل ذي عيب وان كان عظيماً واكل امره الى خالقه  
عز وجل وأخذ ما ظهر من اخلاقه حاشي من اعلمه يكذب فهو عندي ماح  
لكل محاسنه ومغف على جميع خصاله ومذهب كل مافيه فما ارجو عنده خيراً  
اصلاً وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذام (١) فقد يمكن  
الاستتار به والتوبة منه حاشا الكذب فلا سبيل الى الرجعة عنه ولا الى  
كتفاته حيث كان وما رأيت قط ولا اخبرني من رأى كذاباً وترك الكذب ولم  
يعد اليه ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة الا ان اطلع له على الكذب فيخذ  
أكون انا القاعد الى مجانبته والمتعرض لمماركته وهي سمة ما رأيتها قط في احد  
الا وهو مزنون (٢) في نفسه اليه بشق مغموز عليه لعاهة سوء في ذاته نموذج بالله  
من الخذلان وقد قال بعض الحكماء آخ من شئت واجتنب ثلاثة . الاحق فانه  
يريد ان ينفعك فضرك . والملول فانه اوثق ماتكون به لطول الصعبة وتأكدها  
خذلك . والكذاب فانه يحني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشمر . وحديث  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ حسن العهد من الايمان ﴾ وعنه عليه السلام  
﴿ لا يؤمن الرجل بالايمان كله حتى يدع الكذب في المزاج ﴾ حدثنا بهما ابو عمر  
احمد بن محمد عن محمد بن علي بن رفاعة عن علي بن عبد العزيز عن ابي عبيد القاسم  
ابن سلام عن شيوخه والآخر منهما مسند الى عمر بن الخطاب وابنه عبد  
الله رضي الله عنهما والله عز وجل يقول ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون  
ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ﴾ وعن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم انه سئل ﴿ هل يكون المؤمن بخيلاً فقال نعم قيل فهل يكون

---

(١) الذام العيب (٢) مزنون متهم

المؤمن جباناً فقال نعم قيل فهل يكون المؤمن كذاباً قال لا (حدثنا إحد  
ابن محمد بن أحمد عن أحمد بن سعيد عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه عن  
مالك بن أنس عن صفوان بن سليم وبهذا الاستناد أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال (لا خير في الكذب) في حديث سئل فيه . وبهذا الاستناد عن  
مالك أنه بلغه عن ابن مسعود أنه كان يقول (لا يزال العبد يكذب وينكت  
في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب فيكتب عند الله من الكذابين) وبهذا  
الاستناد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى  
أنبر والبر يهدي إلى الجنة وأياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور والفجور  
يهدي إلى النار) وروى أنه أتاه صلى الله عليه وسلم فقال (يا رسول الله إني  
استر ثلاث الحمر والزنا والكذب فرني إيهما أترك قال أترك الكذب فذهب  
عنه ثم أراد الزنا ففكر فقال آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألني  
أزنت فإن قلت نعم حدي وإن قلت لا نقضت العهد فتركته ثم كذلك في  
الحمر فعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني تركت الجميع  
فإنك كذب أصل كل فاحشة وجامع كل سوء وجالب لمقت الله عز وجل . وعن  
أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال (لا إيمان لمن لا أمانة له) وعن  
ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (كل الحلال يطبع عليها المؤمن إلا الحيانة  
والكذب) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ثلاث من كن فيه  
كان منافقاً من إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان) وهل  
الكفر إلا كذب على الله عز وجل والله الحق وهو يحب الحق وبالحق قامت  
السموات والأرض وما رأيت أخزى من كذاب وما هلكت الدول ولا هلك  
الممالك ولا سفكت الدماء ظمأ ولا هتكت الاستار بغير التأمم والكذب ولأكدت  
البغضاء والأحقن المردية الأبتائم لا يحظى صاحبها إلا بالقتل والحزى والذل وإن  
ينظر منه الذي ينقل إليه فضلاً عن غيره بالعين التي ينظر بها من الكلب

والله عز وجل يقول (ويل لكل همزة لمزة) ويقول جل من قائل (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فسمى النقل باسم الفسوق ويقول (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) والرسول عليه السلام يقول (لا يدخل الجنة قتات) (١) ويقول (واياكم وقاتل الثلاثة) يعني النقل والنقول اليه والمنقول عنه والاحنف يقول (الثقة لا يبلغ وحق لذي الوجهين الا يكون عند الله وجيهاً) وهو ما يجعله من اخس الطبائع وارذلها ولي الى ابي اسحق ابراهيم بن عيسى الثقفي الشاعر رحمه الله وقد نقل اليه رجل من اخواني عني كذباً على جهة الهزل وكان هذا الشاعر كثير الوهم فاغضبه وصدقه وكلاهما كان لي صديقاً وما كان الناقل اليه من اهل هذه الصفة ولكنه كان المزاح جم الرعاية فكتبت الى ابي اسحاق وكان يقول بالحبر شعراً منه :

ولا تبديل قالة قد سمعتها    تقال ولا تدري الصحيح بما تدري  
كمن قد اراق الماء للال ان بدا    فلاق الردي في الافيح المهمة القفر  
وكتبت الى الذي نقل عني شعراً منه :

ولا ترعما في الجد مزحاً كمولج    فساد علاج النفس طي صلاحها  
ومن كان نقل الزور امضى سلاحه    كمثل الجباري (٢) تقي بسلاحها

وكان لي صديق مرة وكثر التدخيل بيني وبينه حتى كدح ذلك فيه واستبان في وجهه وفي لحظه وطبعت على التآني والتربص والمسالمة ما امكنت ووجدت بالانخفاض سيلاً الى معاودة المدة فكتبت اليه شعراً منه :

ولي في الذي أبدي مرام لو انها    بدت ما ادعى حسن الرماية وهرز  
واقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري الذي يحفظ لعمه الرسائل البليغة

---

(١) اقلت نم الحديث (٢) الجباري طائر اكبر من الدجاج الاهلي

وكان طبع الكذب قد استولى عليه واستحوذ على عقله وألفه إلفة النفس الأمل  
ويؤكد نقله وكذبه بالإيمان المؤكدة المغلفة مجاهراً بها الكذب من السراب  
مستهتراً بالكذب مشغولاً به لا يزال يحدث من قد صح عنده أنه لا يصدق فلا  
يزجره ذلك عن أن يحدث بالكذب

بدا كل ما كتمته بين مخبر وحال ارتقي قببح عقدك بينا  
وكم حالة صارت بياناً بحالة كما ثبت الأحكام بالجل الزنا  
وفيه أقول قطعة منها :

أنهم من المرأة في كل مادي وأقطع بين الناس من قصب الهند  
أظن النايا والزمان تعلم تحيله بالقطع بين ذوي الود  
وفيه أيضاً أقول من قصيدة طويلة :

واكذب من حسن الظنون حديثه وأقبح من دين وفقر ملازم  
أوامر رب العرش اضيع عنده وأهون من شكوى إلى غير راحم  
تجمع فيه كل خزي وفضحة فلم يبق شتاً في المقال لساتم  
وأثقل من عدل على غير قابل وأبرد برداً من مدينة سالم  
وأغض من بين وهجر ورقبة جعن على حيران هائم

وليس من به غافلاً أو نصيح صديقاً أو حفظ مسلماً أو حكى عن فاسق  
أو حدث عن عدو ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعتمد الضمائم ناقلاً وهل  
هلك الضعفاء وسقط من لا عقل له إلا في قلة المعرفة بالناصح من التام وهمما  
صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن أحدهما داء والآخرى دواء  
والثاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما لكن الناقل من كان تنقله غير مرضي في  
الديانة ونوى به التشبث بين الأولياء والتضريب بين الإخوان والتحرش والتبويض  
والتريش فمن خاف أن سلك طريق النصيحة أن يقع في طريق التهمة ولم يثق  
لتفاد تمييزه ومضاء تقديره فيما يرد من أمور دنياه ومعاملة أهل زمانه فليجعل

دينه دليلاً له وسراجاً يستضيء به فحينئذ سلك به سلكاً وحيداً اوقفه وقف (كفلاً له بالنظر رغماً بالاصابة ضمان الفلج والخلص (كذا) فصارع الشريعة وباعث الرسول عليه السلام ومرتب الاوامر والنواهي اعلم بطريق الحق وادري بعواقب السلامة ومغيبات النجاة من كل ناظر لنفسه بزعمه وباحث بقياسه في ظنه

### ﴿ باب الوصل ﴾

ومن وجوه العشق الوصل وهو حظ رفيع ومرتبة سرية ودرجة عالية وسعد طالع بل هو الحياة المجددة والعيش السني والسرور الدائم ورحمة من الله عظمة ولولا ان الدنيا دار ممر ومحنة وكدر والجنة دار جزاء وأمان من المكارة لقلنا ان وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه والفرح الذي لا شائبة فيه ولا حزن معه وكال الاماني ومنتهى الاراجي ولقد جربت المذات على تصرفها وادركت الحظوظ على اختلافها فما للذنو من السلطان ولا المال المستفاد ولا الوجود بعد العدم ولا الآوبة بعد طول الغيبة ولا الامن بعد الخوف ولا الترهح على المال من الموقع في النفس ما للوصل لاسيما بعد طول الامتناع وحلول الهجر حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتصرم نار الرجاء وما اصناف التبات بعد غب القطر ولا اشراق الازاهير بعد اقلاع السحاب الساريات في الزمان السجسج ولا خرب المياه المتخللة لافانين النوار ولا تأثق القصور البيض قد احدثت بها الرياض الحضر بأحسن من وصل حبيب قد رضيت اخلاقه وحدث غرائزه وتقابلت في الحسن اوصافه وانه لم يجر السنة البلغاء ومقصر فيه بيان الفضحاء وغندة تطيش الالباب وتقرب الافهام وفي ذلك اقول :

وسائل لي عما لي من العمر      وقد رأى الشيب في القودين والعذر  
اجتبه ساعة لا شيء احسبه      عمراً سواها يحكم العقل والنظر  
فقال لي كيف ذا بينه لي فلقد      اخبرني اشنع الانباء والخبر



فقلت ان التي قلبي بها علق قلبها قبلة يوماً على خطر  
فما اعد ولو طالت سني سوى تلك السوية بالتحقيق من عمري  
ومن لذيذ معاني الوصل المواعيد وان للوعد المنتظر مكاناً لطيفاً من شفاف  
القلب وهو ينقسم قسمين احدهما الوعد بزيارة الحب لمحبه وفيه اقول  
قطعة منها :

اسامر البدر لما ابطأت واري في نوره من سنا اشراقها عرضاً  
فت مشترطاً والود مختلطاً والوصل منبسطاً والهجر منقبضاً  
والثاني انتظار الوعد من الحب ان يزور محبوه وان لمبادي الوصل وأوائل  
الاسعاف لتولجاً على الفؤاد ليس لشيء من الاشياء واني لاعرف من كان  
ممتحناً بهوى في بعض المنازل المصاحبه فكان يصل متى شاء بلا مانع ولا سبيل  
الى غير النظر والحادثه زماناً طويلاً ليلاً متى احب ونهاراً الى ان ساعدته  
الاقدار باجابه ومكنته باسعاد بعد يأسه لطول السدة ولعدي به قد كاد ان  
يختلط عقله فرحاً وما كاد يتلاحق كلامه سروراً فقلت في ذلك :

برغبة لو الى ربي دعوت بها لكان ذنبي عند الله مغفورا  
ولو دعوت بها اسد الفلا لعدا اخراها عن جميع الناس مقصورا  
فجاء بالائم لي من بعد منعه فاهتاج من أوعتي ما كان مغفورا  
كشارب الماء كي يظفي الغليل به فغص فانصاع (١) في الاجداث مقبورا  
وقلت :

جري الحب مني مجرى النفس واعطيت عيني عسان الفرس  
ولي سيد لم يزل نافراً وربما جباد لي في الحلس  
فقبته طالباً راحة فراد أليلاً (٢) بقلبي اليأس

(١) انصاع رجع (٢) أليلاً : أقيلاً

وكان فؤادي ككبت هشيم      ييس رمى فيه رام قيس  
ومنها :

وياجوهر الصين سحفاً فقد      غنيت يساقوتة الاندلس  
(خبر) واني لأعرف جارية اشتد وجدها بفتى من ابناء الرؤساء وهو  
لأعلم عنده وكثر غمها وطال أسفها الى ان ضنيت بحبه وهو بفرادة الصبي  
لايشعر ويمنعها من ابداء امرها اليه الحياء منه لانها كانت بكراً بخاتمها مع  
الاجلال له عن الهجوم عليه بما لاتدري لعله توافقه فلما تمادى الامر وكان  
اليقين في النشأة شكت ذلك الى امرأة جزلة الرأي كانت تثق بها لتوليها  
تربيتها فقالت لها عرضي له بالشعر ففعلت المرة بعد المرة وهو لايبأه في كل  
هذا ولقد كان لقناً ذكياً لم يظن ذلك فيميل الى تنيش الكلام بوجهه الى  
أن عيل صبرها وضاق صدرها ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في  
بعض الليالي منفردين ولقد كان يعلم الله عفيفاً متصوناً بعيداً عن المعاصي فلما  
حان قيامها عنه بددت اليه فقبلته في فمه ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه  
بكلمة وهي تهادى في مشيها كما اقول في ايات لي :

كأنها حين تخطو في تأودها      قضيب ترجسة في الروض مياس  
كأنما خلدها في قلب عاشقها      ففيه من وقعها حفر ووسواس  
كأنما مشيها مشي الحمامة لا      كد يباب ولا بطؤ به باس  
فبهت وسقط في يده وفث في عضده ووجد في كبده وعلته وجة فما هو  
الا ان غابت عنه ووقع في شرك الردى واشتعلت في قلبه النار وتصدعت  
انفاسه وترادفت اوجاله وكثر قلقه وطال أرقه فما غمض تلك الليلة عيناً وكان  
هذا بدء الحب بينهما دهرأ الى ان جذت جملتها يد النوى وان هذا لمن  
مصادد ابليس ودواعي الهوى التي لايقف لها احد الا من عصمه الله عز وجل  
ومن الناس من يقول ان دوام الوصل يودي بالحب وهذا محين من القمل

انما ذلك لأهل الملل بل كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً . وعني اخبرك اني مارويت  
قط من ماء الوصل ولازادني الاظماً وهذا حكم من تداوى برأيه وان رقه  
عنه سريعاً ولقد بلغت من التمكن بمن احب ابعد الغايات التي لايجد الانسان  
وراءها مرمى فما وجدتي الاستزداً ولقد طال بي ذلك فما احسست بسآمة  
ولا رهقتي فترة ولقد ضمني مجلس مع بعض من كنت احب فلم اجل خاطري  
في فن من فنون الوصل الا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدي  
ولا قاض اقل لبانة من لبانتي ووجدتي كلما ازددت دنواً ازددت تلوداً وقدحت  
زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي فقلت في ذلك المجلس :

وددت بأن القلب شق بمدية وأدخلت فيه ثم اطبق في صدري

فاصبحت فيه لا تحلين غيره الى منقضى يوم القيامة والحشر

تعيشين فيه ما حيت فان أمت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وما في الدنيا حالة تعدل محبين اذا عدما الرقاء وأما الوشاة وسلمان  
اليين ورغبا عن الهجر وبعدا عن الملل وفقدا العذال وتوافقا في الاخلاق  
وتكافيا في المحبة واتاح الله لهما رزقاً داراً وعيشاً قاراً وزماناً هادياً وكان  
اجتماعهما على ما يرضي الرب من الحال وطالت صحبتهما واتصلت الى وقت  
حلول الحام الذي لا مرد له ولا بد منه هذا عطاء لم يحصل عليه احد وحاجة  
لم تقض لكل طالب ولولا ان مع هذه الحال الاشفاق من بغات المقادير  
الحكمة في غيب الله عز وجل من حلول فراق لم يكتسب واخترام مية في  
حال الشباب او ما اشبه ذلك لقلت انها حال بعيدة من كل آفة وسليمة من  
كل داخلة ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله الا انه كان دهي فيمن كان  
يحب به بشراة الاخلاق ودالة على المحبة فكانا لآتينان العيش ولا تطلع الشمس  
في يوم الا وكان بينهما خلاف فيه وكلاهما كان مطبوعاً بهذا الخلق لثقة كل

واحد منهما بمحبة صاحبه الى ان ذنت النوى بينهما ففترقا بالموت المرتب لهذا العالم وفي ذلك اقول :

كيف أذم النوى واطلمها وكل اخلاق من احب نوى  
قد كان يكنى هوى اضيق به فكيف اذجل بي نوى وهوى  
وروي عن زياد ابن ابي سفيان رحمه الله انه قال جلسائه من انعم الناس  
عيشة قالوا امير المؤمنين فقال (واين مايلقي من قریش قيل فانت قال اين ما  
التي من الخوارج والتغور قيل فمن ايها الامير) قال رجل مسلم له زوجة مسلمة  
لها كفاف من العيش قد رضيت به ورضى بها لا يعرفنا ولا نعرفه . وهل فيما  
وافق اعجاب المخلوقين وجلال القلوب واستمال الحواس واسهوى النفوس واستولى  
على الاهواء واقطع الابواب واختلس العقول مستحسن يعدل اشتاق محب  
على محبوب ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيراً وانه لمن المناظر العجيبة الباعثة  
على الرقة الرائقة المعنى لاسيما ان كان هوى يتكلم به فلو رأيت المحبوب حين  
يهرض بالسؤال عن سبب تفضيه بمحبه وخجلته في الخروج مما وقع فيه بالاعتذار  
وتوجيهه الى غير وجهه وتحيله في استنباط معنى يقيمه عند جلسائه لرأيت  
عجباً ولذة مخفية لاتقاومها لذة وما رأيت اجلب للقلوب ولا اغوص على حياتها  
ولا أنفذ للمقاتل من هذا الفعل وان للمحبين في الوصل من الاعتذار  
ما اعجز اهل الاذهان الذكية والافكار القوية ولقد رأيت في بعض المرات  
هذا فقلت :

اذا مزجت الحق بالباطل جوزت ماشئت على الغافل  
وفيهما فرق صحيح له علامة تبدو الى العاقل  
كأنك ان تخرج به فضة جازت على كل فتى جاهل  
وان تصادف صائغاً ماهراً ميز بين الخض والحائل  
واني لاعلم فتى وجارية كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه فكانا يضطجعان

إذا حضرهما احد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش ويلتقي رأساهما وراء المسند ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان وكأنهما انما يتمددان من الكلال ولقد كان باغ من تكافيهما في المودة امرأ عظيما الى ان كان القتي المحب ربما استطال عليها وفي ذلك اقول :

ومن اعاجيب الزمان التي طمت على السامع والقائل  
 رغبة مركوب الى راكب وذلة المسؤول للسائل  
 وطول مأسور الى آسر وصولة المقتول للقاتل  
 ما إن سمعنا في الوري قبلها خضوع مأمول الى آمل  
 هل هاهنا وجه تراه سوى تواضع المفعول للفاعل

ولقد حدثني امرأة اتق بها انها شاهدة قتي وجارية كان يحبد كل واحد منهما بصاحبه فضل وجد قد اجتمعا في مكان على طرب وفي يد القتي سكين يقطع بها بعض الفواكه فجراها جرأ زائداً فقطع ابهامه قطعاً لطيفاً ظهر فيه دم وكان على الجارية غلالة قصب خزانة لها قيمة فصرفت يدها وخرقتها واخرجت منها فضلة شد بها ابهامه واما هذا الفعل المحجب فقليل فيما يجب عليه وفرض لازم وشريعة مؤداة وكيف لا وقد بذل نفسه ووهب روحه فما يمنع بعدها

(خبر) وأنا ادركت بنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال وعما كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى واخوه الوزير القائد الذي كان قتله غالب وقائدين له في الوقعة المشهورة بالثغور وهما مروان بن احمد ابن شهيد ويوسف بن سعيد العكي وكانت متزوجة بيحيى بن محمد ابن الوزير يحيى ابن اسحق فعاجلته المنايا وهما في اغص عيشهما وانضر سرورهما فبلغ من اسفها عليه ان باتت معه في دثار واحد ليلة مات وجعلته آخر العهد به وبوصله ثم لم يفارقها الاسف بعده الى حين موتها وان للوصل المختلس

الذي يخاتل به الرقباء ويتحفظ به من الحضر مثل الضحك المستور والتحنجة وجولان الايدي والضغط بالاجناب والقرص باليد والرجل لموقعا من النفس شهياً وفي ذلك اقول :

ان للوصل الحفي محلاً ليس للوصل المكين الجلي  
لذة تمزجها بارتقاب كسير في خلال النقي

( خبر ) ولقد حدثني ثقة من اخواني جليل من اهل البيوتات انه كان علق في صباه جارية كانت في بعض دور آله وكان ممنوعاً منها فهام عقله بها قال لي فتزهدنا يوماً الى بعض ضياعنا بالسهلة غربي قرطبة مع بعض اعمامي فتمشينا في البساتين وابعدنا عن المنازل وانبسطنا على الانهار الى ان غيمت السماء واقبل الغيث فلم يكن بالحضرة من الفطاء ما يكفي الجميع قال فامر عمي ببعض الاغطية فالتقى علي وامرها بالاكتنان معي فظن بما شئت من التمكن على اعين الملاء وهم لايشعرون وبالك من جمع كخلاء واحتفال كانفراد قال لي فوالله لانسيت ذلك اليوم ابداً ولعهدي به وهو يحدثني بهذا الحديث واعضاؤه كلها تضحك وهو يهتز فرحاً على بعد العهد وامتداد الزمان ففي ذلك اقول شعراً منه :

يضحك الروض والسحائب تبكي كحبيب رآه صب معنى

( خبر ) ومن بديع الوصل ما حدثني به بعض اخواني انه كان في بعض المنازل المصاحبة له هوى وكان في المنزلين موضع مطلع من احدهما على الآخر فكانت تقف له في ذلك الموضع وكان فيه بعض البعد فسلم عليه ويدها ملفوفة في قميصها فخطبها مستخبراً لها عن ذلك فاجابته انه ربما أحس من امرنا شيء فوقف لك غيري فسلم عليك فرددت عليه فصح الظن فبهذه علامة بيني وبينك فاذا رأيت يداً مكشوفة تشير نحوك بالسلام فليست يدي فلا تجاوب . وربما استحلي الوصال واتفقت القلوب حتى يقع التخلج في الوصال فلا يلتفت



الى لائم ولا يستر من حافظ ولا يبالي بناقل بل العذل حينئذ يغري وفي صفة  
الوصل اقول شعراً منه :

كم درت حول الحب حتى لقد حصلت فيه كحصول الفراش  
ومنه :

تعثو الى الوصل دواعي الهوى كما سرى نحو سنا النار عاش  
ومنه :

علاني بالوصل من سيدي كمثل تعليل الظماء العطاش  
ومنه :

لأنوقف العين على غاية فالحسن فيه مستزيد وباش  
واقول من قصيدة لي :

هل لقتيل الحب من وادي ام هل لعاني الحب من فادي  
ام هل لدهري عودة نحوها كمثل يوم مر في الوادي  
ظلت فيه ساجحاً صادقاً يا عجباً للساجح الصادي  
ضنيت يا مولاي وجداً فما تبصرني الحاظ عوادي  
كيف اهتدى الوجد الى غائب عن عين الحاضر والبادي  
مل مداواتي طيبي فقد يرحمني للسقم حسادي

### ( باب الهجر )

ومن آفات الحب ايضاً الهجر وهو على ضروب فأولها هجر بوجه تحفظ  
من رقيب حاضر وانه لاحل من كل وصل ولولا ان ظاهر اللفظ وحكم  
التسمية يوجب ادخاله في هذا الباب لرجيت به عنه ولاجللته عن تسطيره  
فيه فيئذ ترى الحبيب منحرفاً عن محبة مقبلاً بالحديث على غيره معرضاً بتعرض  
لئلا تلحق ظنته او تسبق استرايته وترى المحب ايضاً كذلك ولكن طبعه له

جاذب ونفسه له صارفة بالرغم فتراه حينئذ منحرفاً كقيل وساكناً كناطق  
وناظراً الى جهة نفسه في غيرها والخاذق الفطن اذا كشف بوجهه عن باطن  
حديثهما علم ان الخافي غير البادي وما جهر به غير نفس الخبر وانه لمن  
اشاهد الجالبة للفتن والناظر المحركة للسواكن الباعثة للخواطر المبهجة للضائر  
الجاذبة للفتوة. ولي ابيات في شيء من هذا اوردها وان كان فيها غير هذا  
المعنى على ما شرطنا منها :

يلوم ابر العباس جهلاً بطبعه كما غير الحوت النعامة بالصدى

ومنها :

وكم صاحب اكرمه غير طائع ولا مكره الا لامر تعمد  
وما كان ذاك البر الا لغيره كما نصبوا للطير بالحلب مصيدا  
واقول من قصيدة محتوية على ضروب من الحكم وفنون من الآداب الطبيعية  
وسراء احشائي لمن انا مؤثر وسراء ابنائي لمن اتجيب  
فقد يشرب الصاب الكريه لعة ويترك صفو الشهد وهو محجب  
واعدل في اجهاد نفسي في الذي أريد واني فيه اشقى واتعب  
هل اللؤلؤ المكنون والدركله رأيت بغير الغوص في البحر يطلب  
واصرف نفسي عن وجود طباعها اذا في سواها صح ما انا ارغب  
كما نسخ الله الشرائع قبلنا بما هو ادنى للصلاح واقرب  
والقى سجايا كل خلق بثلها ونعت سجايي الصحيح المذهب  
كما صار لون الماء لون انائه وفي الاصل لون الماء ابيض معجب

ومنها :

اقت دوى ودي مقام طباعي حياتي بها والموت منهن يرهب

ومنها :

وما انا ممن تطيبه بشاشة ولا يقتضي مافي ضميري التجنب

أزيد نفاراً عند ذلك باطنياً  
فاني رأيت الحرب يعلو اشتعالها  
وللحجة الرقشاء وشى ولونها  
وإن فرند السيف اعجب منظراً  
وأجعل ذل النفس عزة أهلها  
فقد يضع الانسان في الترب وجهه  
فذل يسوق العز اجود للفتى  
وكم مأكل اربت عواقب غيه  
وما ذاق عز النفس من لا يذلها  
ورودك بعد الماء من بعد ظمأة

ومنها :

وفي كل مخلوق تراه تفاضل  
ولا ترض ورد الريق الاضرورة  
ولا تقربن ملح المياء فانها

ومنها :

فيخذ من جراها ما تيسر واقتنع  
فما لك شرط عندها لا ولا يد

ومنها :

ولا تأسن مما ينال شية  
ولا تأمن الاطلام فالفجر طالع

ومنها :

ألح فان الماء يكدح في الصفا  
وكثر ولا تفشل وقلل كثير ما

وفي ظاهري اهل وسهل ومرحب  
ومبدؤها في اول الامر ملعب  
عجيب وتحت الوشي سم مركب  
وفيه اذا هز الحمام المذرب  
اذا هي نالت ما بها فيه مذهب  
ليأتي غداً وهو المصون المقرب  
من العز يتلوه من الذل مركب  
ورب طوى بالخصب آت ومعقب  
ولا التذ طعم الروح من ليس ينصب  
ألد من العل المكين واعذب

فرد طيباً ان لم يتح لك اطيب  
اذا لم يكن في الارض حاشاء مشرب  
شجى والصدى بالحر اولى واوجب

ولا تك مشغولاً بمن هو يغلب  
ولا هي ان حصلت ام ولا اب

وان بدت فالامر ينأى ويصعب  
ولا تلبس بالضوء فالشمس تغرب

اذا طال ما يأتي عليه ويذهب  
فعلت فء المزن جم وينصب

فلو يتغذى المرء بالسقم قاته وقام له منه غذاء مجرب  
ثم هجر يوجه التذلل وهو ألد من كثير الوصال ولذلك لا يكون الا عن  
ثقة كل واحد من المتحابين بصاحبه واستحكام البصيرة في صحة عقده فحينئذ  
يظهر المحبوب هجراناً ليرى صبر محبه وذلك لئلا يصفو الدهر البتة وليلأسف المحب  
ان كان مفراط الشق عند ذلك لالما حل لكن مخافة ان يترقى الامر الى  
ماهو اجل يكون ذلك الهجر سبباً الى غيره او خوفاً من آفة حادت ملل  
ولقد عرض لي في الصبي هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة  
وهو لا يلبث ان يضمحل ثم يعود فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً  
بديهاً ختمت كل بيت منه بقسم من اول قصيدة طرفة بن العبد المعلقة وهي  
التي قرأتها مشروحة على ابي سعيد التقي الجعفري عن ابي بكر المقرئ عن  
ابي جعفر النحاس رحمهم الله في المسجد الجامع بقرطبة وهي :

تذكرت ودأ للحبيب ككائه	لحولة اطلال بريقة ثمهد
وعهدي بهد كان لي منه ثابت	يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقفت به لاموقناً برجوعه	ولا آيساً ابكي وابكي الى الغد
الى ان اطل الناس عذلي واكثروا	يقولون لاتهلك اسي وتجلد
كأن فنون السخط ممن احبه	خلايا سفين بالنواصف من دد
كأن انقلاب الهجر والوصل مركب	يجوز به الملاح طوراً ويهتدي
فوقت رضى يلموه وقت تسخط	كما قسم الترب المنائل (١) باليد
ويبسم نحوي وهو غضبان معرض	مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

(١) فقال ككتاب لعبة للصبيان يحبون الشيء في التراب ثم يقتسمونه ويقولون  
في ايهما هو واللاعب بها منائل

ثم حجر يوجهه العتاب لذنب يقع من الحب وهذا فيه بعض الشدة لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يعدل ما مضى فان لرضى المحبوب بعد سخطه لذة في القلب لاتعدها لذة وموقفاً من الروح لايفوقه شيء من اسباب الدنيا وهل شاهد مشاهد او رأيت عين او قام في فكر الذواشي من مقام قد قام عنه كل رقيب وبعد عنه كل بغيض وغاب عنه كل واش واجتمع فيه حبان قد تصارما لذنب وقع من الحب منهما وطال ذلك قليلاً وبدأ بعض الهجر ولم يكن ثم مانع من الاطالة للحديث فابتدأ الحب في الاعتذار والخضوع والتذلل والادلة بحجته الواضحة من الادلال والاذلال والتذم بما سلف فطوراً يدلى ببراءته وطوراً يرد بالعفو ويستدعي المغفرة ويقر بالذنب ولاذنب له والمحبوب في كل ذلك ناظر الى الارض يسارقه للحظ الخفي وربما ادامه فيه ثم يسم مخفياً لتبسمه وذلك علامة الرضى ثم ينجلي مجلسهما عن قبول العذر ويقبل القول وامتحت ذنوب النقل وذهب آثار السخط ووقع الجواب بنعم وذنك مفعور ولو كان فكيف ولاذنب وحتما امرهما بالوصل الممكن وسقوط العتاب والاسعاد وتفرقا على هذا. هذا مكان تتناصر دونه الصفات وتلكن بتحديد الالسة ولقد وطئت بساط الخلفاء وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هية تعدل هية محب محبوبه ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء وانبساط مدبري الدول فما رأيت اشد تبججاً ولاعظم سروراً بما هو فيه من محب يقن ان قلب محبوبه عنده ووثق بيله اليه وصحة مودته له وحضرت مقام المعتذرين بين ايدي السلاطين ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين فما رأيت اذل من موقف محب هيان بين ايدي محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء ولقد امتحت الامرين وكنت في الحالة الاولى اشد من الحديد وانفذ من السيف لاجيب الى الدنية ولا اساعد على الخضوع وفي الثانية اذل من الرداء والين من القطن ابادر الى اقصى غايات التذلل لوتفع واغتم

فرصة الخوض لو نجمع وتحلل بلساني واغوص على دقائق المعاني بياني وافن القول فتوناً واتصدى لكل ما يوجب الترضي

والتجني بعض عوارض الهجران وهو يقع في اول الحب وآخره فهو في اوله علامة لصحة الحبة وفي آخره علامة لفتورها وباب للسو

(خبر) واذكر في مثل هذا اني كنت مجتازاً في بعض الايام بقرطبة في مقبرة باب عامر في لمة (١) من الطلاب واصحاب الحديث ونحن زيد مجلس الشيخ ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد المصري بالرصافة استاذي رضي الله عنه ومعنا ابو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوي من اهل سبتة وكان شاعراً مفلحاً وهو ينشد لنفسه في صفة متجن معهود اياتاً له منها :

سريع الى ظهر الطريق وانه الى نقض اسباب المودة يسرع (٢)

يطول علينا ان نزع وده اذا كان في رقيقه يتقطع

فوافق انشاد البيت الاول من هاذين البيتين خطور ابي الحسين بن علي الفاسي رحمه الله وهو يوم ايضاً مجلس بن ابي يزيد فسمعه فتبسم رحمه الله نحونا وطوانا ماشياً وهو يقول بل الى عقد المودة ان شاء الله فهو اولى هذا على جد ابي الحسين رحمه الله وفضله وتقريبه وبرائه ونسكه وزهده وعلمه فقلت في ذلك :

دع عنك نقض مودتي متممداً واعقد جبال وصالنا يا ظالم

ولترجن أردته او لم ترد كرهاً لما قال الفقيه العالم

ويقع فيه الهجر والعتاب ولعمري ان فيه اذا كان قليلاً للذة واما اذا تقاسم فهو فال غير محمود وأما ردة وبشة المصدر وعلامة سوء وهي بحملة الامر مطية الهجران ورائد الصريمة ونتيجة التجني وعنوان الثقل ورسول الانفصال

---

(١) اللمة بالضم : الاصحاب (٢) لعل الاصل أسرع



وداعية القلى ومقدمة النصد وانما يستحسن اذا لطف وكان اصله الاشفاق وفي ذلك اقول :

اعلك بعد عتبك ان تجودا - بما منه عتب وان تريد  
فكم يوم رأينا فيه صحواً وأسمننا بآخره الرعودا  
وعاد الصحو بعد كما علمنا وانت كذلك ترجوان تعودا

وكان سبب قولي هذه الايات عتاب وقع في يوم هذه صقته من ايام الربيع  
فقتلها في ذلك الوقت وكان لي في بعض الزمن صديقان وكانا اخوين فغابا في  
سفر ثم قدما وقد أصابني رمد فتأخرا عن عيادتي فكتبت اليهما والخطابة  
للاكبر منهما شعراً منه :

وكنت اعدد ايضاً على أخيك بمؤلة السامع  
ولكن اذا الدجن غطي ذكاً فما الظن بالقمر الطالع

ثم حجر بوجه الوشاة وقد تقدم القول فيهم وفيما يتولد من ديب عقاربهم  
وربما كان سبباً للمقاطعة البتة

ثم حجر الملل والملل من الاخلاق المطبوعة في الانسان واخرى لمن دهي  
به الا يصفوه له صديق ولا يصح له اخاء ولا يثبت على عهد ولا يصبر على الف  
ولا تطول مساعدته لمح ولا يعتد منه ود ولا يفض وأولى الامور بالناس  
ان لا يغروه منهم وان يغفروا عن صحتهم ولقائهم فلن يظفروا ( ١ )  
منه بطائل ولذلك ابدنا هذه الصفة عن المحبين وجعلناها في المحبوبين فهم بالجملة  
اهل التجني والتظني والتعرض للمقاطعة واما من تريا باسم الحب وهو ملول  
فليس منهم وحقه ان يهرج مذاقه وينفى عن اهل هذه الصفة ولا يدخل في  
جلتهم وما رأيت قط هذه الصفة اشد تغلباً منها على ابى عامر محمد بن عامر

رحمه الله فلو وصف لي واصف بعض ما علمته منه لما صدقته واهل هذا الطبع اسرع الخلق حجة واقلمهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه وبالضد (١) وانقلابهم على الود على قدر تسرعهم اليه فلا تتق بملول ولا تشغل به نفسك ولا تنها بالرجاء في وفائه فان دفعت الى محبته ضرورة فعده ابن ساعته واستأنقه كل حين من احيائه بحسب ما تراه من تلونه وقابله بما يشاكله ولقد كان ابو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ويحقيق به من الاغتنام والهم ما يكاد ان يأتي عليه حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد فاذا ايقن بتصيرها (٢) اليه عادت المحبة نفاراً وذلك الانس شروداً والقلق اليها قلقاً منها ونزاعه نحوها نزاعاً عنها فيبديها بأوكس الايمان هذا كان دأبه حتى اتلف فيها ذكرنا من عشرات الوف الدنانير عدداً عظيماً وكان رحمه الله مع هذا من اهل الادب والخلق والذكاء والنبل والخلوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب النخم والجاه العريض واما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكل الاوهام عن وصف اقله ولا يتعاطى احد وصفه ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويعتمدون الخطور على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة وفي هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا لاشيء الا للنظر منه . ولقد مات من محبته جوار كن علقن اوها من به ورثين له فخانهم مما املته منه فصرن رهاًن البلى وقتلتهن الوحدة . وانا اعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء عهدي بها لا تنستر بمحبته حيث ما جلست ولا تحجف دموعها وكانت قد نصيرت من داره الى البركات الحيال صاحب القتيان . ولقد كان رحمه الله يخبرني عن

---

(١) لعل الصواب : وعلى المكروه والصد (٢) لم تر في اللغة تصير مشدداً

نفسه انه يمل اسمه فضلاً عن غير ذلك واما اخوانه فانه تبديل بهم في عمره  
على قصره مراراً وكان لا يثبت على ذي واحد كأبى براقش حيناً يكون في  
ملابس الملوك وحيناً في ملابس الفساق فيجب على من امتحن بمخالطة من  
هذه صفته على اى وجه كان ألا يستفرغ عامة جهده في محبته وان يقيم اليأس  
من دوامه خصماً لنفسه فاذا لاح له مخايل الملل قاطعه اياماً حتى ينشط باله  
ويبعد به عنه ثم يعاوده فربما دامت المودة مع هذا وفي ذلك اقول :

لا ترجون ملولاً ليس الملول بعده

ود الملول فدعه عارية مسترده

ومن الهجر ضرب يكون متوليه الحب وذلك عندما يرى من جناء محبوبة  
والميل عنه الى غيره او لتقيل يلزمه فيرى الموت ويتجرع غصص الأسى والاض  
على ثقيف (١) الحنظل أهون من رؤية ما يكره فينقطع وكبدته تنقطع وفي  
ذلك اقول :

هجرت من أهواء لاعن قلى	يا عجباً للعاشق الهاجر
لكن عيني لم تطق نظرة	الى محيا الرشا الفاسد
فالموت احلى مطعماً من هوى	يا صاح للوارد والصادر
وفي الفؤاد النار مذكية	فالعجب لصب جزع صابر
وقد اباح الله في دينه	تقية المأسور للأسر
وقد احل الكفر خوف الردى	حتى ترى المؤمن كالكافر

(خبر) ومن عجيب ما يكون فيها وشنيعه اني اعرف من هام قلبه بمتناء عنه  
نافر منه. فقاسى الوجد زمناً طويلاً ثم سنحت له الايام بسانحة عجيبة من الوصل

---

(١) في الاصل ثقيف ، ولعل الاصح ثقيف بمعنى منقوف من ثقف الحنظل  
اذا شقه عن حبه كما في القاموس

أشرف بها على بلوغ أمله فحين لم يكن بينه وبين غاية رجائه إلا كهؤلاء  
عاد الهجر والبعد الى أكثر ما كان قبل فقلت في ذلك :

كانت الى دهري لي حاجة مقرونة في البعد بالمشتري  
فساقتها باللطف حتى اذا كانت من القرب على محجر  
أبعدها عني فعادت كأن لم تبسد للعين ولم تظهر

وقلت :

دنا أمني حتى مدت لأخذه يداً فاشتى نحو الحجرة راحلا  
فاصبحت لارجو وقد كنت موقناً وأضحى مع الشعري وقد كان حاصل  
وقد كنت محسوداً فاصبحت حاسداً وقد كنت مأمولاً فاصبحت آملاً  
كذا الدهر في كراته وانتقاله فلا يأمن الدهر من كان عاقلاً

ثم هجر القلى وهنا ضلت الاساطير ونفدت الحيل وعظم البلاء وهو الذي  
خلى العقول ذواهل فمن دهي بهذه الداهية فليتصد لحبوب محبوه وليتعمد  
ما يعرف انه يستجيبه ويجب ان يجتنب ما يدري انه يكرهه فرما عطفه ذلك  
عليه ان كان المحبوب ممن يدري قدر الموافقة والرغبة فيه واما من لم يعلم قدر  
هذا فلا طمع في استصرافه بل حسناتك عنده ذنوب فان لم يقدر المراء  
على استصرافه فليتعمد السواوان وليحاسب نفسه بما هو فيه من البلاء والحرمان  
ويسعى في نيل رغبته على اي وجه أمكنه ولقد رأيت من هذه صنته وفي  
ذلك اقول قطعة اولها :

دهيت بمن لو اذبح الموت دونه لقال اذا باليتي في المقابر

ومنها :

ولا ذنب لي اذ صرت احدى ركائبي الى الورد والدنيا تسبي مضادري  
وماذا على الشمس النيرة بالضحى اذا قصرت عنها ضعاف البصائر

واقول :

ما أفصح الهجر بعد وصل      واحسن الوصل بعد هجر  
كالوفر تحويه بعد فقر      والفقر يأتيك بعد وفر

واقول :

معهود اخلاقك، قسما      والدهر فيك اليوم صفان  
فانك التعمان فيما مضى      وكان للنعمان يومان  
يوم نعيم فيه سعد الورى      ويوم بأساء وعدوان  
فيوم نعاك لغيري ويو      مي منك ذو بؤس وهجران  
اليس حي لك مستأهلاً      لان تجازيه باحسان

واقول قطعة منها :

يا من جميع الحسن منتظم      فيه كنظم الدر في العقد  
مبال حتي منك . يطرقني      قصداً ووجهك طالع السعد

واقول قصيدة اولها :

أساعة نوديعك ام ساعة الحشر      وليلة يني منك ام ليلة النسر  
وهجرتك تعذيب الموحّد ينقضي      ويرجو اتلاقي ام عذاب ذوي الكفر

ومنها :

سقى الله اياماً مضت ولياليها      تحاكي لنا ليلوفر الغض في النسر  
فاوراقه الايام حسناً وبهجة      واوسطه الليل المقصر للعمر  
لهونا بها في غمرة وتألف      تمر فلا تدري وتأتي فلا تدري  
فاعقبنا منه زمان كأنه      ولا شك حسن العقد اعقب بالغدر

ومنها :

فلا تيأس ياناس على زماننا      يعود بوجه مقبل غير مدبر  
كما صرّف الرحمن ملك امية      اليهم ولو ذى بالتجمل والصبر

وفي هذه القصيدة امدح ابا بكر هشام بن محمد اخا امير المؤمنين عبد الرحمن  
المرتضى رحمه الله :  
فأقول :

ليس يحيط الروح فينا بكل ما      دنا وتناهى وهو في حجب الصدر  
كذا الدهر جسم وهو في الدهر روحه      يحيط بما فيه وان شئت فاستقر (١)  
ومنها :

إتوتها تهدي اليه ومنة      تقبلها منهم يقاوم بالشكر  
كذا كل نهر في البلاد وان طمت      غزارته ينصب في لجج البحر

### ﴿ باب الوفاء ﴾

ومن حميد الغرائز وكرم الشيم وفاضل الاخلاق في الحب وغيره الوفاء  
وانه لمن اقوى الدلائل واوضح البراهين على طيب الاصل وشرف العنصر وهو  
يتفاضل بالتفاضل اللانتم للمخلوقات وفي ذلك اقول قطعة منها :  
أفعال كل امرء تنبئ بعنصره      والعين تفنيك عن ان تطاب الاثرا  
ومنها :

وهل ترى قط دفلى انبتت عنياً      اوتدخر التحل في اوكارها الصبرا  
واول مراتب الوفاء ان يفي الانسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق  
واجب على الحب والمحبوب لا يحول عنه الا خيث المحل لا اخلاق له ولا  
خير عنده ولو لا ان رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام في اخلاق الانسان (٢)  
وصفاته المطبوعة والتطبع بها وما يزيد من المطبوع بالتطبع وما يضمحل من

---

(١) في الاصل : فاستبرى ولا منى له فاعل انصواب : فاستتر امر من  
الاستقراء (٢) في الاصل : النساء



التطبع بعدم التطبع لزدت في هذا المكان مايجب ان يوضع في مثله ولكننا  
انما قصدنا التكلم فيما رغبته من امر الحب فقط وهذا امر كان يطول جداً  
اذ الكلام فيه يتقن كثيراً

(خبر) ومن ارفع (١) ماشاهدته من الوفاء في هذا المعنى واهوله شأناً  
قصة رأيها عياناً وهو اني اعرف من رضي بقطعة محبوه واعز الناس عليه  
ومن كان الموت عنده احلى من هجر ساعة في جنب طيه لسر اودعه والتزم  
محبوه ميمناً غليظة الا يكلمه ابداً ولا يكون بينهما خبر او يفضح اليه ذلك السر  
على ان صاحب ذلك السر كان غائباً فابي من ذلك وتمادى هو على إكتمانه  
والثاني على هجرانه الى ان فرقت بينهما الايام

ثم مرتبة ثانية وهو الوفاء لمن غدر وهي المحب دون المحبوب وليس المحبوب  
هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك وهي خطة لا يطيقها الا جلد قوي واسع الصدر  
حر النفس عظيم الحلم جليل الصبر خفيف العقل (٢) ماجد الخلق سالم التبعة  
ومن قابل الغدر بمثله فليس بمستأهل للملامة ولكن الحال التي قدمنا تفوقها  
جداً زفوتها بعداً . وغاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافاة الاذى بمثله  
والكف عن سيئ المعارضة بالفعل والقول والتبأني في جر جبل الصخرة ما  
امكن ورجيت الالفة وطمع في الرجعة ولاحت للعودة ادنى تخيلة وشيئت منها (٣)  
اقل بارقة او توجس منها ايسر علامة فاذا وقع اليأس واستحكم الغيظ حينئذ  
والسلامة من غرك والامن من ضرك والنجاة من اذاك وان يكون ذكر  
ماسلف مانعاً من شفاء الغيظ فيما وقع فرعي الازمة حق وكيد على اهل العقول  
والحين الى ماضى والاينسى ماقد فرغ منه وفيت مدته اثبت الدلائل على

---

(١) في الاصل : اشنع ، وماصحناه اكثر تلاوفاً مع قوله سابقاً « واول

مراتب الوفاء » (٢) في الاصل : خفيف العقدة (٣) في الاصل : بها

صحة الوفاء وهذه الصفة حسنة جداً وواجب استعمالها في كل وجه من وجوه  
معاملات الناس فيما بينهم على أي حال كانت  
( خبر ) ولمهدي رجل من صفوة اخواني قد علق بحارية فتأكد  
الود بينهما ثم غدرت بهده ونقضت وده وشاع خبرهما فوجد لذلك وجداً  
شديداً .

( خبر ) وكان لي مرة صديق ففسدت نيته بعد وكيد مودة لا يكفر بمثلها  
وكان (١) علم كل واحد منا سر صاحبه وسقطت المؤونة فلما تغير علي افتى  
كل ما اطلع لي عليه مما (٢) كنت اطلعت منه على اضعافه ثم اتصل به ان  
قوله في قد بلغني فجزع لذلك وخشي ان اقارضه على قبيح فعله وبلغني ذلك  
فكتبت اليه شعراً أؤنس فيه وأعله ابي لا اقارضه

( خبر ) وما يدخل في هذا الدرج وان كان ليس منه ولا هذا الفصل  
المتقدم من جنس الرسالة والباب ولكنه شبه له على ما قد ذكرنا وشرطنا  
وذلك ان محمد بن وليد بن مكسير الكاتب كان متصلاً بي ومنقطعاً الي ايام  
وزارة ابي رحمة الله عليه فلما وقع بقرطبة ما وقع وتغيرت أحوال خرج الى  
بعض النواحي فاتصل بصاحبها فعرض جاعه وحدث له وجاهة وحال حسنة  
فخلت انا تلك الناحية في بعض رحلتي فلم يوفني حتي بل ثقل عليه مكاني  
وأساء معاملتي وصحبتني وكلفته في خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قدم واشتغل  
عنها بما ليس في مثله شغل فكتبت اليه شعراً اعان به فيه فجاوبني مستعجلاً وعلى  
ذلك فما كلفته حاجة بعدها وما لي في هذا المعنى وليس من جنس الباب  
ولكنه يشبهه اياتاً قتها منها :

وليس يحمد كتمان لكم لكن كتمك ما افشاء مفشيه

---

(١) في الاصل : وان علم (٢) في الاصل : ما

كالجود بالوفور اسنى ما يكون اذا قل الوجود له او ضمن معطيه  
ثم مرتبة ثالثة وهي الوفاء مع اليأس البات وبعد حلول النسيان وخفاءات  
النون وان الوفاء في هذه الحالة لاجل واحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء  
(خبر) ولقد جدتني امرأة اتق بها انها رأت في دار محمد بن احمد بن  
وهب المعروف بابن الركية من ولد بدر الداخل مع الامام عبد الرحمن بن  
معاوية رضي الله عنه جارية رائحة جميلة كان لها مولى فجاءته النية فبيعت في  
تركته فأبى ان ترضى بالرجال بعده وما جامعا رجل الى ان لقيت الله عز  
وجل وكانت تحسن الغناء فانكرت عليها به ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة  
المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة وفاء منها لمن قد دثر ووارثه الارض  
والتأمت عليه الصفايح ولقد راما سيدها المذكور ان يضمها الى فراشه مع  
سائر جواريه ويخرجها مما هي فيه فأبى فضرها غير مرة وأوقع بها الادب  
فصبرت على ذلك كله فاقامت على امتناعها وان هذا من الوفاء غريب جداً  
واعلم ان الوفاء على الحب اوجب منه على المحبوب وشرطه له ان لم يأنه لان الحب  
هو البادي باللصوق والتعرض لمقد الأذمة (١) والقاصد لتأكيد المودة والمستدعي  
صحّة العشرة والاول في عدد طلاب (٢) الاصفياء والسابق في ابتغاء المدة  
باكتساب الحلة والمقيد نفسه بزمام المحبة قد عقلها بأوثق عقال وخطمها بأشد  
خطام فمن قسره على هذا كله ان لم يرد إتمامه؟ ومن أجبره على استجلاب  
المدة ان لم ينو ختمها بالوفاء لمن اراده عليها؟ والمحبوب انما هو مجلوب اليه  
ومقصود نحوه ونحوه في القبول او الترك فان قبل فقاية الرجاء وان ابى  
فغير مستحق للذم وليس التعرض للوصل واللاحاق فيه والتأني لكل ما يستجلب  
به من الموافقة وتصفية الحضرة والمغيب من الوفاء في شيء فحظ نفسه اراد

---

(١) الذمام : الحق . الحرمة والجمع أذمه (٢) في الاصل : طالب

الطالب ، وفي سروره سعي ، وله اختط ، والحب يدعو ويحدوه على ذلك شاء  
او ابى وانما يحمد الوفاء ممن يقدر على تركه

وللوفاء شروط على المحين لازمة . فأولها ان يحفظ عهد محبوبه ويرعى  
غيبته ويستوي علانيته وسريته ويطوي شره ويشتر خيره ويغطي على عيوبه  
ويحسن افعاله ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة ويرضى بما حمله ولا يكثر  
عليه بما ينفر منه وألا يكون طلبة نؤوباً ولا ملة طروقاً وعلى المحبوب (١) ان  
ساواه في المحبة مثل ذلك وان كان دونه فيها فليس للمحب ان يكلفه الصعود  
الى مرتبه ولاله الاستشاطة عليه بان يسومه الاستواء معه في درجته وبحسبه  
منه حينئذ كتمان خبره والا يقابله بما يكره ولا يخفيه به وان كانت الثالثة وهي  
السلامة بما يلقى بالجملة فليقتنع بما وجد وليأخذ من الامر ما استدف (٢) ولا يطلب  
شرطاً ولا يقترح حقداً وانما له ماسنح بحده او ما حان بكده واعلم انه  
لا يستين قبح الفعل لاهله ولذلك يتضاعف قبحه عند من ليس من ذويه .  
ولا اقول قولي هذا ممتدحاً ولكن آخذاً بادب الله عز وجل ﴿ واما بنعمة  
ربك فحدث ﴾ لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت الي بلقية  
واحدة ووهبني من المحافظة لمن يتدمم مني ولو بمحادثة ساعة حظاً (٣) ؟ انا له  
شاكر وحامد ومنه مستمد ومستزيد وما شئ اثقل علي من القدر ولعمري  
ما سمحت نفسي قط في الفكرة في اضرار من بيني وبينه اقل ذمام وان  
عظمت جريرته وكثرت الي ذنوبه ولقد دهمني من هذا غير قليل فما جزيت  
على السوءى الا بالحسنى والحمد لله على ذلك كثيراً وبالوفاء افتخر في كلمة  
طويلة ذكرت فيها مامضنا من النكبات ودهمنا من الحل والترحال والتحول  
في الآفاق اولها :

(١) في الاصل : المحب (٢) وخذ ما استدف لك اي ما امكن وتسهل .

(٣) في الاصل خطأ

ولي فولي جميل الصبر يتبعه      وصرح الدمع ما تخفيه أضلعه  
جسم ملول وقلب آلف فاذا      حل الفراق عليه فهو موجه  
لم تستقر به دار ولا وطن      ولا تدفأ منه قط مضجعه  
كأنما صيغ من رهو السحاب فما      تزال ريح الى الآفاق تدفعه  
كأنما هو توحيد تضيق به      نفس الكفور فتأبى حين تودعه  
او كوكب قاطع في الافق منتقل      فالسير يغربه حيناً ويطلعه  
أظنه لو جزته او تساعده      ألقت عليه انهمال الدمع يتبعه

وبالوفاء أيضاً افتخر في قصيدة لي طويلة اوردها وان كان اكثرها ليس  
من جنس الكتاب فكان سبب قولي لها ان قوماً من مخالي شرعوا بي  
فأساءوا القرب في وجهي وقذفوني بأني اعضد الباطل بحجتي عجزاً منهم عن  
مقاومة ما اورده من نصر الحق واهله وحسداً لي فقلت وخاطبت بقصيدتي  
بعض اخواني وكان ذا فهم منها :

وخذني عصا موسى وهات جميعهم      ولو انهم حيات ضال نضاض  
ومنها :

يريقون في عيني عجائب حجة      وقد يمتنى الليث والليث رابض  
ومنها :

ويرجون ما لا يبلغون كمثل ما      يرجي محالا في الامام الروافض  
ومنها :

ولو جلدي في كل قلب ومهجة      لما أثرت فيها العيون المرائض  
أبت عن دناء الوصف ضربة لازم      كما ابت الفعل الحروف الخوافض  
ومنها :

ورأي له في كل ما غاب مسلك      كما تسلك الجسم العروق التوابض  
يبين مدب التمل في غير مشكل      ويستر عنهم لفيول المرائب

### ( باب الغدر )

وكما ان الوفاء من سري النعوت ونبل الصفات فكذلك الغدر من ذمها ومكروها وانما يسمى غدرًا من البادي به واما المقارض بالغدر على مثله وان استوى معه في حقيقة الفعل فليس بغدر ولا هو معياً بذلك والله عز وجل يقول ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وقد علمنا ان الثانية ليست بسيئة ولكن لما جانست الاولى في الشبه اوقع عليها مثل اسمها وسيأتي هذا مفسراً في باب السلو ان شاء الله ولكثرة وجود الغدر في المحبوب استغرب الوفاء منه فصار قلبه الواقع منهم يقاوم الكثير الموجود في سواهم وفي ذلك اقول :

قليل وفاء من يهوى يحل وعظم وفاء من يهوى يقل

فنادرة الجبان اجل مما يحجى به الشجاع المستقل

ومن قبيح الغدر ان يكون المحب سفير الى محبوبه يستريح اليه باسراة فيسعى حتى يلقه (١) الى نفسه ويستأثر به دونه وفيه اقول :

اقت سفيراً قاصداً في مطالي وثقت به جهلاً فضرب بيننا

وحل عرى ودي واثبت وده وابعد غني كل ما كان ممكنا

فصرت شهيداً بعدما كنت مشهداً واصبحت ضيفاً بعدما كان ضيفنا

( خبر ) ولقد حدثني القاضي يونس بن عبد الله قال أذكر في الصبي جارية في بعض السدد يهواها فتى من اهل الادب من ابناء الملوك وتهواد ويتراسلان وكان السفير بينهما والرسول بكتبتهما فتى من اترابه كان يصل اليها فلما عرضت الجارية للبيع اراد الذي كان يحبها ابتاعها فبدر الذي كان رسولا فاشتراها فدخل عليها يوماً فوجدها قد فتحت درجاً لها تطلب فيه بعض حوائجها فأنى

(١) في الاصل : يقبله



اليها وجعل يفتش الدرج فخرج اليه كتاب من ذلك الفتى الذي كان يهواها مضمخاً بالغالية مصوناً مكرماً فغضب وقال من اين هذا يا فاسقة قالت انت سقته الي فقال لعله محدث بعد ذاك الحين فقالت ماهو الا من قديم تلك التي تعرف قال فكأنما القمته حجراً فسقط في يديه وسكت

### (باب البين)

وقد علمنا انه لا بد لكل مجتمع من افتراق ولكل دان من تناء وتلك عادة الله في العباد والبلاد حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وماشيء من دواهي الدنيا يعدل الافتراق ، ولو سالت الارواح به فضلاً عن الدموع كان قليلاً . وبعض الحكماء سمع قائلاً يقول : الفراق اخو الموت ، فقال : بل الموت اخو الفراق (١) والبين ينقسم اقساماً :

فأولها مدة يوقن بانصرامها وبالعودة عن قريب وانه لشجى في القلب ، وغصة في الحلق لا تبرا الا بالرجمة ، وانا اعلم من كان يغيب من يحب عن بصره يوماً واحداً فيعتره من الهلع والجزع وشغل البسال وترادف الكرب ما يكاد يأتي عليه

ثم بين منع من اللقاء وتحضير على المحبوب من ان يراه محبه فهذا ولو كان من تحبه معك في دار واحدة فهو بين لانه بائن عنك وان هذا ليولد من الحزن والاسف غير قليل ، ولقد جربناه فكان مرأ وفي ذلك اقول :

أرى دارها في كل حين وساعة ولكن من في الدار عني مغيب

---

(١) هذا الاسلوب يشبه ما يروى عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت : لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السفر قطعة من العذاب ، لقلت : العذاب قطعة من السفر

وهل نفعي قرب الديار واهلها      على وصلهم مني رقيب مرّيب  
فيا لك جار الجنب اسمع حسه      واعلم ان الصين أدنى واقرب (١)  
كصاد يرى ماء الطوي بعينه      وليس اليه من سبيل يسبب  
كذلك من في اللحد عنك مغيب      وما دونه الا الصنيح المنصب  
واقول من قصيدة مطولة :

متى تشقي نفس اضربها الوجيد      وتضقب دار قد طوى اهلها البعد  
وعهدي بهند وهي جارة بيتنا      واقرب من هند لطالها الهند  
بلى ان في قرب الديار لراحة      كما يمسك الظمان ان يدنو الورد  
ثم بين يتعمده الحب بعداً عن قول الوشاة وخوفاً ان يكون بقاؤه سبباً  
الى منع اللقاء وذريعة الى ان يفشو الكلام فيقع الحجاب الغليظ  
ثم بين يولده الحب لبعض ما يدعوه الى ذلك من آفات الزمان وعذره  
مقبول او مطروح على قدر الحافز له الى الرحيل

(خبر) ولعدي بصديق لي داره المربة فنت له حوائج الى شاطبة فقصدتها  
وكان نازلاً بها في منزلي مدة اقامته بها وكان له بالمرية علاقة هي اكبر همه وادعى  
غمه وكان يؤمل تبتيته (٢) وفراغ اسبابه وان يوشك الرجعة ويسرع الاوبة  
فلم يكن الا حين لطيف بعد احتلاله عندي حتى جيش الموفق ابو الحسن مجاهد  
صاحب الجزائر الجيوش وقرب العساكر وناشد خيران صاحب المربة وعزم على  
استنصاله فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب وتحويت السبل واحترس البحر  
بالاساطيل فتضاعف كربه اذ لم يجد الى الانصراف سبيلاً البتة وكاد يطفأ أسفاً

(١) هذا المعنى يرمي الى قول المعري :

فيا دارها بالحيف ان مزارها      قريب ولكن دون ذلك احوال  
(٢) التبتيت : التزويد والتجهيز مأخوذ من التبات كسحاب وهو الزاد ومتاع البيت

وصار لا يأنس بغير الوحدة ولا يلجأ الا الى الزفير والوجوم ولعمري لقد كان  
ممن لم اقدر قط فيه ان قلبه يذعن للود ولا شراسة طبعه تجيب الى الهوى  
واذكر اني دخلت قرطبة بعد رحيلي عنها ثم خرجت منصرفاً عنها فضمني الطريق  
مع رجل من الكتاب قد رحل لامر مهم وتخلف سكن (١) له فكان يرتض لذلك  
واني لاعلم من علق بهوى له وكان في حال شطف وكانت له في الارض  
مذاهب واسعة ومنايح رجة ووجوه متصرف كثيرة فهان عليه ذلك وآثر  
الاقامة مع من يحب وفي ذلك اقول شعراً منه :

لك في البلاد منادح معلومة والسيف قفل (٢) او بين قرابه

ثم بين رجل وتباعد ديار ولا يكون من الاوبة فيه على يقين خبر ولا  
يحدث تلاق وهو الخطب الموجه والهم المفظع والحادث الاشنع والداء الدوى  
واكثر ما يكون الهلع فيه اذا كان الثاني هو المحبوب وهو الذي قالت فيه  
الشعراء كثيراً وفي ذلك اقول قصيدة منها :

وذي علة اعني (٣) الطيب علاجها ستوردني لاشك منهل مصرعي  
رضيت بان اضحي قيل وداده كجارع سم في رحيق مشعشع  
فما لي بالي ما اقل حياءها واولعها بالنفس من كل مولع  
كان زمانني عبشمي يخالي أعنت على عثمان اهل التشيع

واقول من قصيدة :

أظنك آتئال الجنان اباحه لمجتهد النساك من اوليائه

واقول من قصيدة :

لابرد باللقيا علياً من الهوى توقع نيران الغضى هيامه

واقول شعراً منه :

---

(١) السكن بفتح فسكون اهل الدار (٢) كذا في الاصل (٣) في الاصل : اعني

خفيت عن الابصار والوجد ظاهر      فاعجب باعراض تين ولاشخص  
غدا الفلك الدوار حلقة خاتم      محيط بما فيه وانت له فص  
واقول من قصيدة :

غنيت عن التشبيه حسناً وبهجة      كما غنيت شمس السماء عن الحلي  
عجيت لنفسي بعده كيف لم تمت      وهجرانه دفني وفقدانه نعي  
وللجسد الغض المنعم كيف لم      تذهبه يد خشتاء ..... (١)

وان للاوبة من الين الذي تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تأس من  
العودة فيه لروعة تبلغ مالا حد وراءه وربما قتلت (٢) وفي ذلك أقول :

للتلاقي بعد الفراق سرور      كسرور الميق حانت وفاته  
فرحة تهج (٣) النفوس وتحبي      من دنا منه بالفراق مماته  
ربما قد تكون داهية الموت      وتودي باهله هجاته  
كم رأينا من عب في الماء عطشا      وفزار الحمام وهو حياته  
واني لاعلم من نأت دار محبوبه زماناً ثم تيسرت له اوبة فلم يكن الا بقدر  
التسليم واستيفائه حتى دعت نوى ثانية فكاد ان يهلك وفي ذلك أقول :  
أطلت زمان البعد حتى اذا انقضى      زمان الذي بالقرب عدت الى البعد  
فلم يك الا كره الطرف قربكم      وعادكم بعدي وعادني وجدي

---

(١) نقص في الاصل (٢) من ذلك ما يروى ان جدة ابى الطيب المتنبى  
لما اتاها كتاب منه فيه خبر قدومه بعد طول غيبته عنها وكانت تحبه حباً جاً  
حمت من شدة سرورها فماتت وفي ذلك يقول ابو الطيب :  
اتاها كتابي بعد بأس وترحة      فماتت سروراً بي فمت بها غماً  
حرام على قلبي السرور فاني      اعد الذي ماتت به بعدها سماً  
(٣) في الاصل تبهم

كذا حائر في الليل ضاقت وجوهه رأى البرق في داج من الليل مسود  
فأخلفه منه رجاء دوامة وبض الأراجي لاتقيد ولا تجدي  
وفي الأوبة بعد الفراق أقول قطعة منها :

لقد قرت العينان بالقرب منكم كما سحنت أيام يطويكم البعد  
فالله فيما قدمضى الصبر والرضى والله فيما قد قضى الشكر والحمد  
( خبر ) ولقد نعي الي بعض من كنت احب من بلدة نازحة ففقت فاراً  
بنفسي نحو المقابر وجعلت امشي بينها واقول :

وددت بان ظهر الارض بطن وان البطن منها صار ظهرا  
واني مت قبل ورود خطب أنى فأنار في الأكساد جبرا  
وان دمي لمن قد بان غسل وان ضلوع صدري كن قبرا  
ثم اتصل بعد حين تكذيب ذلك الخبر فقلت :

بشرى انت والياس مستحکم والقلب في سبع طباق شداد  
كست فؤادي خضرة بعدما كان فؤادي لابساً للحداد  
جى سواد الغم عني كما يحلى بلون الشمس لون السواد  
هذا وما امل وصلاً سوى صدق وفاء بقديم الوداد  
فالمرن قد تطلب لا للحيا لكن لظل بارد ذي امتداد

ويقع في هذين الصنفين من الين الوداع اغني رحيل المحب أو رحيل  
المحبيب وانه من المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل  
ماضي الغرائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة وتسكب كل عين جود ويظهر  
مكنون الجوى وهو فصل من فصول الين يجب التكميم فيه كالمتاب في باب  
الهجر والعمري لو ان طريقاً يموت في ساعة الوداع لكان معذوراً اذا تفكر  
فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال وحلول الاوجال وتبدل السرور بالحزن  
وانها ساعة ترق القلوب القاسية وتلين الافئدة الغلاظ وان حركة الرأس

وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاكة حجاب القلب وموصلة اليه من  
الجزع بمقدار ما تنقل حركة الوجه في ضد هذا والإشارة بالعين والتبسم  
ومواطن الموافقة والوداع ينقسم قسمين أحدهما لا يتمكن فيه إلا بالنظر والإشارة  
والثاني يتمكن فيه بالتناق والملازمة وربما لعله كان لا يمكن قبل ذلك البتة مع  
تجاوز الحال وإمكان التلاقي ولهذا تمنى بعض الشعراء البين ومدحوا يوم النوى  
وما ذاك بحسن ولا بصواب من الرأي ولا بالأصيل من الرأي فما بين سرور  
ساعة يحزن ساعات فكيف إذا كان البين أياماً وشهوراً وربما أعواماً وهذا  
سوء من النظر ومعوج من القياس وإنما اثبت على النوى في شعري تمناً  
لرجوع يومها فيكون في كل يوم لقاء ووداع (على أن تحتل مضض هذا  
الاسم الكريه وذلك عندما يمضي من الأيام التي لا التقاء فيها فحينئذ يرغب  
الحب من يوم الفراق لو كان أمكنه في كل) يوم وفي الصنف الأول من الوداع  
أقول شعراً منه :

تنوب عن بهجة الأنوار بهجته كما تنوب عن التيران أنفاسي  
وفي الصنف الثاني من الوداع أقول شعراً منه :

وجه تخر له الأنوار ساجدة والوجه ثم فلم ينقص ولم يزد  
دفء شمس الضحى بالجدي نازلة وبارد ناعم والشمس في الأسد  
ومنه :

يوم الفراق لعمرى لست أكرهه أصلاً وإن شئت شمل الروح عن جسدي  
ففيه عانقت من أهوى بلا جزع وكان من قبله أن سبل لم يجد  
أليس من عجب (١) وعبرتها يوم الوصال ليوم البين ذو حسد  
وهل محس في الأفكار أو قام في الظنون أشنع وأوجع من هجر عتاب

---

(١) نقص في الأصل ولعل الكلمة الساقطة : دعي وعبرتها



وقع بين محبين ثم فجأتها النوى قبل حلول الصلح والنخلال عقدة الهجران  
فناما الى الوداع وقد نسي القتاب وجاء ماظم على القوى واطار الكرى وفيه  
اقول شعراً منه :

وقد سقط القتب المقدم واحيى      وجاءت جيوش اليبين تجري وتسرع  
وقد ذعر اليبين الصدود فراحه      فولى فما يدري له اليوم موضع  
كذب خلا بالصيد حتى اضله      هزبر له من جانب الغيل مطلع  
لئن سرتني في طرده الهجراني      لا يعبده عني الحبيب لموجع  
ولا بد عند الموت من بعض راحة      وفي غيبها الموت الوحي المصرع

واعرف من اتى ليودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات فوقف على  
آثاره ساعة وتردد في الموضع الذي كان فيه ثم انصرف كثيراً متغير اللون  
كاسف البال فما كان بعد ايام قلائل حتى اعتل ومات رحمه الله وان للبين في  
اظهار السرائر المطوية عملاً عجياً ولقد رأيت من كان حبه مكتوماً وبما يجد  
مستتراً فيه حتى وقع حادث الفراق فباح المكنون وظهر الحقي وفي ذلك اقول  
قطعة منها :

بذات من الود ما كان قبل      منعت واعطيتيه جزافاً  
ومالي به حاجة عند ذاك      ولو جدت قبل بلغت الشغافا  
وما ينفع الطب عند الحمام      وينفع قبل الردى من تلافيا  
واقول :

الآن اذ حل الفراق جدت لي      بخفي حب كنت تبدي بخاه  
فزدتني في حسرتي اضعافها      ويحيى فهلا كان هذا قبله  
ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الازمان بمودة رجل من وزراء  
السلطان ايام جاهه فاطهر بعض الامتسك فتركته حتى ذهب ايامه وانقضت  
دولته فأبدي لي من المودة والاخوة غير قليل فقلت :

بذلت لي الاعراض والدهر مقل وتبذل لي الاقبال والدهر معرض  
وتبسطني اذ ليس ينفع بسطكم فهلا أبحت البسط اذ كنت تقبض  
ثم بين الموت وهو الفوت وهو الذي لا يرجى له إياب وهو المصيبة الخلة  
وهو قاصمة الظهر وذاهيه الدهر وهو الويل وهو المغطى على ظلمة الليل وهو  
قاطع كل رجاء ومأجى كل طمع والمؤيس من اللقاء وهنا حادت اللسان  
وانجذمت حبل العلاج فلا حيلة الا الصبر طوعاً او كرهاً . وهو اجل ما يبلى  
به المحبون فما لمن دهي به الا التوحي والبكاء الى ان يتلف او يمل فهي القرحة  
التي لاتنكي والوجع الذي لا يغني وهو الغم الذي يتجدد على قدر بلاء من  
اعتمدته في الترى وفيه اقول :

كل بين واقع فرجى لم يفت  
لا تعجل قنطاً لم يفت من لم يمت  
والذي قدمات فالأس عنه قد ثبت

وقد رأينا من عرض له هذا كثير . وعني اخبرك اني احد من دهي بهذه  
الفادحة وتعجلت له هذه المصيبة وذلك اني كنت اشد الناس كلفاً واعظمهم  
حجاً بحارية لي كانت فيما خلا اسمها نعم (بالضم) وكانت امنية المتعنى وغاية الحسن  
خلقاً وخلقاً وموافقة لي وكنت انا عذرها وكننا قد تكافأنا المودة فنجعتني  
بها الاقدار واختيرتها الليالي ومر النهار وصارت نائمة التراب والاحجار وسنى  
حين وفاتها دون العشرين سنة وكانت هي دوني في السن فلقد اقيمت بعدها  
سبعة اشهر لا تجرد عن ثيابي ولا تنفتر لي دمة على جمود عيني وقلة اسماعها  
وعلى ذلك فوالله ما سلوت حتى الآن ولو قبل فداء لغديتها بكل ما املك من تان  
وطارف وبعض اعضاء جسمي الغريزة على مسارعاً طائفاً وما طاب لي عيش  
بعدها ولا نسيت ذكرها ولا أنست بسواها ولقد عفى حي لها على كل ما قبله  
وحرم ما كان بعده . وما قلت فيها :

مهذبة يضاء كالشمس ان بدت      وسائر ربات الحجل نجوم  
أطار هواها القاب عن مستقره      فبعد وقوع ظل وهو يحوم  
ومن مرائي فيها قصيدة منها :  
كأنني لم آنس بالفاظك التي      على عقد الالباب هن نواف  
ولم اتحكم في الاماني كأنني      لافراط ما حكمت فيهن عابت  
ومنها :

ويدين اعراضاً وهن أوالف      ويقسمن في هجري وهن حوانث  
واقول ايضاً في قصيدة اخاطب فيها ابن عمي ابا المغيرة عبد الوهاب احد  
ابن عبد الرحمن بن حزم بن غالب واقرضه فاقول :  
قفا فاسألا الاطلال اين قطبها      أمرت عليها بالبي الملوأ  
على دارسات مقنلات عواطل      كأن الغاني في الحفاء معاني

واختلف الناس في اي الأمرين اشد البين ام الهجر وكلاهما مرتقى صعب  
وموت احمر وبلية سوداء وستة شهباء (١) وكل يستبشع من هذين ما ضاد طبعه  
فاما ذو النفس الابية الالوف لاوف الحانة الثابتة على العهد فلا شيء يعدل  
عنده مصيبة البين لانه أنى قصداً وتممته النوائ عمداً فلا يجد شيئاً يسلي  
نفسه ولا يصرف فكرته في معنى من المعاني الا وجد باعثاً على صبايته ومحرراً  
لاشجانته وعليه لاله وحجة لوجده وحاضاً على البكاء على الفه واما الهجر  
فهو داعية السوء ورائد الاقلاع واما ذو النفس التواقفة الكثيرة التزوع . والتطلع  
اقلوق الغزوف فاهجر دأؤه وجالب حنقه والبين له مسلاة ومنساة واما انا فالموت  
عندي اسهل من الفراق واما الهجر الا جالب للحكم فقط ويوشك ان دام  
ان يحدث ايغاراً (٢) وفي ذلك اقول :

(١) سنة شهباء : مجبة (٢) في الاصل : ايضاراً

وقالوا ارتحل فلعل السلو يكون وترغب ان ترغبه  
فقلت الردى لي قبل السلو ومن يشرب السم عن تجربه

واقول :

سبي مهجتي هواه واودت بها نواه  
كأن الغرام ضيف وروحي غدا قراه

ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه ويتعمده خوفاً من مرارة يوم الدين  
وما يحدث به من لوعة الاسف عند التفرق وهذا وان لم يكن عندي من المذاهب  
المرضية فهو حجة قاطعة على ان الدين اصعب من الهجر وكيف لا وفي الناس  
من يلوذ بالهجر خوفاً من الدين ولم اجد أحداً في الدنيا يلوذ بالدين خوفاً من  
الهجر وانما يأخذ الناس ابداً الأسهل ويتكلفون الأهون وانما قلنا انه ليس  
من المذاهب المحموده لان اصحابه قد استعجلوا البلاء قبل نزوله وتجرعوا نكصه  
الصبر قبل وقها وأعل ما تخوفوه الا يكون ليس من يتعجل المكروه وهو على  
غير يقين مما لم يتعجل بحكيم وفيه اقول شعراً منه :

لبس الصب للصبابة يننا ليس من جانب الاحبة منا  
كفني يعيش عيش فقير خوف فقر وفقره قد أبنا

واذكر لابن عمي ابى المغيرة هذا المعنى من ان الدين اصعب من الصد اياتاً  
من قصيدة خاطبني بها وهو ابن سبعة عشر عاماً او نحوها وهي :

أجزعت ان ازف الرجيل وولت ان نص الذميل  
كلما مصابك فادح وأجل فراقهم جليل  
كذب الاولى زعموا بان الصد مرتبه وبين  
لم يعرفوا كنه القليل ل وقد تحملت المحول  
اما الفراق فانه الموت ان اهوى ذليل

ولي في هذا المعنى قصيدة مطولة اولها :

لامثل بيمك ضحوة التنعيم      في منظر حسن وفي تنعيم  
قد كان ذاك اليوم ندرة عاقر      وصواب خاطئة وولد عقيم  
ايام برق الوصل ليس يخلب      عندي ولاروض الهوى بهشيم  
من كل غانية يقول نديها      سيري امامك والازار أقيمي  
كل يجاذبها خمرة خرها      خجل من التأخير والتقديم  
ما يسي سوى تلك العيون وليس في      برءي سواها في الورى بزيم  
مثل الافاعي ليس في شيء سوى      أجسادها اراء لدغ سليم

والين ابكى الشعراء على المعاهد فأدروا على الرسوم الدموع وسقوا الديار  
ماء الشوق وتذكروا ما قد سلف لهم فيها فاعولوا واتحجوا واجت الانار دفين  
شوقهم ففتحوا وبكوا ولقد اخبرني بعض الورد من قرطبة وقد استخبرته عنها  
انه رأى دورنا ببلاط ميث في الجانب الغربي منها وقد احدث رسومها وطمست  
اعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى وصارت صحاري مجذبة بعد العمران  
وفيا في موحشة بعد الانس وخرائب منقطعة بعد الحسن وشعاباً مفزعة بعد الامن  
وماوى للذئاب ومعازف للغيلان وملاعب للجان ومكامن للوحوش بعد رجال  
كالليوت وخرائب كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدد شملهم فصاروا في  
البلاد ايادي سبا فكان تلك المحارب المنمقة والمقاصير المزينة التي كانت تشرق  
اشراق الشمس ويحلو الهموم حين منظرها حين شملها الحراب وعمها الهدم  
كافواه السباع فاعرة تؤذن بفناء الدنيا وترى عواقب اهلها وتحريك عما يصير  
اليه كل من تراه قائماً فيها وترهد في طلبها بعد ان طال ما زهدت في تركها  
وتذكرت ايامي بها ولذا في فيها وشهور صباي لديها مع كواعب الى مثاهن صبا  
الحليم ومثلت لنفسى كونهن تحت النرى وفي الآثار النائية والنواحي البعيدة

وقد فرقهن يد الجلاء ومزقهن أكف النوى وخيل الى بصري بقاء تلك  
النصبة بعد ماعلمته من حسنها وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيها  
لديها وخلاء تلك الألفية بعد تضايقها بالهلا والوهمت سمعي صوت الصدى والهلم (١)  
عليها بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها وكان لئلا تبعاً لنهارها  
في انتشار ساكنها والتقاء عمارها فماد نهارها تبعاً لليلها في الهدوء والاستيحاش  
فابكي عيني واورج قلبي وقرع صفاة ككبي وزاد في بلاء لي فقلت  
شمرأ منه :

لئن كان أظنانا فقد طال ماسقى وان ساءنا فيها فقد طال ماسرا  
والين يولد الحين والاهتياج والتذكر وفي ذلك اقول :

ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى بين بينهم عني فقد وقفنا  
أقول والليل قد أرخى اجله وقد تألى بأن لا ينقضي فوفنا  
والنجم قد حار في افق السماء فما يمضي ولا هو للتخير (٢) منصرفا  
تخاله مخطئا او خائفا وخلا اوراقاً (٣) موعداً او عاشاً تأذنا

(١) الصدى : اليوم الذكر والهلم جمع هامة وهي طائر من طيور الليل  
(٢) لعل الصواب : للتخير بخاء مهمة ، اي من اجل حيرته ووعو المناسب  
لقوله : قد حار . والمعنى انه لا يمضي في سيره ولا ينصرف راجعاً على اعقاب  
وهو مقتبس من قول امرئ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل  
(٣) في الاصل راثياً



## ﴿ باب القنوع ﴾

ولا بد للمحب اذا حرم الوصل من القنوع بما يجد وان في ذلك لتعللاً  
لنفس وشغلاً للرجاء وتجديداً للهنى وبعض الراحة وهو مراتب على قدر الاصابة  
والتمكن فاولها الزيادة وانها لامل من الآمال ومن سري ما يسبح في الدهر مع ما  
تبدى من الخسر والحياء لنا يعلمه كل واحد منهما مما في نفس صاحبه وهي  
على وجهين احدهما ان يزور المحب محبوبه وهذا الوجه واسع والوجه الثاني  
ان يزور المحبوب محبه ولكن لاسبيل الى غير النظر والحديث الظاهر وفي  
ذلك أقول :

فان تبأ عني بالوصل فأنتي سأرضى بلحظ العين ان لم يكن وصل  
خسبي ان القاك في اليوم مرة وما كنت ارضى ضعف ذا منك لي قبل  
كذا همة الوالي تكون رفيعة ويرضى خلاص النفس ان وقع الغزل  
واما رجع السلام والمحاطبة فامل من الآمال وان كنت انا اقول في قصيدة لي  
فها انا اذا أخني واقنع راضياً يرجع سلام ان تسر في الحين

فانما هذا لمن يتقل من مرتبة الى ما هو ادنى منها وانما يتفاضل المخلوقات  
في جميع الاوصاف على قدر اضافتها الى ما هو فوقها او دونها واني لاعلم من  
كان يقول لمحبه عدني واكذب قنوعاً بان يسلي نفسه في وعده وان كان  
غير صادق فقلت في ذلك :

ان كان وصلك ليس فيه مطمع والقرب ممنوع فعدي واكذب  
فمضى اتعالى بالتفانك ممسك لحياة قلب بالصدود معذب  
فلقد يسلي المجددين اذا رأوا في الافق يلعب ضوء برق خلب  
ومما يدخل في هذا الباب شيء رأته ورآه غيري معي ان رجلاً من



اخواني جرحه من كان يحبه بمدية فلقد رأته وهو يقبل مكان الجرح ويندبه  
مرة بعد مرة فقلت في ذلك :

يقولون شجك من هممت فيه فقلت لعمرى ما شجني  
ولكن احسن دمي قربه فطار اليه ولم ينثن  
فيا قاتلي ظالماً محسناً فديتك من ظالم يحسن

ومن القنوع ان يسر الانسان ويرضى بعض آلات محبوه وان له من  
النفس لموقعاً حسناً وان لم يكن فيه الامانص الله تعالى علينا من ارتداد يعقوب  
بصيراً حين شم قيص يوسف عليهما السلام وفي ذلك اقول :

لما منعت القرب من سيدي ولج في هجري ولم ينصف  
صرت بانصاري اثوابه او بعض ما قدمه اكتفى  
كذاك يعقوب نبي الهدى إذ شفه الحزن على يوسف  
شم قيصاً جاء من عنده وكان مكثوفاً فنه بشفي

وما رأيت قط متعاشقين الا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعبير مرشوشة  
بناء الورد وقد جمعت في اصلها بالمصطكي وبالشمع الابيض المصفي ولفت في  
تطاريف الوشي والحز وما شبه ذلك لتكون تذكرة عند اليين واما تهادي  
المساويك بعد مضغها والمصطكي اثر استعمالها فكثير بين كل متحابين قد حذر  
عليهما اللقاء وفي ذلك اقول قطعة منها :

أرى ريقها ماء الحياة يتقناً على انها لم تبق لي في الهوى حشاً

( خبر ) واخبرني بعض اخواني عن سليمان بن احمد الشاعر انه رأى بن سهل  
الحاجب بحزيرة صقلية وذكر انه كان غابة في الجمال فشاهده يوماً في بعض  
المنتزهات ماشياً وامراً خلفه تنظر اليه فلما ابعد اتت الى المكان الذي قد  
أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلم الأرض التي فيها اثر رجله وفي ذلك اقول  
قطعة اولها :

يلوموني في موطني خفه جنأ  
فيا اهل ارض لآجود سجاها  
خذوا بوصاتي تستقلوا وتحمدوا  
أضمن ان المحل عنكم يبعد  
فذاك صعيد طيب ليس بمجد  
لعينه من جيريل اثر مجد  
كذلك فمل السامري وقد بدا  
فصير جوف العجل من ذلك الثرى

واقول :

لقد بورك ارضها انت قاطن  
وبورك من فيها وحل بها السعد  
فاجارها در وسعدانها ورد  
وامواها شهد وترتها ند

ومن القنوع الرضى بزار الطيف وتسليم الحيال وهذا انما يحدث عن ذكر  
لا يفارق وعهد لا يحول وفكر لا ينقض فاذا نامت العيون وهذات الحركات  
سرى الطيف وفي ذلك اقول :

زار الحيال فتى طالت صباه  
على احتفاظ من الحراس والحفظه  
فت في ليلي جدلان مبهجاً  
ولذة الطيف تنسى لذة اليقظة

واقول :

أتى طيف نعم (١) مضجعي بدهدأة  
وعهدي بها تحت التراب مقيمة  
فعدنا كما كنا وعاد زماننا  
كما قد عهدنا قبل والعود احمد

ولشمراء في علة مزار الطيف اقاويل بديعة بعيدة الرمي مخترعة كل سبق  
الى معنى من المعاني فابو اسحق ابن سيار النظام رأين المعتلة جعل علة مزار

---

(١) انظر ما تقدم من خبرها في الصفحة ٨٨ (٢) يجب اختلاس مد الهاء  
في «قبه» ليستقيم الوزن ولو قيل «من قبل» لاستقام بلا تكلف

الطيب خوف الارواح من الرقيب المرقب على بهاء الابدان وابو تمام حبيب  
ابن اوس الطائي جعل علته ان نكاح الطيف لا يفسد الحب ونكاح الحقيقة  
يفسده والبحري جعل علة اقباله استضاءته بنار وجوده وعلة زواله خوف الغرق  
في دموعه وانا اقول من غير ان امثل شعري باشعارهم فلهم فضل التقدم  
والسابقة وانما نحن لاقطون وهم الحاصدون ولكن اقتداء بهم وجرياً في ميدانهم  
وتبعاً لطريقهم التي نهجوا ووضحوا : اياتاً بينت فيها مزار الطيف مقطعة :

أغار عليك من ادراك طرفي وأشفق ان يذيك لمس كفي  
فأمتنع اللقاء حذار هذا وأعتمد التلاقي حين اغفي  
فروحي ان اتم بك ذوافراد من الاعضاء مستر ومخفي  
ووصل الروح الطيف فيك وقفاً من الجسم الموصل الفاضف

وحال المزود في المنام ينقسم اقساماً اربعة احدهما محب مهجور قد تطاول  
غمه ثم رأى في هجته ان حبيبه وصله فسر بذلك وابتهج ثم استيقظ فأسف  
وتلف حيث علم ان ما كان فيه اماني النفس وحديثها وفي ذلك اقول :  
انت في مشرق النهار بخيل واذا الليل جن كنت كريماً  
تجعل الشمس منك لي عوضاً هي هات ماذا الفعال منك قوياً  
زارني طيفك البعيد فيأتي واصلا لي وعائداً ونديماً  
غير اني منعني من تمام العيش لكن ابحت لي التشميس  
فكأنني من اهل الاعراف لا الفر دوس داري ولا اخاف الجحيم

والثاني محب موصل مشفق من تغير يقع قد رأى في وسنه ان حبيبه  
يهجره فاهتم لذلك همّاً شديداً ثم هب من نومه فعلم ان ذلك باطل وبعض  
وساوس الاشفاق . والثالث محب داني الديار يرى ان التناهي قد فدحه ،  
فيكثرث ويوجد ، ثم يتبه فيذهب ما به ويسود فرحاً . وفي ذلك اقول  
قطعة منها :

رأيتك في نومي كأنك راحل      وقنا الى التوديع والدمع هامل  
وزال السكرى عني وانت معانقي      وغمي اذ عاينت ذلك زائل  
فجددت تعيقاً وضمماً كأنني      عليك من البين المفرق واجل (١)

والرابع محب نأسي المزار يرى ان المزار قد دنا والمنازل قد تصابقت فيرتاح  
ويأنس الى فقد الاسبى ثم يقوم من سنته فيرى ان ذاك غير صحيح فيعود الى  
اشد ما كان فيه من الغم وقد جملت في بعض قولي علة النوم الطمع في طيف  
الخيال فقلت :

طاف الخيال على مسهتر كلنف      لولا ارتقاب مزار الطيف لم ينم  
لا تهجوا اذ سرى والليل معتكف      فنوره مرهب في الارض للظلم

ومن القنوع ان يقنع المحب بالنظر الى الجدران ورؤية الحيطان التي تحتوي  
على من يحب وقد رأينا من هذه صفته ولقد حدثني ابو الوليد احمد بن محمد  
ابن اسحق الحازن رحمه الله عن رجل جليل انه حدث عن نفسه بمثل هذا  
ومن القنوع ان يرتاح المحب الى ان يرى من رأى محبوبه ويأنس به ومن اتى  
من بلاده وهذا كثير وفي ذلك اقول :

توحش من مكانه فكأنهم      مساكن عاد اعقبته ثمود

ومما يدخل في هذا الباب ابيات لي موجهة الي تنزهت انا وجماعة من  
اخواني من اهل الادب والشرف الى بستان لرجل من اصحابنا فجئنا ساعة ثم  
افضى بنا القعود الى مكان دونه يتمنى فتمددنا في رياض اريضة (٢) وارض عريضة  
للبصر فيها منفسح ولتنفس لديها مسرح بين جداول تطرد كأباريق اللجين  
واطياف تغرد بأحان تدرى بما ابدعه معبد وابن الغريض وثمار مهدلة قد ذلت  
للأيدي وذلت للمتناول وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتصور بين

---

(١) في الاصل قبل ولا معنى له (٢) الارض الاريضة : المعجبة للعين

ايدنا كرقاع الشطرنج والثياب المدبجة وماء عذب يوجودك حقيقة طعم الحياة  
وانهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خيرير يقوم ويهدأ (١) ونواوير مؤنثة  
مختلفة الالوان تصنفها الرياح الطيبة النسيم وهواء سحسج (٢) واخلاق جلاس تفوق  
كل هذا في يوم ربيعي ذي شمس ذليلة تارة يغطيها الغيم الرقيق والمزف  
اللطيف وتارة تنجلي فهي كالغبراء الحنرة والخريدة الحجلة تترامى لعاشقها من  
بين الاستار ثم تغيب فيها حذر عين مراقبة وكان بهضنا مطرقاً كأنه يحدث (٣)  
اخرى وذلك لسر كان له فمرض لي بذلك وتداعبنا حيناً فكلفت ان  
اقول على لسانه شيئاً في ذلك فقلت بديهة وما كتبوها الا من تذكرها بعد  
انصرافنا وهي :

وما تروحن بأكناف روضة	مهلة الافنان في ترها الندي
وقد ضحكت انوارها وتضوعت	أساورها في ظل فيء محمد
وأهدت لنا الاطيار حسن صريفها	فن بين شك شجوه ومفرد
ولمساء فيما بيننا متصرف	ولابن مرتاد هناك ولابد
وما شئت من الخلاق ازوع ماجد	كريم السجاياء للفخار مشيد
تغص عندي كل ما قد وصنته	ولم يهني اذ غاب عني سيدي
فباليتي في السجن وهو معاتي	وانتم ممأ في قصر دار المجدد
فن رام منا ان يبدل حاله	بحال اخيه او بملك مخلد
فلا عاش الا في شقاء ونكبة	ولا زال في بؤسى وخزي مردد

فقال هو ومن حضر آمين آمين وهذه الوجوه التي عدت واوردت في  
حقائق القناعه الموجودة في اهل المودة بلا ترديد ولا اعياء .

---

(١) في الاصل : يهدى (٢) الهواء السحسج : المعتدل بين الحر والبرد  
(٣) لعل الصواب : لالة

وللشمرء فن من القنوع ارادوا فيه اظهار غرضهم وابانة اقتدارهم على المعاني الغامضة والمرامي البعيدة وكل قال على قدر قوة طبعه الا انه تحكم باللسان وتشدق في الكلام واستطالة بالبيان وهو غير صحيح في الاصل فمنهم من قنع بان السماء تظله هو ومحجوبه والارض تقلهما ومنهم من قنع باستواءهما في احاطة الليل والنهار بهما ومن اشبه هذا وكل مبادر الى احتواء الغاية في الاستقصاء واحراز قصب السبق في التدقيق ولي في هذا المعنى قول لا يمكن التعقب الى (١) ان يجد بعده متاولا ولا وراءه مكاناً مع تبيني علة قرب المسافة البعيدة وهو :

وقالوا بعيد قلت حسبي بانه      معي في زمان لا يطيق محيداً  
تمر على الشمس مثل مرورها      به كل يوم يستنير جديداً  
فمن ليس ينبغي في المسير وبينه      سوى قطع يوم هل يكون بعيداً  
وعلم الله الخلق يجمعنا معاً      كفى ذا التداني ما اريد مزيداً

فبينت كما ترى اني قانع بالاجتماع مع من احب في علم الله الذي السموات والافلاك والعوالم كلها وجميع الموجودات لا تتسب منه ولا تتجزأ فيه ولا يشذ عنه شيء ثم اقتصرت من علم الله تعالى على انه في زمان وهذا اعم مما قاله غيري في احاطة الليل والنهار وان كان الظاهر واحداً في البادي الى السامع لان كل الخنوقات واقعة تحت الزمان وانما الزمان اسم موضع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته واجرامه والليل والنهار متولدان عن طلوع الشمس وغروبها وهما متناهيان في بعض العالم الاعلى وليس هكذا الزمان فانهما بعض الزمان وان كان لبعض الفلاسفة قول ان الظل متماد فهذا يخبطه العيان وعلل الرد عليه بانه ليس هذا موضعها ثم بينت انه وان كان في اقصى المأمور من المشرق وانا في اقصى

العمور من المغرب وهذا طول السكنى فليس بيني وبينه الامساقه يوم اذ الشمس  
تبدو في اول النهار في اول المشارق وتغرب في آخر النهار في آخر المغارب ومن  
القنوع فصل أوردته واستعذ بالله منه ومن اهله واحمده على ما عرف نفوسنا من منافرته  
وهو ان يضل العقل حيلة وتفسد القريحة ويتلف التميز ويهون الصعب وتذهب  
الغيرة وتعدم الانفة فيرضى الانسان بالمشاركة في من يحب وقد عرض هذا لقرم  
اعاذنا الله من البلاء وهذا لا يصح الامع كلبية في الطبع وسقوط من العقد  
الذي هو عيار (١) على ماتحته وضمف حسن ويؤيد هذا كله حب شديد مع  
فاذا اجتمعت هذه الاشياء وتلاقحت بمزاج الطباع ودخول بعضها في بعض نتج  
بينهما هذا الطبع الحسيس وتولدت هذه الصفة الرذلة وقام منها هذا الفعل  
المقذور والقيح واما رجل معه اقل همة وايسر مرؤة فهذا منه ابعد من الثريا  
ولو مات وجداً وتقطع حباً وفي ذلك اقول زاريا على بعض المساحين في  
هذا الفصل :

رأيتك رجب الصدر ترضى بما أتى	وأفضل شيء ان تلين وتسبحا
حفظك من بعض السواني (١) منفضل	على ان يحوز الملك من اصلها الرحا
وعضو يعير فيه في الوزن ضعف ما	تقدرة في الجدي فاعص الذي حأ
ولعب الذي تهوى بسيفين معجب	فكن ناحياً في نحوه كيف مانحاً




---

(١) لعل الصواب : معيار  
(١) السانية كالناعورة تسقى بها الارض



( باب الضنى )

ولا بد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل اما بين واما بهجر واما  
بكتمان واقع لمعنى من ان يؤول الى حد السقام والضنى والتحول وربما اضجعه  
ذلك وهذا الامر كثير جداً موجود ابداً والاعراض الواقعة من المحبة غير  
العلل الواقعة من هجات العلل ويميزها الطبيب الحاذق والمتفكر الناقد وفي  
ذلك اقول :

يقول لي الطبيب بغير علم	تداو فانت يا هذا عليل
ودائي ليس يدريه سوائي	ورب قادر ملك جليل
أأكتمه ويكشفه شهيق	يلازمني واطراق طويل
ووجه شاهدات الحزن فيه	وجسم كالخيال ضن نحيل
واثبت ما يكون الامر يوماً	بلا شك اذا صح الدليل
فقلت له ابن عني قليلاً	فلا والله تعرف ماتقول
فقال ارى نحولاً زاد جداً	وعلتك التي تشكو ذبول
فقلت له الذبول تعل منه الج	وارح وهي حى تستحيل
وما اشكو لعمر الله حى	وان الحر في جسمي قليل
فقال ارى التفاتاً وارتقاباً	وافكاراً وصمتاً لا يزول
واحسب انها الموداء فانظر	لنفسك انها عرض ثقيل
فقلت له كلامك ذا محال	فما الدمع من عيني يسيل
فاطرق باهتاً مما رآه	ألا في مثل ذا بهت النيل
فقلت له دوائي منه دائي	ألا في مثل ذا ضلت عقول
وشاهد ما اقول يرى غياناً	فروع التبت ان عكست اصول
وترياق الافاعي ليس شيء	سواه بيرة ما لدغت كفيل

وحدثني ابو بكر محمد بن بقي الحجري وكان حكيم الطبع عاقلاً فهِماً عن رجل من شيوخنا لا يمكن ذكره انه كان ببغداد في خان من خاناتها فرأى ابنة لوكيلة الخان فاجبها وتزوجها فلما خلا بها نظرت اليه وكانت بكراً وهو قد تكشف لبعض حاجته فراعها **كبر**..... ففرت الى امها وتفاقت منه فرام بها كل من حواليا ان ترد اليه فأبت وكادت ان تموت ففارقها ثم ندم ورام ان يراجعها فلم يمكنه واستعان بالابهرى وغيره فلم يقدر احد منهم على حيلة في امره فاختلط عقله واقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ولقد كان اذا ذكرها يتنفس الصعداء وقد تقدم في اشعاري المذكورة في هذه الرسالة من صفة التحول مفرقاً ما استغنيت به عن ان اذكر هنا من سواها شيئاً خوف الاطالة والله المعين والمستعان وربما ترقى الى ان يغلب المرء على عقله ويحال بينه وبين ذهنه فيوسوس

( خبر ) واني لاعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد وقد بلغ بها حب قتي من اخواني جداً من ابناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الاسود وكادت تختلط واشتهر الامر وشاع جداً حتى علمناه وعلمه الاباعد الى ان تدوركت بالعلاج وهذا انما يتولد عن ادمان الفكر فاذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط السوداوي خرج الامر عن حد الحب الى حد الوله والجنون واذا اغفل التداوي في الاول الى المعاناة قوى جداً ولم يوجد له دواء سوى الوصال ومن بعض ما كتبت اليه قطعة منها :

قد سلبت القواد منها (١) اختلاساً	اي خلق يعيش دون فؤاد
فاغتها بالوصل تحي شريفاً	وتفز بالثواب يوم المعاد
واراها تقاض ان دام هذا	من خلا خيلها حلى الاقياد

انت حتماً متم الشمس حتى عشقها بين ذا الوري لكبادي

(خبر) وحدني جعفر مولى احمد بن محمد بن جدير المعروف بالبليني ان سبب اختلاط مروان بن يحيى بن احمد بن جدير وزهاب عقله اعتلاقه بجارية لاختيه فتعها منه واباعها (١) بغيره وما كان في اخوته مثله ولا اتم اداً منه واخبرني ابو العافية مولى محمد بن عباس بن ابي عبدة ان سبب جنون يحيى بن احمد ابن عباس بن ابي عبدة بيع جارية له كان يجد بها وجداً شديداً كانت امه اباعها وزهبت الى انكاحه من بعض الامريات فهاذان رجلان جليلان مشهوران فقدما عقولهما واختلطا وصارا في القيود والاذلال فاما مروان فاصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة واتهاهم اليها فتوفي رحمه الله واما يحيى ابن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه وقد رأيته انا مراراً وجالسته في القصر قبل ان يتمكن بهذه المحنة وكان استاذي واستاذي الفقيه ابو الحيار اللغوي وكان يحيى لعمري حلواً من التبيان نبلاً . واما من دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً ولكن لم نسمهم لحقائهم وهذه درجة اذا بلغ المشغوف اليها فقد انبت الرجاء وانصرم الطمع فلا دواء له بالوصل ولا بغيره اذ قد استحكم الفساد في الدماغ وتلفت المعرفة وتغلبت الآفة اعادنا الله من البلاء بطوله وكفانا النقم بمنه .

---

(١) اراد من الاباعة هنا البيع نفسه ، والذي في القاموس : اباعه عرضه للبيع

## ﴿ باب السلو ﴾

وقد علمنا ان كل ماله اول فلا بدله من آخر حاشى نعيم الله عز وجل الجنة لا وليائه وعذابه بالنار لاعدائه واما اعراض الدنيا فنافذة فانية وزائلة مضمحلة وعاقبة كل حب الى احد امرين اما اخزام منية واما سلو حادث وقد نجد النفس تغلب عليها بعض القوى المصرفة معها في الجسد فكما نجد نفساً ترفض الراحة واللاذ للعقل في طاعة الله تعالى وللرباء في الدنيا حتى تشهر بالزهد فكذلك نجد نفساً تنصرف عن الرغبة في لقاء أشكالها للأنفة المستحكمة المنافرة للعذر او استمرار سرور المكافأة في الضمير وهذا اصح السلو وما كان من غير هذين الشيئين فليس الامذموماً والسلو المتولد عن الهجر وطوله انما هو كالبأس يدخل على النفس من بلوغها الى املها فيفتقر تراعا ولا يقوي رغبته ولي في ذم السلو قصيدة منها :

اذا مارنت فالحي ميت بلحظها      وان نظفت قلت السلام رطاب  
كان الهوى ضيف ألم بهجتي      فاحمي طعام والتجبيع شراب

ومنها :

صبور على الازم الذي العز خالنه      ولو اطمرت به بالحريق سحاب  
جزوعاً من الراحة ان اتجتلته      خولا وفي بعض النعم عذاب

والسلو في التجربة الجميلة ينقسم قسمين سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان يخلو به القلب ويفرغ به البال ويكون الانسان كأنه لم يحب قط وهذا القسم ربما لحق صاحبه الذم لانه حادث عن اخلاق مذمومة وعن اسباب غير موجبة استحقاق النسيان وستأتي مبينة ان شاء الله تعالى وربما لم تنحته الائمة اعذر صحيح والثاني سلو تطبعي قهر النفس وهو المسمى بالتصبر فترى المرء يظفر التجلد

وفي قلبه اشد لدغاً من وخز الاشقي (١) ولكنه يرى بعض الشر أهون من بعض او يحاسب نفسه بحجة لاتصرف ولا تكسر وهذا قسم لا ينم آتية ولا يلام فاعله لانه لا يحدث الا عن عزيمة ولا يقع الا عن فادحة. اما لسبب لا يصبر على مثله الاحرار واما الحطب الامر له تجري به الاقدار وكفاك من الموصوف به انه ليس بناس لكنه ذاكرو ذو حنين واقف على العهد ومتجرع مرارات الصبر والفرق العامي بين المتصبر والناسي انك ترى المتصبر وان ابدى غاية الجلد وان ظهر سب محبوبه والتحمل عليه لا يحتمل ذلك من غيره وفي ذلك اقول قطعة منها :

دعوني وسبي للحبيب فاتني وان كنت ابدي الهجر لست معادياً  
ولكن سبي للحبيب كملهم أجاد فلقاء الاله الدواهي

والناسي ضد هذا وكل هذا فعلى قدر طبيعة الانسان واجابتها وامتناعها وقوة تمكن الحب من انقاب او ضعفه وفي ذلك اقول وسميت السالي فيه انتصير قطعة منها :

نامي الاحبة غير من يسلوهم حكم المقصر غير حكم المقصر  
ما قاصر لنفس غير مجيها ما الصابر المطبوع كالتصير

والاسباب الموجبة للسلو انقسم هذين القسمين كثيرة وعلى حسبها ويتقدّر الواقع منها يعذر السالي وينم

فإنها الملل وقد قدمنا الكلام عليه وان من كان سلوه عن ملل وليس حجة حتمية والمنوسم به صاحب دعوى زائفة وانما هو طالب لذة ومبادر شهوة والسالي من هذا الوجه ناس مذموم (٢)

(١) الاشقي : المتعب والسراد يختر به ويؤت « قاموس »

(٢) انظر ما قدمه في الصفحة ٦٩ — ٧٠ عن ابى عامر محمد بن عامر

ومنها الاستبدال وهو وان كان يشبه الملل فيه معنى زائد وهو بذلك المعنى  
أقبح من الاول وصاحبه احق بالذم

ومنها حياء مركب يكون في الحب يحول بينه وبين التعريض بما يجد فيتناول  
الامر وتراخي المدة وبلى جديده المودة ويحدث السلو وهذا وجه ان كان  
السالي عنه ناسياً فليس بمنصف اذ منه جاء سبب الحرمان وان كان متصبراً  
فليس بملوم اذ أثر الحياء على لذة نفسه وقد ورد عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انه قال : ( الحياء من الايمان واليذاء من النفاق ) وحدثننا احمد  
ابن محمد عن احمد بن مطرف عن عبد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن  
سلة بن صفوان الرزقي عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه الى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم انه قال : ( لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء )  
فهذه الاسباب الثلاثة اصلها من الحب وابتدؤها من قبله والذم لاصق به في  
نسيانه ان يحب

ثم منها اسباب اربعة هن من قبل المحبوب واصلها عنده : فمنها الهجر وقد  
مر تفسير وجوهه ولا بد لنا ان نورد منه شيئاً في هذا الباب يوافقه والهجر  
اذا تطاول وكثر القتاب واتصلت المنارقة يكون باباً الى السلو وليس من وصلك  
ثم قطعك لغيرك من باب الهجر في شيء لانه العذر الصحيح . ولا من مال  
الى غيرك دون ان يتقدم لك معه صلة من الهجر ايضاً في شيء انما ذلك  
هو التفار وسيقع الكلام في هذين النصلين بعد هذا ان شاء الله تعالى لكن  
الهجر ممن وصلك ثم قطعك لتثقل واش او لذنب واقع او شيء قام في النفس  
ولم يمل الى سواك ولا اقام احداً غيرك متمك . والناسي في هذا الفصل من  
الحين ملوم دون سائر الاسباب الواقعة من المحبوب لانه لا يقع حالة تقيم العذر  
في نسيانه وانما هو راغب عن وصلك وهو شيء لا يلزمه وقد تقدم من اذمة  
الوصال وحق ايامه ما يلزم التذكر ويوجب عهد الائمة ولكن السالي على

جهة التصبر والتجلد هاهنا معذور اذا رأى الهجر متادياً ولم ير للوصال علامة  
ولا للمراجعة دلالة ، وقد استجاز كثير من الناس ان يسموا هذا المعنى غدرآ  
اذ ظاهرها واحد ولكن عليهما مختلفتان فلذلك فرقنا بينهما في الحقيقة واقول  
في ذلك شعراً منه :

فكونوا كمن لم أدر قط فاني كآخر لم تدروا ولم تصلوه  
انا كالصدا ما قال كل أحبيه فما شئتموه اليوم فاعتمدوه  
واقول ايضاً قطعة ثلاثة ايات قلتها وانا تأم واستيقظت فاضفت اليها  
البيت الرابع :

الا لله دهر كنت فيه أعز على من روحي وأهلي  
فما برحت يد الهجران حتى طواك بناتها طي السجل  
سقاني الصبر هجر كم كما قد سقاني الحب وصلكم بسجل  
وجدت الوصل اصل الوجد حقاً وطول الهجر اصلاً للتسلي  
واقول ايضاً منها :

لو قيل لي من قبل ذا ان سوف تسلم من تود  
خلفت الف قسامة لا كان ذا ابد الابد  
واذا طویل الهجر ما معه من السلوان بد  
لله هجر كانه ساع لبره مجتهد  
فالآن اعجب للسد وكننت اعجب للجلد  
وأرى هواك كجمرة تحت الرماد لها مدد  
واقول :

كانت جهنم في الحثي من حنكم فلفقد أراها نار ابراهيم  
ثم الانساب الثلاث الباقية التي هي من قبل المحبوب فالصبر من الناس  
فيها غير مذموم لما سنورده ان شاء الله في كل فصل منها



فمنها نفار يكون في المحبوب وانزواء قاطع للاطاع

(خبر) واني لاخبرك عني اني الفت في ايام صباي الفنة المحبة جارية نشأت في دارنا وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخبرها ودمايتها عديمة الهزل منعة البذل بديمة البشر مسيلة السر فقيدة الدام قليلة الكلام مفضضة البصر شديدة الحذر نفة من الميوب دأمة القطوب حلوة الاعراض مطبوعة الانقياض مليحة الصدود رزينة القعود كثيرة الوقار مستلذة النفار لا توجه الاراجي نحوها ولا تقف المطامع عليها ولا معرس للامل لديها فوجهها جالب كل القلوب وحالها طارد من أمها، تزدان في المنع والبخل ما لا يزدان غيرها بالسباحة والبذل موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو على انها كانت تحسن العود احساناً جيداً خُشعت اليها واحببتها حباً مفرطاً شديداً فسميت عامين او نحوهما ان تحبني بكلمة واسم من فيها لفظة — غير ما يقع في الحديث الظاهر الى كل سامع — بألف السعي فما وصلت من ذلك الى شيء البتة ، فلم يهدي بمصطنع كان في دارنا لبعض ما يصطنع له في دور الرؤساء تجمت فيه دخلتنا ودخله اخي رحمه الله من النساء ونساء قياتنا ومن لاث بنا من خدمنا ممن يحف موضعه ويلطف محله فلبث صدرنا من النهار ثم تنقلنا الى قصة ~~كانت~~ في دارنا مشرفة على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفخريتها (١) مفتحة الابواب فصرن ينظرون من خلال الشراحيب وانا يشهن فاني لا اذكر اني كنت اقصد نحو الباب الذي هي فيه النساء بقربها متعرضاً للدنو منها فما هو الا ان تراني في جوارها فترك ذلك الباب وتقصد غيره في لطف الحركة فاتعمدا ان النصر الى الباب الذي صارت اليه فتعود الى مثل ذلك الفعل من الزوال الى غيره ، وكانت قد

---

(١) المنحصر جمع شخص وهو كل موضع يسكن

علمت كافي بها ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه لانهن كن عدداً كثيراً واذ  
كلهن يتنقلن من باب الى باب لسبب الاطلاع من بعض الابواب على جهات  
لا يطلع من غيرها عليها ، واعلم ان قيافة النساء في من عيل اليهن انفذ من  
قيافة مدج في الآثار ثم نزلن الى البستان فرغب عجايزنا وكرامتنا الى سيدتها  
في سماع غنائها فامرتهن فاحذت العود وسوته بخمر وخجل لاعهد لي بشئ وان  
الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنة ثم اندفعت تغني بايات العباس ابن  
الاحنف حيث يقول :

اني طربت الى شمس اذا غربت	كانت مغاربها جوف المقاصير
شمس مثقلة في خالق جارية	كأن اعطافها طي الطوامير
ليست من الانس الا في مناسبة	ولا من الجن الا في التصاوير
فالوجه جوهرة والجسم عهدة	والريح غنيرة والكل من نوز
كأنها حين تخطو في مجاسدها (١)	تخطو على البيض اوحده القوارير

فلعمري لكأن الضراب انما يقع على قلبي وما نسيت ذلك اليوم ولا النساء  
الى يوم مفارقتي الدنيا وهذا اكثر ما وصات اليه من التمكن من رؤيتها وسماع  
كلامها وفي ذلك اقول :

لا تلها على الثنار ومنع النوص	ل كم ماذا لها بنصير
هل يكون الهلال غير بعيد	او يكون الغزال غير تقور

واقول :

منعت جمال وجهك مقتيا	ولفظك قد ضننت به عليا
أراك نذرت للرحمن صوماً	فلمست تكلمين اليوم حيا
وقد غنيت للعباس شعراً	هنيئاً ذا لعباس هنيئاً

(١) المجدد : كبرد ثوب يلي الجسد « قاموس »

فلو بلمالك عباس لاضحى لغوز قالياً وبكم شجيا

ثم انتقل ابي رحمه الله من دورنا المحدث (١) بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة الى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيت في اليوم الثالث من قيام امير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة وانتقلت انا بانتقاله وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ولم تنتقل هي بانتقالنا لامور ارجبت ذلك ثم شغلنا بعد قيام امير المؤمنين هشام المؤيد بالكسبات وباعتداء ارباب دولته وامتحنا بالاعتقال والترقيب والاعرام الفادح والاستتار وارزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا الى ان توفي ابي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الاحوال بعد العصر يوم السبت لليتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين واربعائة واتصلت بنا تلك الحال بعده الى ان كانت عندنا جنازه لبعض اهلنا فرأيتها — وقد ارتفعت الواعية (٢) — قائمة في المأتم وسط النساء في جملة البواكي والنوادب فيقد اثارت وجداً دفيناً وحركت ساكناً وذكرتي عهداً قديماً وجباً تليداً ودهراً ماضياً وزمناً عافياً وشهوراً خوالي واخباراً بوالي ودهوراً فواني وايماناً قد ذهب وآثاراً قد دثرت ، وجددت احزاني وهيجت بلايلي على اني كنت في ذلك النهار مرزءاً مصاباً من وجوه وما كنت نسيت ولكن زاد الشجي وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الاسف واستجلب الوجد ما كان منه كائناً فلباه مجيباً فقلت قطعة منها :

بيكي ليت مات وهو مكرم وللمحي أولى بالدموع الذوارف  
فيا عجيباً من آسف لامرء نوى وما هو للمنتول ظمأً بأسف

ثم ضرب الدهر ضربانه واجلينا عن منازلنا وتغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة اول المحرم سنة اربع واربعائة وغابت عن بصرى بعد تلك الرؤية

(١) لعل الصواب : المحدثه (١) الواعية : الصراخ والصوت « قاموس »

الواحدة ستة اعرام واكثر ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع واربعماية  
خزانت على بعض نساءنا فرأيتها هنالك وما كدت ان اميزها حتى قيل لي هذه  
فلاية وقد تغير اكثر محاسنها وذهبت نضارتها وفنيت تلك البهجة وغاض  
ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصقيل والمرآة الهندية وذبل ذلك النوار (١)  
الذي كان البصر يقصد نحوه متبوراً (٢) ورتاد فيه متخيراً وينصرف عنه متحيراً فلم  
يبق الا البعض النبيء عن الكل والخبر المخبر عن الجميع وذلك لقله احتياها  
بنفسها وعدمها الصيانة التي كانت غذيت بها ايام دولتنا وامتداد ظلتها ولتبدلها  
في الخروج فيما لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك وانما النساء  
رياحين متى لم تتعاهد نقصت وبنة متى لم يهتبل بها استهدمت ولذلك قال من  
قال ان حسن الرجال اصدق صدقاً واثبت اصلاً واعتق جودة لصبه على ما  
لواني بهضه وجوه النساء لتغيرت اشد التغير مثل الهجير والسموم والرياح  
واختلاف الهواء وعدم الكن واني لو نلت منها اقل وصل وأنست لي بعض  
الانس لحراطت طرباً اولت فرحاً ولكن هذا النفار الذي صبرني وأسلاني  
وهذا الرجة من اسباب السلو صاحبه في كلا الوجهين معذور وغير ملوم اذ  
لم يقع ثبت يوجب الوفاء ولا عهد يقتضي المحافظة ولا سلف ذمام ولا فرط  
تصادق يلام على تضيمه ونسيانه

ومنها جناء يكون من المحبوب فاذا أفرط فيه وأسرف وصادف من المحب  
نفساً لها بعض الانفة والعزة تسلى واذا كان الجفاء يسيراً منقطعاً او دائماً او  
كبيراً منقطعاً احتمل وأغضى عليه حتى اذا كثر ودام فلا بقاء عليه ولا يلام  
الناسي لمن يحب في مثل هذا

ومنها الغدر وهو الذي لا يحتمله احد ولا يغضي عليه كريم وهو المسلاة

---

(١) الوار كرم ان الزهر (٢) كذا في الاصل ولعل الصواب مبتاراً اي مختبراً

حقاً ولا يلام السالي عنه على اي وجه كان ناسياً او متصبراً بل اللأمة لاحقة لمن صبر عليه ولولا ان القلوب بيد مقلبيها لا اله الا هو ولا يكلف المرء صرف قلبه وزا احالة استحسانه ولولا ذاك لقلت ان انتصبر في سلوه مع الغدر يكاد ان يستحق الملامة والتمنيف ولادعى الى السلو عند الحر النفس وذوي الحفيظة والسري السجاي من الغدر فما يصبر عليه الا ذنيء المرؤة خسيس النفس نذل الهمة ساقط الانفة وفي ذلك اقول قطعة منها :

هواك فلست اقربه غرور      وانت لكل من يأتي سرير  
وما ان تصبرين على حبيب      فحولك منهم عدد كثير  
فلو كنت الامير لما تعاطى      لقاءك خوف جمعهم الامير  
رأيتك كالاماني ماعلى من      بلم بها ولو كثروا غرور  
ولاعنها لمن يأتي دفاع      ولو حشد الانام لهم نكير

ثم سبب ثامن وهو لا من الحب ولا من المحبوب ولكن من الله تعالى وهو اليأس وفروعه ثلاثة إما موت وإما بين لا يرجى معه أوبة وإما عرض يدخل على المتحابين بلاء الحب التي من اجلها وثق المحبوب فيغيرها وكل هذه الوجوه من أسباب السلو والتصبر وعلى الحب الناسي في هذا الوجه المقسم الى هذه الاقسام الثلاثة من الغضاظة والذم واستحقاق اسم اللوم والغدر غير قليل وان لليأس لعملاً في النفوس عجيباً وثليجاً لحر الاكباد كبيراً وكل هذه الوجوه المذكورة اولاً وآخراً فالتأني فيها واجب والتربص على اهلها حسن فيما يمكن فيه التأني ويصح لديه التربص فاذا انقطعت الاطماع وانحسنت الآمال فحينئذ يقوم الغدر وللشعراء فن من الشعر يذمون فيه الباكي على الدمن ويشنون على الثابر على النذات وهذا يدخل في باب الساو ولقد اكثر الحسن بن هانيء في هذا الباب وافتخر به وهو كثيراً ما يصف نفسه بالغدر الصريح في اشعاره تحكماً بلسانه واقتداراً على القول وفي مثل هذا اقول شعراً منه :

خل هذا وبادر الدهر وارحل  
 واحدها بالبدع من نغات الـ عود كـ كما تحت بالزمار  
 ان خيراً من الوقوف على الدار وقوف البنات بالآوتار  
 وبدا النرجس البديع كصب حائر الطرف مائلاً كالمدار  
 لونه لون عاشق مستهام وهو لاشك هائم بالبهار  
 ومعاذ الله ان يكون نسيان مدارس لنا طبعاً ومعصية الله بشرب الراح لنا  
 خلقاً وكساد الهمة لنا صفة ولكن حسبنا قول الله تعالى ومن اصدق من الله  
 قيلاً في الشعراء (ألم تر انهم في كل واد يهيمنون وانهم يقولون ما لا يفعلون)  
 فهذه شهادة الله العزيز الجبار لهم ولكن شذوذ القائل للشعر عن مرتبة الشعر  
 خطأ وكان سبب هذه الايات ان ضنا العامرية احدى كرائم المظفر عبد الملك  
 ابن ابي عامر كلقتني صنعتها فاجبتها وكنت اجلها ولها فيها صنعة في طريقة  
 التشيد والبسيط رائقة جداً ولقد انشدتها بعض اخواني من اهل الادب فقال  
 سروراً بها «يجب ان توضع هذه في جملة عجائب الدنيا»  
 فجميع فصول هذا الباب كما ترى ثمانية : منها ثلاثة هي من الحب «اثنان  
 منها» يذم السالي فيهما على كل وجه وهما الملل والاستبدال «واحد منها» يذم  
 السالي فيه ولا يذم المتصبر وهو الحياء كما قدمنا . واربعة من المحبوب منها واحد  
 يذم الناسي فيه ولا يذم المتصبر وهو الهجر الدائم . وثلاثة لا يذم السالي فيها  
 على اي وجه كان ناسياً او متصبراً وهي النفاق والجفاء والغدر ووجه ثامن وهو  
 من قبل الله عز وجل وهو اليأس اما يموت او يبين او آفة ترمي والمتصبر في  
 هذه معذور

---

(١) لعل الصواب «العقار» بمعنى الحُر كما يدل عليه اعتذاره بعد بقوله :  
 «ومعصية الله بشرب الراح» الخ ...

وعني اخبرك اني جئت على طبيعتين لايتهني معهما عيش ابداً واني لابرئ  
بحياتي باجتماعهما واود التثبت من نفسي احياناً لاقصد ما أنا بسببه من التكد  
من اجلهما وهما : وفاء لايشوبه تلون قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن  
والظاهر تولده الالفة التي لم تعزف بها نفسي عما دريته ولا تتطلع الى عدم من  
صحبه . وعزة نفس لاتقر على الضيم مهمة لاقول مايرد عليها من تغير المعارف  
مؤثرة للمرت عليه فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها واني  
لاجفي فاحتمل واستعمل الناة الطويلة والتلوم الذي لا يكاد يطيقه احد فاذا  
افرط الامر وحيت نفسي تصبرت وفي القلب مافيه وفي ذلك اقول قطعة منها :

لي خلتان اذا قاني الاسى جرعاً ونصا عيشتي واستهلكا جلدي  
ككلتاهما تطبيني نحو جياتها كالصيد ينشب بين الذئب والاسد  
وفاء صدق فما فارقت ذا مقه فزال حزني عليه آخر الابد  
وعزة لا يحل الضيم ساحتها صرامة فيه بالاموال والولد

ومما يشبه مانحن فيه وان كان ليس منه ان رجلاً من اخواني كنت خلته  
من نفسي محلها واسقطت المؤونة بيني وبينه واعدته ذخراً وكثراً وكان كثير  
السمع من كل قائل فذب ذو النعمة بيني وبينه فحاكوا فيه وانجح سعيهم عنده  
فانقبض عما كنت اعهد فتربصت عليه مدة في مثلها أوب الغائب ورضى الغائب  
فلم يزد الا انقباضاً فتركته وحاله





## ﴿ باب الموت ﴾

وربما ترايد الامر ورق الطبع وعظم الاشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا وقد جاء في الآثار (من عشق فعف فمات فهو شهيد) وفي ذلك اقول قطعة منها :

فان أهلك هوى أهلك شهيداً وان تمنى بقيت قرير عين

روى لنا هذا قوم ثقات نووا بالصدق عن جرح ومين

ولقد حدثني ابو السرى عمار بن زياد صاحبنا عن يثق به ان الكاتب ابن قزمان امتحن بمحبة أسلم بن عبد العزيز اخي الحاجب هاشم بن عبد العزيز وكان اسلم غاية في الجمال حتى اضجعه لما به ووقعه في اسباب المنية وكان اسلم كثير الالمام به والزيارة له ولاعلم له بانه اصل دائه الى ان توفي اسفاً ودنفاً قال الخببر فاخبرت اسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال هلا اعلمتني فقلت ولم قال كنت والله ازيد في صلته وما اكاد افارقه فما علي في ذلك ضرر وكان أسلم هذا من اهل الادب البارع والتفنن مع حظ من الفقه وافر وذا بصارة في الشعر وله شعر جيد وله معرفة بالاغاني وتصرفها وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب واخباره وهو ديوان عجيب جداً وكان احسن الناس خلقاً وخلقا وهو والد ابي الجعد الذي كان ساكناً بالجانب الغربي من قرطبة

وانا اعلم جارية كانت لبعض الرؤساء فعزف عنها شيء باغسه في جهتها لم يكن يوجب السخط فباعها فخرعت لذلك جزعاً شديداً وما فارقتها التحول والاسف ولابان عن عينها الدمع الى ان سلت وكان ذلك سبب موتها ولم تعش بعد خروجهما عنه الا اشهرأ ليست بالكثيرة . ولقد اخبرتني عنها امرأة اتق بها أنها لقيتها وهي قد صارت كالخيل نحولا ورقة فقالت لها احسب هذا الذي

بك من محبتك لفلان فتفتست الصعداء وقالت والله لانسيتيه ابداً وان كان جفاني  
بلا سبب وما عاشت بعد هذا القول الايسيراً

وانا اخبرك عن ابي بكر اخي رحمه الله وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند صاحب  
الثغر الاعلى ايام المنصور ابي عامر محمد بن عامر وكانت التي لا مرمي وراءها  
في جاهها وكرم خلاها ولاتأتي الدنيا بمثلها في فضائلها وكانا في حدد الصبي  
وتمكن سلطانه . يقضب كل واحد منهما الكلمة التي لا قدر لها فكانا لم يزالا  
في تفاضب وتعاتب مدة ثمانية اعوام وكانت قد شنها حبه واضناها الوجد فيه  
وأخلها شدة كلفها به حتى صارت كالحبال المتوسم دنفاً لايلبها من الدنيا شيء  
ولانس من اموالها على عرضها وتكاثرها بقليل ولا كثير اذ فاتها اتفاقه معها  
وسلامته لها الى ان توفي اخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر  
ذي القعدة سنة احدى واربعائة وهو ابن اثنين وعشرين سنة فما انتككت منذ  
بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول الى ان ماتت بعده بعام في اليوم  
الذي اكمل هو فيه تحت الارض عاماً . ولقد اخبرتي عنها امها وجميع جواربها  
انها كانت تقول بعده مايقوي صبري ويسند رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد  
وفاته الاسروري وتبقي انه لا يرضه وامرأة مضجع ابداً فقد امنت هذا الذي  
ما كنت اتخوف غيره واعظم آمالي اليوم التالحاق به . ولم يكن له قبلها ولا  
معا امرأة غيرها وهي كذلك م يكن لها غيره فكان كما قدرت غفر الله لها  
ورضي عنها

واما خبر صاحبنا ابي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي  
المعروف بابن الطنبلي فانه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثله اوخلق  
من نفس كل من رآه (١) لم ا د له مثلاً حسناً وجمالاً وخلقاً وعنة وتصاوناً

(١) فيه اشارة الى قول الشاعر :

كأنك من كل النفوس مأون فانت الى كل النفوس حبيب

وإدباً وفهماً وحلماً ووفاءً وسؤدداً وطهارةً وكرماً ودمانةً وحلاوةً ولباقةً وأعضاء  
وعقلاً ومرؤةً وديناً ودرايةً وحفظاً للقرآن والحديث والنحو واللغة وشاعراً مقلقاً  
وحسن الخط وبلغاً مفتناً مع حظ صالح من الكلام والجدل وكان من غلمان  
أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي استاذي في هذا الشأن وكان بينه  
وبين أبيه اثنا عشر عاماً في السن وكنت أنا وهو متقاربين في الاسنان وكنا  
ألفين لانتفرق، وخدين لايجري الماء بيننا صفاء الى ان القت الفتنة جراتها  
وارخت عزاليها ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة وتزولهم  
فيها وكان مسكن أبي عبد الله في الجانب الشرقي ببلاط مغيت وتقلب في الامور  
الى الخروج عن قرطبة وسكني مدينة المرية فكنا تهادي النظم والنثر كثيراً  
وأخر ماخطبني به رسالة في درجتها هذه الايات :

ليت شعري عن جبل ودك هل يـ	سي جديداً لدي غير رثيث
وأراني أرى حياك يوماً	وأناجيك في بلاط مغيت
فلو ان الديار ينهضها الشو	ق أنك البلاط كالمستغيت
ولو ان القلوب تسطيع سيراً	سار قلبي اليك سير الخيت
كن كما شئت لي فاني محب	ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وان تناسيت عهداً	في صميم الفؤاد غير نكيت

فكنا على ذلك الى ان انقطعت دولة بني مروان وقتل سليمان الظافر امير  
المؤمنين وظهرت دولة الطالبية وبويع علي بن حمود الحسني المسمى بالناصر  
بالخلافة وتغلب على قرطبة وتملكها واستمر في قتاله اياها بجيوش المتغلبين والثوار  
في اقطار الاندلس وفي اثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية اذ نقل اليه من لم  
يتق الله عز وجل من البايعين — وقد انتقم الله منهم عني وعن محمد ابن اسحق  
صاحبي — انا نسعى في القيام بدعوة الدولة الاموية فاعتقلنا عند نفسه اشهرأ ثم  
اخرجنا على جهة التغريب فصرنا الى حصن القصر ولقينا صاحبه ابو القاسم

عبد الله بن هذيل النجبي المعروف بابن المقفل فاقنا عنده شهوراً في خير دار  
اقامة وبين خير اهل وجيران وعند اجل الناس همة واكملهم معروفاً واتمهم  
سيادة ثم ركبنا البحر قاصدين بطنسية عند ظهور امير المؤمنين المرتضى عبد  
الرحمن بن محمد وسكناه بها فوجدت بطنسية ابا شاكر عبد الرحمن بن محمد ابن  
موهب العبدي صديقنا فعنى الي ابا عبد الله بن الطنبى واخبرني بموته رحمه الله  
ثم اخبرني بعد ذلك بمديدة القاضي ابو الوليد يونس بن محمد المرادي وابو عمرو  
احمد بن محرز ان ابا بكر المصعب بن عبد الله الازدي المعروف بابن الفرصى  
حدثهما وكان والد المصعب هذا قاضي بطنسية ايام امير المؤمنين المهدي وكان  
المصعب لنا صديقاً وأخاً والياً ايام طلبنا الحديث على والده وسأر شيوخ الحديثين  
بقرطبة قالوا : قال لنا المصعب سألت ابا عبد الله بن الطنبى عن سبب علته  
وهو قد نحل وخفيت محاسن وجهه بالضى فلم يبق الا عين جوهرها الخبر عن  
صفاتها السالفة وصار يكاد ان يطيره النفس وقرب من الانحاء والشجاء باد على  
وجهه ونحن منفردان فقال لي نعم اخبرك اني كنت على باب داري بقديد الشاس  
في حين دخول علي بن حمود قرطبة والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب  
فرأيت في جملتهم فتى لم أقدر ان للحسن صورة قائمة حتى رأيته فغلب على عقلي  
وهام به لبي فسألت عنه ف قيل لي هذا فلان ابن فلان من سكان جهة كذا  
ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ فيئت عن (١) رؤيته بعد ذلك ولعمري  
يا أبا بكر لافارقي جبه او يوردني رمسي فكان كذلك وانا اعرف ذلك التى  
وادريه وقد رأيته لكني اضربت عن اسمه لانه قد مات والتقى كلاهما عند الله  
عز وجل عفا الله عن الجميع هذا على ان ابا عبد الله اكرم الله نزله عن لم  
يكن له وله قط ولا فارق الطريقة المثلى ولا وطيء حراماً قط ولا قارف مسكراً  
ولا اتى منهاً عنه يخل بدينه ومرؤته ولا قارض من جفا عليه وما كان في طبقتنا

مثله ثم دخلت انا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون فلم اقدم شيئاً على قصد ابي عمرو القاسم بن يحيى التميمي اخي عبد الله رحمه الله فسألته عن حاله وعزيمته عن اخيه وما كان اولى بالتعزية عنه مني ثم سألته عن اشعاره ورسائله اذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه الحكاية فاخبرني عنه انه لما قربت وفاته وايقن بحضور المنية ولم يشك في الموت دعا بجميع شعره وبكتي التي كنت خاطبته انا بها فقطعتها كلها ثم امر بدفنها قال ابو عمرو فقلت له يا اخي دعها تبقى فقال اني اقطعها وانا ادري اني اقطع فيها ادباً كثيراً ولكن لو كان ابو محمد يعني حاضراً لدفعها اليه تكون عنده تذكرة لمودتي ولكني لا اعلم اي البلاد اضمرته ولا أخي هو ام ميت وكانت نكبتني اتصلت به ولم يعلم مستقري ولا الى ما آل امري فن مراني له قصيدة منها :

لئن سترتك بطون اللحد فوجدي بهدك لا يستر  
قصدت ديارك قصد المشوق ولدهر فينا كرور وممر  
فألفيتها منك قفراً خلاء فاسكبت عيني عليك العبر

وحدثني ابو القاسم الهمداني رحمه الله قال كان معنا ببغداد (١) اخ لعبد الله ابن يحيى بن احمد بن دحون الفقيه الذي عليه مدار القيسية بقرطبة وكان اعلم من اخيه واجل مقداراً ما كان في اصحابنا ببغداد مثله وانه اجتاز يوماً بدرب قطنه في زقاق لا ينفذ فدخل فيه فرأى في اقضاء جارية واقفة مكشوفة الوجه فقالت له يا هذا ان الدرب لا ينفذ قال فظفر اليها فهم بها قال وانصرف الينا فترأى عليه امرها وخشي الفتنة فخرج الى البصرة فمات بها عشقاً رحمه الله وكان فيما ذكر من الصالحين

---

(١) في المختار: (بغداد) (وبغداد) (وبغدان)

(حكاية) لم ازل اسمعها عن بعض ملوك البرابر ان رجلاً اندلسياً باع جارية كان يجد بها وجداً شديداً لفاقة اصابته من رجل من اهل ذلك البلد ولم يظن بائعها ان نفسه تتبعها ذلك التبع فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الاندلسي تخرج فأتى الى الذي ابتاعها منه وحكمه في ماله اجمع وفي نفسه فأبى عليه فتحمل عليه باهل البلد فلم يسعف منهم احد فكاد عقله ان يذهب ورأى ان يتصدى الى الملك فعرض له وصاح فسمعه فامر بادخاله والملك قاعد في علية له مشرفة عالية فوصل اليه فلما مثل بين يديه اخبره بقصته واسترحمه وتضرع اليه فرق له الملك فأمر باحضار الرجل المتباع فحضر فقال له هذا رجل غريب وهو كما تراه وانا شفيعه اليك فأبى المتباع وقال انا اشد حياءً لها منه واخشى ان صرفتها اليه ان استغيت بك غداً وانا في اسوأ من حاله فرام به الملك ومن حواله في اموالهم فأبى ولج واعتذر بمحبته لها فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحاً الى الاسعاف قال للاندلسي يا هذا مالك بيدي اكثر مما ترى وقد جهدت لك بأبلغ سعي وهو تراه يعتذر بانه فيها احب منك وانه يخشى على نفسه شراً مما انت فيه فاصبر لما قضى الله عليك فقال له الاندلسي فإني بيدك حيلة قال له وهل هاهنا غير الرغبة والبذل ما استطاع لك اكثر فلما يئس الاندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من اعلى العلية الى الارض فارتاع الملك وصرخ فابتدر العلمان من اسفل فقضى انه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أدى فصعد به الى الملك فقال له ماذا اردت بهذا فقال ايها الملك لاسئلك لي الى الحياة بعدها ثم هم ان يرمي نفسه ثانية فنع فقال الملك الله اكبر قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة ثم اتفت الى المشتري فقال يا هذا انك ذكرت انك اود لها منه وتخاف ان تصير في مثل حاله فقال نعم قال فان صاحبك هذا ابدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا ان الله عز وجل وقاه فانت قم فصحيح حبك ورام من اعلى هذه القصة كما

فهل صاحبك فان مت فبأجلك وان عشت كنت اولى بالجارية اذ هي في يدك  
ويتضي صاحبك عنك وان ابيت نزع الجارية منك رغماً ودفعها اليه فتمنع ثم  
قال أترامى فلما قرب من الباب ونظر الى الهوى تحته رجع القهقري فقال له  
الملك هو والله ما قلت فهم ثم نكل فلما لم يقدم قال له الملك لا تلاعب بنا  
ياغلما خذوا بيديه وارموا به الى الارض فلما رأى العزيمة قال ايها الملك قد  
طابت نفسي بالجارية فقال له جزاك الله خيراً فاشترها منه ودفعها الى بائعها  
وانصرفا

### ﴿ باب قبض المعصية ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى وكثير من الناس يطيعون انفسهم ويعصون  
عقولهم ويتبعون اهواءهم ويرفضون اديانهم ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه  
وربه في الالباب السايمة من العنة وترك المعاصي ومقارعة الهوى ومخالفة الله  
ربهم ويوافقون ابليس فيما يحبه من الشهوة المعطية فيواقعون المعصية في حبه  
وقد علمنا ان الله عز وجل ركب في الانسان طبيعتين متضادتين احدهما لاتشير  
الا بخير ولا تحض الا على حسن ولا تصور فيها الا كل امر مرضي وهي العقل  
ونائده العدل والثانية ضد لها لاتشير الا الى الشهوات ولا تقود الا الى الردى  
وهي النفس وقائدها الشهوة والله تعالى يقول ﴿ ان النفس لامارة بالسوء ﴾ وكفى  
بالتقلب عن العقل فقال ﴿ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او اتقى السمع وهو  
شاهد ﴾ وقال تعالى ﴿ وحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ﴾ وخاطب اولى  
الالباب فهاتان الطبيعتان قطبان في الانسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال  
بهما ومطرحان من مطارج شعاعات هذين الجوهرين العجيين الرفيعين العلويين  
خفي كل جسد منهما حظه على قدر مقابلته لهما في تقدير الواحد الصمد تقدست  
اسماؤه حين خلقه وهياً . فهما يتقابلان ابدأ ويتنازعان دأباً فاذا غلب العقل



النفس ارتدع الانسان وقع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله واتبع العدل  
 واذا غلبت النفس العقد عميت البصيرة ولم يصح الفرق بين الحسن والقبيح  
 وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة وبهذا حسن الامر والنهي  
 ووجب الاكتمال وصح اثواب والعقاب واستحق الجزاء . والروح واصل بين هاتين  
 الطبعيتين وموصل ما بينهما وحامل الالتقاء بهما . وان الوقوف عند حد الطاعة  
 للمعصية الامع طول الرياضة وصحة المعرفة ونفاذ التمييز ومع ذلك اجتنب التعرض  
 للفتن ومداخلة الناس جملة والجلوس في البيوت ، وبالخلا ان تقع السلامة المضمونة  
 او يكون الرجل حصوراً لا ارب له في النساء ولا جارحة له تعينه عليهن قديماً  
 وورد ( من وقى شر لقلقه وقببه وذنبه فقد وقى شر الدنيا بجذائرها ) .  
 والقلق اللسان والقبب البطن والذنب الفرج ولقد اخبرني ابو حفص الكاتب  
 هو من ولد روح بن زباع الجذامي انه سمع بعض التسمين باسم الفقه من اهل  
 الرواية المشاهير وقد سئل عن هذا الحديث فقال القبيبة البطيخ . وحدثنا احمد  
 ابن محمد بن احمد ، ثنا وهب بن مسرة ومحمد بن ابي دليم عن محمد بن واضح  
 عن يحيى بن يحيى عن مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل ( من وقاه الله شر اثنين  
 دخل الجنة ) فسئل عن ذلك فقال ( ما بين لحيه وما بين رجليه ) واني لاسمع  
 كثيراً ممن يقول : الوفاء في قبح الشهوات في الرجال دون النساء فاطيل العجب  
 من ذلك وان لي قولاً لا احول عنه : الرجال والنساء في الجنوح الى هذين  
 الشئين سواء وما راجل عرضت له امرأة جملة بالحلب وطال ذلك ولم يكن ثم من  
 مانع الا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي واستغزه الحرص وتغوله الطمع  
 وما امرأة دعاها رجل يمثل هذه الحالة الا وامكنته حتماً مقضياً وحكماً نافذاً  
 لا يحيد عنه البتة

ولقد اخبرني ثقة صدق من اخواني من اهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة

وذو صلابة في دينه انه احب جارية نبيلة ادية ذات جمال بارع قال فعرضت لها فنفرت ثم عرضت فأبت فلم يزل الامر يطول وجها يزيد وهي بما لا تطيع البتة الى ان حملني فرط حيي لها مع عمي الصبي على ان نذرت اني متى نلت منها مرادي ان اتوب الى الله توبة صادقة قال فما مرت الايام والليالي حتى اذعنت بعد شماس ونفار فقلت له ابا فلان وفيت بعهدي فقال اي والله فضحكمت وذكرتم بهذه الفعلة ما لم يزل يتداول اسماعنا من ان في بلاد البربر التي تجاور اندلسنا يتوب (١) الفاسق على انه اذا قضى وطره ممن اراد ان يتوب الى الله، فلا يمنع من ذلك وينكرون على من تعرض له بكلمة ويقولون له أتحرم رجلاً مسلماً التوبة. قال ولمهدي بها تبكي وتقول والله لقد بلغتني مبلغاً ما خطر قط لي ببال ولا قدرت ان اجيب اليه احداً. ولست ابعد ان يكون الصلاح في الرجال والنساء موجوداً واعوذ بالله ان اظن غير هذا واني رأيت الناس يغفلون في معنى هذه الكلمة اعني الصلاح غلطاً بعيداً والصحيح في حقيقة تفسيرها ان الصالحة من النساء هي التي اذا ضبطت انضبطت واذا قطعت عنها الذرائع امسكت والفاصلة هي التي اذا ضبطت لم تضبط واذا حيل بينها وبين الاسباب التي تسهل الفواحش تحيلت في ان تتوصل اليها بضروب من الحيل. والصالح من الرجال من لا يداخل اهل الفسوق ولا يتعرض من المناظرة الجالبة للاهواء ولا يرفع طرفه الى الصور البديعة الصنعة ويتصدى للمشاهد المؤذية ويحب الحلوات المهلكات. والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة في الرماد لا تحرق من جاورها الا بان تحرك والفاصلان كالنار المشتعلة تحرق كل شيء. واما امرأة مهملة ورجل متعرض فقد هلكا وتلفا. ولهذا حرم على المسلم الالتذاذ بسمع

---

(١) لعلها (يتعد) او مافي معناها

نعمة امرأة اجنبية وقد جمعت النظرة الاولى لك والاخرى عليك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من تأمل امرأة وهو صائم حتى يرى حجم عظامها فقد افطر ) وان في ماورد من النهي عن الهوى بنص التنزيل لشيئا مقنعا وفي ايقاع هذه الكلمة اعني الهوى اسما على معان واشتقاقها عند العرب وذلك دليل على ميل النفوس وهويها الى هذه المقامات . وان التمسك عنها مقارع لنفسه محارب لها

وشيء اصفه لك تراه عيانا وهو اني مارأت قط امرأة في مكان تحس ان رجلا يراها او يسمع حسها الا وحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمنزل واتت بكلام زائد كانت عنه في غيبة ، مخالفين لكلامها وحركتها قبل ذلك . ورأت اتهم لخارج لفظها وهيئة ثقلها لاثما فيها ظاهرا عليها لاختفاء به . والرجال كذلك اذا احسوا بالنساء . واما اظهار الزينة وترتيب المشي وايقاع المزج عند خطور المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا اشهر من الشمس في كل مكان والله عز وجل يقول ( قل للمؤمنين يقضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ) وقال تقدرت اسماءه ( ولا يضرين بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ) فلو لا علم الله عز وجل برقة اغماضهن في السعي لا يصل حبهن الى القلوب ولطف كيدهن في التحيل لاستجلاب الهوى اما كشف الله عن هذا المعنى البعيد الغامض الذي ليس وراءه مرمى وهذا حد التعرض فكيف بما دونه

ولقد اطلعت من سر معتقد الرجال والنساء في هذا على امر عظيم واصل ذلك اني لم احسن قط باحد ظنا في هذا الشأن مع غيرة شديدة ركبت في . وحدثنا ابو عمرو احمد بن محمد بن احمد ، ثنا احمد ، ثنا محمد بن علي ابن رفاعه ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( الغيرة من الايمان ) فلم ازل باحثا عن اخبارهن كاشفا عن اسرارهن وكن قد أنسن مني بكتبان فمكن يطلعتني

كله الرجل  
فصل في بيان  
الخصائص  
قال رسول الله  
صلى الله عليه  
وسلم  
الغيرة من  
الايمان  
فلم ازل  
باحثا  
عن اخبارهن  
كاشفا عن  
اسرارهن  
وكن قد أنسن  
مني بكتبان  
فمكن يطلعتني

على غوامض امورهن ولولا ان اكون منبهاً على عورات يستعاذ بالله منها لاوردت  
 من تنهن في الشر ومكرهن فيه عجائب تذهل الالباء  
 واني لاعرف هذا واقفه ومع هذا يعلم الله وكفى به عليهما اني بريء الساحة  
 سليم الاديم صحيح البشرة بقي الحجرة واني اقسم بالله اجل الاقسام اني ما حلت  
 مثري على فرج حرام قط ولا يحاسبني ربي بكيرة الزنا مذ عقلت الى يومي هذا  
 والله الحمد على ذلك والمذكور فيما مضى والمستصم فيما بقي  
 حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاج  
 المعافري — وانه لافضل قاض رأيت — عن محمد بن ابراهيم الطليطلي عن  
 القاضي بمصر بكر بن العلاء في قول الله عز وجل ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾  
 ان لبعض المتقدمين فيه قولاً وهو ان المسلم يكون مخبراً عن نفسه بما انتم الله  
 تعالى به عليه من طاعة ربه التي هي من اعظم النعم ولا سيما في المفترض على  
 المسلمين اجتنابه واتباعه وكان السبب فيما ذكرته اني كنت وقت تأجج نار  
 الصبي وشرة الحداثة ونمكس غرارة التوبة مقصوراً محظراً على بين رقباء  
 ورقائب ، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت ابا علي الحسين بن علي القاسي في  
 مجلس ابا القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد الازدي شيخنا واستاذي رضي الله  
 عنه وكان ابو علي المذكور عاقلاً عاملاً عالماً ممن تقدم في الصلاح والنسك  
 الصحيح في الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة واحسبه كان حضوراً لانه لم  
 تكن له امرأة قط ومارأت مثله جملة علماء وعملاً ودينياً وورعاً فنفعني الله به كثيراً  
 وعلمت موقع الاساءة وقبح المعاصي . ومات ابو علي رحمه الله في طريق الحج  
 ولقد ضمني الميت ليلة في بعض الايام عند امرأة من بعض معارف مشهورة  
 بالصلاح والخير والحزم ومعهما جارية من بعض قراباتها من اللاتي قد ضمها معي  
 النساء في الصبي ثم غبت عنها اعواماً كثيرة . وكنت تركتها حين اعصرت (١)

(١) في الاصل « اعمرت » والصواب ما صححناه

ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب وتفجرت عليها يتابع  
الملاحاة فترددت وتحيرت ، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فاشرفت وتوقدت  
وانبعثت في خديها ازاهير الجمال فتمت واعتمت فانت كما اقول :

خريدة صاغها الرحمن من نور جلت ملاحظتها عن كل تقدير  
لوجاءني عملي في حسن صورتها يوم الحساب ويوم التفخ في الصور  
لكنني أحظى عباد الله كلهم بالجنيتين وقرب الحرد الحور

وكانت من اهل بيت صباحة وقد ظهرت منها صورة تعجز الوصاف ، وقد  
طبق وصف شبابها قرطبة فبت عندها ثلاث ليال متوالية ولم تحجب عني على  
جاري العادة في التربية فلعمري لقد كاد قلبي ان يصبو ويشوب اليه مرفوض  
الهوى ويعاوده منسي الغزل ولقد امتعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفاً  
على لبي ان يزدهيه الاستحسان . ولقد كانت هي وجميع اهلها ممن لا تعدى  
الاطماع اليهن ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل وفي ذلك اقول :

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن  
ابليس حي لم يمت والعين باب للفتن

واقول :

وقائل لي هذا ظن يريدك غيا  
فقلت دع عنك لومي أليس ابليس حيا

وما اورد الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب وداود بن ايثي رسل  
الله عليهم السلام الا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا الى عصمته وان بنتنا مدخولة ضعيفة  
فاذا كانا صلى الله عليهما وهما نبيان رسولان ابناء انبياء رسل ومن اهل بيت  
نبوة ورسالة متكررين في الحفظ مغموسين في الولاية محفوفين بالكلاءة مؤيدين  
بالعصمة لا يجعل للشيطان عليهما سبيل ولا فتح لوسواسه نحوهما طريق وبلغا  
حيث نص الله عز وجل علينا في قرآنه المنزل بالجللة الموكلة والطبيع البشري

والحقيقة الاصلية لا تعتمد الخطيئة ولا القصد اليها اذ النبيون مبرؤون من كل ما خالف طاعة الله عز وجل لكنه استحسان طبعي في النفس للصور فمن ذا الذي يصف نفسه بملكها ويتعاطى ضبطها الا بحول الله وقوته . واول دم سفك في الارض قدم احد ابني آدم على سبب المنافسة في النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ باعدوا بين انفس الرجال والنساء ﴾ وهذه امرأة من العرب تقول وقد جبلت من ذي قرابة لها حين سئلت : ما يبطك ياهند فقالت قرب الوساد وطول السواد . وفي ذلك اقول شعراً منه :

لا تلم من عرض النفس لما ليس يرضى غيره عند المحن  
لا تقرب عرجاً من لهب ومتى قربته قامت دخن  
لا تصرف ثقة في احد فسد الناس جميعاً والزمن  
خلق النسوان للفحل كما خلق الفحل بلا شك لمن  
كل شكل يشبه شكله لا تكن عن احد تنفي الظن  
صفة الصالح من ان صنته عن قبيح اظهر الطوع الحسن  
وسواء من اذا تقفته اعمل الحيلة في خلع الرسن

واني لاعلم فتى من اهل الصيانة قد اولع بهوى له فاجتاز بعض اخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب فاستجلبه الى منزله فاجابه الى منزله بامثال المسير بعده فمضى داعيه الى منزله وانتظره حتى طال عليه التربص فلم يأتها فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدد عليه واطال لومه على اخلافه موعدة فاعتذر وورى فقالت انا للذي دعاه انا اكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل اذ يقول ﴿ ما اخلقنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا اوزاراً من زينة القوم ﴾ . فتضحك من حضر وكلفت ان اقول في ذلك شيئاً فقلت :

وجرحك لي جرح جبار فلانم ولكن جرح الحب غير جبار  
وقد سارت الحيلان وسط بياضه كنيلوفر حفته روض بهار

وكم قال لي من مت وجداً بحبه      مقالة محلول المقالة زاري  
وقد كثرت مني اليه مطالب      ألح عليه تارة وأداري  
أما في التوائي ما يرد غلة      ويذهب شوقاً في ضلوعك ساري  
فقلت له لو كان ذلك لم تكن      عداوة جار في الانام لجار  
وقد تراءى العسكران لدى الوغى      وبينهما للموت سبل يوار

ولي كتمان قلتها معرضاً بل مصرحاً برجل من اصحابنا كنا نعرفه كلنا من  
اهل الطلب والعتاية والورع وقيام الليل واقضاء آثار النساك وسلوك مذاهب  
المتصوفين القدماء باحثاً مجتهداً ولقد كنا نتجنب المزاج بحضرته فلم يمض الزمن  
حتى مكن الشيطان من نفسه وفتك بعد لباس التناك وملك ابليس من خطامه  
فسول له الغرور وزين له الويل والثبور وأجره رسته بعد اياه واعطاه ناصيته  
بعد شماس فخب في طاعته واوضع واشهر بعد ما ذكرته في بعض المعاصي القبيحة  
الوضرة ولقد اطلت ملامه وتشددت في عذله اذ اعلن بالنعصية بعد استنار الى  
ان افسد ذلك ضميره علي وخبت نيته لي وتربص في الدوائر السوء وكان بعض  
اصحابنا يساعده بالكلام استجراراً اليه فيأنس به ويظهر له عداوتي الى ان  
اظهر الله سريره فعملها البادي والحاضر وسقط من عيون الناس كلهم بعد ان  
كان مقصداً للعلماء ومتاباً للفضلاء ورذل عند اخوانه جملة اعاذنا الله من ابلاء  
وسترنا في كفايته ولا سلينا ما بنا من نعمته فيآسؤناه لمن بدأ بالاستقار      ولم يعلم  
ان الخذلان يحل به وان العصمة ستفارقه لا اله الا الله ما اشنع هذا واقطعه  
لقد دهمته احدي بنات الحرس والقت عصاها به ام طبق من كان لله اولاً ثم  
صار للشيطان آخراً ومن احدي الكلمتين :

اما الغلام فقد حانت فضيحه      وانه كان مستوراً فقد هت  
ما زال يضحك من اهل الهوى عجباً      فالآن كل جهول منه قد ضحكا  
اليك لانتلح صباً هاتماً كلفاً      يرى التهلك في دين الهوى نسكاً



ذو مخبر وكتاب لا يفارقه  
فاعتاض من سمر اقلام بنان فتي  
يا لأمي سفهاً في ذاك قل فلم  
دعني ووردي في الآبار اطلبه  
اذا تمفقت عف الحب عنك وان  
ولا تحل من الهجران منعقداً  
ولا تصحح للسلطان مملكة  
ولا بغير كثير المسح يذهب ما  
يعلو الحديد من الاصداء ان سبكا

وكان هذا المذكور من اصحابنا قد احكم القرآآت احكاماً جيداً واختصر  
كتاب الانباري في الوقف والابتداء اختصاراً حسناً اعجب به من رآه من  
المقرئين وكان دأباً على طلب الحديث وتقيدته (واكثر ذهنه) هو التولي لقرآة  
ما يسمعه على الشيوخ المحدثين مثاراً على النسخ مجتهداً به فلما امتحن بهذه  
البلية مع بعض الغلمان رفض ما كان معتقياً به وباع اكثر كتبه واستحال  
استحالة كلية نعوذ بالله من الخذلان وقلت فيه كلمة وهي التالية للكلمة التي  
ذكرت منها في اول خبره ثم تركتها وقد ذكر ابو الحسين احمد بن يحيى ابن  
اسحق الرويدي في كتاب اللفظ والاصلاح ان ابراهيم بن سيار النظام رأس  
المعتزلة مع علو طبقة في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة تسبب الى ما حرم  
الله عليه من فتي نصراني عشقه بان وضع له كتاباً في تفضيل التثليث على  
التوحيد فباغوا ناه عيادك يارب من تولى الشيطان ووقع الخذلان وقد يعظم البلاء  
وتكلم الشهوة ويهون القبيح ويرق الدين حتى يرضى الانسان في جنب وصوله  
الى مراده بالقبايح والفضائح كمثل مادهم عبيد الله بن يحيى الازدي المعروف  
بان الجزيري فانه رضي باهمال داره واباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول  
على بغيته من فتي كان علقه نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحيطة وتحسين آثارنا

واطابة اخبارنا حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمر به المحافل وتصاغ فيه الاشعار وهو الذي تسميه العرب الديوث (وهو مشتق من التدبث وهو التسهيل وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل ومنه يعبر مدبث اي مذل) ولعمري ان الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة وما بعد هذا مصاب . ولقد كنت اعرف هذا المذكور مستوراً الى ان استهواه الشيطان ونعوذ بالله من الخذلان ، وفيه يقول عيسى بن محمد ابن يحمل الحولاني :

ياجاعلاً اخراج حر نسائه      شركاً لصيد جآذر الغزلان  
اني أرى شركاً يمزق ثم لا      تحظى بغير مذلة الحرمان  
واقول انا ايضاً :

أباح ابو مروان حر نسائه      لباغ ما بهوى من الرشاء الفرد  
فماتتبه الديوث في قبج فعله      فأنشدني انشاد مستبصر جلد  
لقد كنت ادركت المني غير أني      يعيرني قومي بادراكها وحدي  
واقول ايضاً :

رأيت الجزيري فيما يعاني      قليل الرشاد كثير السفاه  
يبيع ويبتاع عرضاً بعرض      أمور وجدك ذات اشتباه  
ويأخذ ميماً باعطاء هاء      الا هكذا فليكن ذواتواهي  
ويبدل ارضاً تغذي النبات      بأرض تحف بشوك الغضاه  
لقدخاب في تجره ذو ابتناع      مهب الرياح بمجرى المياه

ولقد سمعته في المسجد الجامع يستعذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان وما يشبه هذا اني اذكر اني كنت في مجلس فيه اخوان لنا عند بعض مياسير اهل بلدنا فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة ايضاً من اهل صاحب المجلس امرأ انكرته وغمزاً استبشعته وخلوات الحين بعد الحين

وصاحب المجلس كالغائب او النائم فنبهته بالتعريض فلم ينتبه وحركته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت اكرر عليه بيتين قديمين لعله يظن وهما هذان :  
 ان اخوانه المقيمين بالأمم س اتوا للزناء لالغناء  
 قطعوا امرهم وانت حمار موقر من بلادة وعياء  
 واكثر من انشادهن حتى قال لي صاحب المجلس قد امللتنا من سماعها  
 فتفضل بتركها او انشاد غيرها فامسكت وانا لا ادري أغافل هو ام متعافل وما  
 اذكر اني عدت الى ذلك المجلس بعدها وقلت فيه قطعة منها :

انت لاشك احسن الناس ظناً وبقيناً ونيةً وضميراً  
 فانتبه ان بعض من كان بالأمم س جلساً لنا يعاني كبيراً  
 ليس كل الركوع فاعلم صلاة لا ولا كل ذي لحاظ بصيراً

وحدثني ثعلب بن موسى الكلاباذي قال حدثني سليمان بن احمد الشاعر  
 قال حدثني امرأة اسمها هند كنت رأيتها في المشرق وكانت قد حجت خمس  
 حجرات وهي من المتعبدات المجتهدات قال سليمان فقالت لي يا ابن اخي لا تحسن  
 الظن بامرأة قط فاني اخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عز وجل . ركبنا البحر  
 منصرفاً من الحج وقد رفضت الدنيا وانا خامسة خمس نسوة كلهن قد حججن  
 وصرفنا في مركب في بحر القلزم (١) وان للشعراء من لطف التعريض عن الكناية  
 لعجباً ومن بعض ذلك قولي حيث اقول :

أتاني وماء المزن في الجويسفك كمحض الجين اذ يمد ويسبك  
 هلال الدياحي انحط من جو افقه فقل في محب نال ما ليس يدرك  
 وكان الذي ان كنت لي عنه ساءلاً فالي جواب غير اني أضحك  
 لفرط سروري خلتني عنه نائماً فيا عجيباً من موقن يتشكك

(١) ثم ذكرت قصة تحمل على اساءة الظن بالمرأة

واقول أيضاً قطعة منها :

أتيتي وهلال الجو مطلع قيل قرع النصارى للنواقيس  
كحاجب الشيخ عم الشيب أكثره وأخص الرجل في لطف وتقويس  
ولاح في الأفق قوس الله مكتسباً من كل لون كأذناب الطواويس

وان فيما يبدو اليانمان تعادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعد الالفه وتدارهم  
بعد الوصال وتقاطعهم بعد المودة وتباغضهم بعد المحبة واستحكام الضغائن وتأكد  
السحائم في صدورهم لكاشفاً ناهياً لو صادف عقولا سليمة وآراء نافذة وعزائم  
حيحة فكيف بما اعد الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجزاء  
ومن الكشف على رؤوس الخلائق ( يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل  
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد )  
جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في  
غير ذات الله عز وجل فمهدتها اصفى من الماء وألطف من الهواء واثبت من  
الجبال وا أقوى من الحديد واشد امتزاجاً من اللون في اللون وانفذ استحكاماً  
من الاعراض في الاجسام واضواً من الشمس واصح من العيان واثقب من  
النجم واصدق من كدر القطا واعجب من الدهر واحسن من البر واجمل من  
وجه ابى عامر والذ من العافية واحلى من المني وادنى من النفس واقرب من  
النسب وارسخ من النقش في الحجر ثم لم البت ان رأيت تلك المودة قد  
استحالت عداوة افطع من الموت وانفذ من السهم وامر من السقم واوحش من  
زوال النعم واقبح من حلول الفقم وامضى من عقم الرياح واضر من الحمق  
وادهى من غلبة العدو واشد من الاسر واقسى من الصخر وابغض من كشف  
الاستار وانأى من الجزاء واصعب من معاناة الساء واكبر من رؤية المصاب  
واشنع من خرق العادات واقطع من فجأة البلاء وابشع من السم الزعاف وما  
لا يتولد مثله عن الدخول والتراث وقتل الآباء وسبي الامهات وتلك عادة الله

في اهل النسق القاصدين سواء الآمين غيره وذلك قوله عز وجل ﴿ يا ليتني لم اتخذ  
فلاناً خليلاً لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ﴾ فيجب على اللبيب الاستجارة  
بالله مما يورط فيه الهوى فهذا خلف مولى يوسف بن ققام القائد المشهور كان  
احد القائمين مع هشام بن سليمان بن الناصر فلما اسر هشام وقتل وهرب الذين  
وازره فرخن في جلتهم ونجا فلما اتى التسطلات لم يطق الصبر عن جارية  
كانت له بقرطبة فسكر راجعاً فظفر به امير المؤمنين المهدي فامر بصلبه فلعهدي  
به مصلوباً في المرج على النهر الاعظم وكأنه القنفذ من النيل ولقد اخبرني ابو  
بكر محمد بن الوزير عبد الرحمن بن الليث رحمه الله ان سبب هروبه الى محلة  
البرابر ايام تحولهم مع سليمان الظافر انما كان لجارية يكلف بها تصيرت عند  
بعض من كان في تلك الناحية ولقد كاد ان يلف في تلك السقرة وهذا  
الفصلان وان لم يكونا من جنس الباب فانهما شاهدان على مايقود اليه الهوى  
من الهلاك الحاضر الظاهر الذي يستوي في فهمه العالم والجاهل فكيف من  
العصمة التي لايفهمها من ضمفت بصيرته ولايتقن امره خلوت فهو وان انفرد  
فيمرأى ومسمع من علام الغيوب ﴿ الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ﴾  
﴿ ويعلم السر وأخفى ﴾ ﴿ وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولاخسة الا هو  
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وهو عليهم بذات  
الصدور ﴾ وهو عالم الغيب والشهادة ﴿ ويستخفون من الناس ولايستخفون من الله  
وهو معهم ﴾ وقال ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه  
من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول  
الا لديه رقيب عتيد ﴾ وليعلم المستخف بالعاصي التكل على التسويف المعرض  
عن طاعة ربه ان ابليس كان في الجنة مع الملائكة المقربين فلمصية واحدة  
وقعت منه استحق لعة الابد وعذاب الخلد وصير شيطاناً رجياً وابعد عن رفيع  
المكان وهذا آدم صلى الله عليه وسلم بذنب واحد اخرج من الجنة الى شقاء

الدنيا ونكدها ولولا انه تلقى من ربه كلمات وتاب عليه لكان من الهالكين  
افترى هذا المغتر بالله ربه وبألائه ليزداد إثمًا يظن انه اكرم على خالقه من ابيه  
آدم الذي خلقه بيده وفتح فيه من روجه واسجد لهم ملائكته الذين هم افضل  
خلقه عنده او عقابه اعز عليه من عقوبته اياه ، كلا ولكن استعذاب التمني  
واستيطاء مركب العجز وسخف الرأي قائدة اسحابها الى الوبال والحزني ولو  
لم يكن عند ركوب المصيبة زاجر من نهى الله تعالى ولاحام من غليظ عقابه  
لكان في قبسح الاحدوثه عن صاحبه وعظيم الظلم الواقع في نفس فاعله اعظم  
مانع واشد رادع لمن نظر بعين الحقيقة واتبع سبيل الرشيد فكيف والله عز  
وجل يقول ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل  
ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً ﴾ حدثنا الهمداني  
في مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة سنة احدى واربع مائة حدثنا ابن سبويه  
وابو اسحق البلخي بخراسان سنة خمس وسبعين وثلاث مائة قالنا ثنا محمد بن  
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن ابي  
وائل عن عمرو بن شرحبيل قال قال عبد الله وهو ابن مسعود قال رجل  
يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ﴿ ان تدعو الله ندأ وهو خلقك قال  
ثم اي قال ان تقتل ولدك ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليمة  
جارك ﴾ فانزل الله تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون  
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ الآية . وقال عز وجل ﴿ الزانية والزاني  
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم  
تؤمنون بالله ﴾ الآية . حدثنا الهمداني عن ابي اسحق البلخي وابن سبويه عن  
محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب  
الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن المسيب  
الحزوميين وابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ) وبالسند المذكور الى محمد ابن اسماعيل عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة وسعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال : ( يا رسول الله اني زنيت فاعرض عنه ثم رد عليه اربع مرات فلما شهد على نفسه اربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبلك جنون قال لا قال فهل احصنت قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهبوا به فارجموه ) قال ابن شهاب فاخبرني من سمع جابر بن عبد الله قال كنت فيمن رجمه فرجمناه بالصلى فلما اذلقته الحجارة هرب فادركناه بالحرة فرجمناه حدثنا ابو سعيد مولى الحاجب جعفر في المسجد الجامع بقرطبة عن ابي بكر المقرئ عن ابي جعفر النحاس عن سعيد بن بشر عن عروة ابن رافع عن منصور عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عباد بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ( خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد وتغريب سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ) فبما اشعة ذنب انزل الله وحيه ميماً بالتشهير بصاحبه والعنف بفاعله والتشديد لمقترفه وتشدد في ان لا يرمم الا بمحضرة اوليائه عقوبة رجمه وقد اجمع المسلمون اجماعاً لا ينقضه الا ما وجد أن الزاني المحصن عليه الرجم حتى يموت فياها قتلة ما اهو لها وعقوبة ما افظعها واشد عذابها وابعداها من الراحة وسرعة الموت وطوائف من اهل العلم منهم الحسن بن ابي الحسن وابن راهويه وداود واحكامه يرون عليه مع الرجم جلد مائة ويحتجون عليه بنص القرآن وثبات السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبفعل علي رضي الله عنه بانه رجم امرأة محصنة في الزنا بعد ان جلدتها مائة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله والقول بذلك لازم لاصحاب الشافعي لان زيادة العدل في الحديث مقبولة وقد صح في اجماع الامة المنقول بالسكفة الذي يصحبه العمل عند كل فرقة وفي اهل



كل نحلة من نحل اهل القبلة حاشى طائفة يسيرة من الحوارج لا يتدبهم انه لا يحل دم امرئ مسلم الا بكفر بعد ايمان او نفس بنفس او بمحاربة لله ورسوله يشهر فيها سيفه ويسعى في الارض فساداً مقبلاً غير مدبر وبالزنا بعد الاحسان فان حد ما جعل الله مع الكفر بالله عز وجل ومحاربه وقطع حجة في الارض ومناذته دينه لجرم كبير ومعصية شعاء والله تعالى يقول ﴿ ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ . (والذين يجتنبون كبار الاثم والقوا حش الا اللهم ان ربنا واسع المغفرة) وان كان اهل العلم اختلفوا في تسميتها فكلهم يجمعان فيهما اختلفوا فيه منها ان الزنا يقدم فيها لا اختلاف بينهم في ذلك ولم يوعده الله عز وجل في كتابه بالنار بعد الشرك الا في سبع ذنوب وهي الكبار الزنا احدها وقذف المحصنات ايضاً منها منصوصاً ذلك كله في كتاب الله عز وجل وقد ذكرنا انه لا يجب القتل على احد من ولد آدم الا في الذنوب الاربعة التي قد تقدم ذكرها فاما الكفر منها فان عاد صاحبه الى الاسلام او بالذمة ان لم يكن مرتداً قبل منه ودريء عنه الموت واما القتل فان قبل الولي الدية في قول بعض الفقهاء او عفا في قول جميعهم سقط عن القتال القتل بالقصاص واما الفساد في الارض فان تاب صاحبه قبل ان يقدر عليه هدر عنه القتل ولا سبيل في قول احد موألف او مخالف في ترك رجم الحصن ولاوجه لرفع الموت عنه البتة ومما يدل على شدة الزنا ما حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن ثنا القاضي ابو عيسى عن عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى عن الليث عن الزهري عن القاسم بن محمد بن ابي بكر عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصاب في زمانه ناساً من هذيل فخرجت جارية منهم فاتبعها رجل يريد بها عن نفسها فرمته بحجر فتقت كبد فقتل عمرو : هذا قبل الله والله لا يؤدى ابداً .

وما جعل الله عز وجل فيه اربعة شهود وفي كل حكم شاهدين الا حياطة

منه الاتسبع الفاحشة في عباده لعظمها وشنعها وقبحها وكيف لا تكون شنيعة  
ومن قذف بها اخاه السلم او اخته المسلمة دون صحة علم او يقين معرفة فقد  
اتى كبيرة من الكبائر استحق عليها النار غداً ووجب عليه بنص التنزيل ان  
تضرب بشرته ثمانين صوتاً ومالك رضي الله عنه يرى ان لا يؤخذ في شيء  
من الاشياء حد بالتمريض دون التصريح الا في قذف وبالسند المذكور عن  
الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن امه عمرة  
بنت عبد الرحمن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر ان يجلد الرجل  
قال لآخر ما اني بزان ولا امي بزانية في حديث طويل وباجماع من الامة كلها  
دون خلاف من احد نعلمه انه اذا قال رجل لآخر يا كافر او يا قاتل النفس التي  
حرم الله لما وجب عليه حد احتياطاً من الله عز وجل الا ثبت هذه العظيمة  
في مسلم ولا مسلمة ومن قول مالك رحمه الله ايضاً انه لاحد في الاسلام الا  
والقتل يعني عنه وينسخه الاحد القذف فانه ان وجب على من قد وجب عليه  
القتل حد ثم قتل قال الله تعالى ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة  
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون  
الا الذين تابوا ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات  
لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ وروي عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انه قال : الفض واللعنة المذكوران في اللعان انهما موجبتان  
حدثنا الهمداني عن ابي اسحق عن محمد بن محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل  
عن عبد العزيز بن عبد الله قال ثنا سليمان عن ثور بن يزيد عن ابي القيث عن  
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات  
قالوا وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله  
الا بالحق واكل الربى واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات  
الغافلات المؤمنات ﴾

وان في الزنا من اباحة الحريم وافساد النسل والتفريق بين الازواج الذي عظم الله امره مالا يهون على ذي عقل او من له اقل خلاق ولولا مكان هذا العنصر من الانسان وانه غير مأمون الغلبة لما خفف الله عن البكرين وشدد على المحصنين . وهذا عندنا وفي جميع الشرائع القديمة النازلة من عند الله عز وجل حكماً باقياً لم ينسخ ولا ازيل فيترك الناظر لعباده الذي لم يشغله عظيم ما في خلقه ولا يحيف قدرته كبير ما في عوالمه عن النظر لحقير ما فيها فهو كما قال عز وجل ﴿ الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وقال ﴿ يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ﴾

وان اعظم ما يأتي به العبد هتك ستر الله عز وجل في عباده وقد جاء في حكم ابي بكر الصديق رضي الله عنه في ضربه الرجل الذي ضم صبياً حتى امى ضرباً كان سبباً للمنية ومن اعجاب مالك رحمه الله باجتهاد الامير الذي ضرب صبياً مكن رجلاً من تقييله حتى امى الرجل ضربه الى ان مات ما ينسي شدة دواعي هذا الشأن واسبابه . والتزيد في الاجتهاد وان كنا لانراه فهو قول كثير من العلماء يتبعه على ذلك عالم من الناس واما الذي نذهب اليه فالذي حدثناه الهمداني عن البلخي عن البخاري عن الفريري عن البخاري قال ثنا يحيى بن سليمان ثنا ابن وهب قال اخبرني عمرو ان بكيراً حدثه عن سليمان بن يسار عن عبد الرحمن بن جابر عن ابيه عن ابي بردة الانصاري قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ لا يجحد فوق عشرة اسواط الا في حد من حدود الله عز وجل ﴾ وبه يقول ابو جعفر محمد بن علي النسائي اشافعي رحمه الله .

واما قبل قوم لوط فشنيع بشيع قال الله تعالى : ﴿ ان أنون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ﴾ وقد قذف الله فاعليه بحجارة من طين مسومة .

ومالك رحمه الله يرى على الفاعل والمفعول به الرجم احصنا اولم يحصنا واحتج بعض المالكين في ذلك بان الله عز وجل يقول في رجمه فاعليه بالحجارة : ﴿ وما هي من الظالمين يبعيد ﴾ فوجب بهذا انه من ظلم الآن بمثل فعلهم قربت منه . والخلاف في هذه المسألة ليس هذا موضعه وقد ذكر ابو اسحق ابراهيم بن السري ان ابا بكر رضي الله عنه احرق فيه بالنار وذكر ابو عبيدة معمر ابن المثنى اسم المحرق فقال هو شجاع بن ورقاء الاسدي احرقه بالنار ابو بكر الصديق لانه يؤتى في دبره كما تؤتى المرأة (١)

وان عن المعاصي لمذاهب للعقل واسعة فما حرم الله شيئاً الاوقد عوض عباده من الحلال ما هو احسن من المحرم وافضل لاله الا هو . واقول في النهي عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ :

اقول لنفسي مامين كحالك وما الناس الا هالك وابن هالك (٢)  
صن النفس عما عابها وارفض الهوى فان الهوى مفتاح باب المهالك  
رأيت الهوى سهل المبادي لذيتها وعقابه مر الطعم ضحك المسالك

(١) قال ابن قيم الجوزية في كتابه ( روضة المحيين ونزهة المشتاقين ) صفحة ٣٩٧ طبع المكتبة العربية بدمشق مانصه :  
وحرقت اللوطة بالنار اربعة من الخلفاء ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك

(٢) قال ابن خلكان :  
رأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول ابي نواس :

الاكل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق  
اذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فما لذّة الانسان والموت بعدها  
فلا تتبع دابةً قليلاً لبائسها  
وما تركها اذا اذاهي امكنت  
فما تارك الآمال عجباً جؤاذراً  
وما قابل الامر الذي كان رغباً  
لاجدي عباد الله بالفوز عنده  
ومن عرف الامر الذي هو طالب  
ومن عرف الرحمن لم يعص أمره  
سبيل النقي والنسك خير المسالك  
فما فقد التغيص من عاج دونها  
وطوبى لأقوام يؤمون نحوها  
لقد فقدوا غل النفوس وفضلوا  
فعاثوا ككشاؤوا وماتوا كاشموا  
عصوا طاعة الاجساد في كل لذة  
فولوا اعتداء (١) الجسم ايقنت انهم  
فيارب قدمهم وزد في صلاحهم  
ويا نفس جاري لآتملي وشمري  
وانت متى دمرت سميك في الهوى  
فقد بين الله الشرعة للورى  
ويا نفس جدي في خلاصك وانفذي  
فلو اعلم الناس التفكير في الذي

ولو عاش ضعفي عمر نوح بن لامك  
فقد انذرتنا بالقضاء الموشك  
وكم تارك اضمحاره غير تارك  
كنار كهذا الضروع الحواشك  
بشهوة مشتاق وعقل مبارك  
لدى جنة الفردوس فوق الارائك  
رأى سيباً ما في يدي كل مالك  
ولو انه يعطى جميع الممالك  
وسالكها مستبصر خير سالك  
ولا طاب عيش لامرئ غير ماسك  
بخفة ارواح ولين عرائك  
بمزا سلاطين وامن صعاك  
وقازوا بدار الخلد رجب المبارك  
بنور محل ظلمة الغي هاتك  
يعيشون عيشاً مثل عيش الملائك  
وصل عليهم حيث حلوا وبارك  
لنيل سرور الدهر فيما هنالك  
علمت بان الحق ليس كذلك  
باين من زهر النجوم الشوابك  
نفاذ السيوف المرهقات البواتك  
له خلقوا ما كان حي بضاحك

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب اعتداء

## ﴿ باب فضل التقف ﴾

ومن افضل ما يأتى الانسان في حبه التقف وترك ركوب المعصية والفاحشة وان لا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة وان لا يصي مولاه المتأمل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لامره ونهيه وارسل اليه رسله وجعل كلامه ثابتاً لديه عناية منه بنا واحساناً اليها وان من هام قلبه وشغل باله واشتد شوقه وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله وشهوته وان يتهر دينه ثم اقام العدل لنفسه حصناً وعلم انها النفس الامارة بالسوء وذكرها بعقاب الله تعالى وفكر في اجرائه على خالقه وهو يراه وحذرهما من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج الى بينة ، ونظر بعين ضميره الى انفراده عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴾ ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خَيْرٍ يحضر وما عملت من سُوءٍ تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ﴾ ﴿ يوم غنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ﴿ يوم وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً ﴾ يوم الطامة الكبرى ، ﴿ يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ واليوم الذي قال الله تعالى فيه ﴿ وكل انسان الزمناه طائرته في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ عندها يقول العاصي ﴿ يا وياي ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴾ فكيف بمن طوى قلبه على آخر من جمر الغضا وطوى كشحه على احد من السيف وتجبرع غصصاً امر من الحنظل وصرف نفسه كرهاً عما

طمعت فيه وتيقنت ببلوغه وتهاأت له ولم يحل دونها حائل لحري ان يسر  
غداً يوم البعث ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود وان  
يأمن روغات القيامة وهول المطلع وان يعوضه الله عن هذه القرحة الأمن  
يوم الحشر

حدثني ابو موسى هارون بن موسى الطيب قال رأيت شاباً حسن الوجه  
من اهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا وكان له اخ في الله قد سقطت بينهما  
مؤونة التحفظ فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده فعرضت لصاحب المنزل  
حاجة الى بعض معارفه بالبعد عن منزله فنهض لها على ان ينصرف مسرعاً  
ونزل الشاب في داره مع امرأته وكانت غاية في الحسن وترباً للضيف في  
الصبي فاطال رب المنزل المقام الى ان مشى العسس ولم يمكنه الانصراف الى  
منزله فلما علمت المرأة بغوات الوقت وان زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة  
ناقت نفسها الى ذلك الفتى فبرزت اليه ودعته الى نفسها ولائالك لها الا الله عز  
وجل فهم بها ثم تاب اليه عقله وفكر في الله عز وجل فوضع اصبعه على  
السراج فتفقق ثم قال يا نفس ذوقي هذا واين هذا من نار جهنم فقال المرأة ما  
رأت ثم عاودته فعاودته الشهوة المركبة في الانسان فعاد الى القعدة الاولى  
فانبج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار . أفظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ  
الا لفرط شهوة قد كلبت عليه اوترى ان الله تعالى يضع له المقام كلا انه  
لا اكرم من ذلك واعلم

ولقد حدثني امرأة اتق بها انها علقها فتي مثلها في الحسن وعلقته وشاع  
القول عليهما فاجتمعا يوماً خالين فقال هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله  
لا كان هذا ابدأ وانا اقرأ قول الله ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا  
المتقين﴾ قالت فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال  
ولقد حدثني ثقة من اخواني انه خلا يوماً بجارية كانت له معارك في الصبي



فتعرضت لبعض تلك المعاني فقال لها كلا ان من شكر نعمة الله فيها منحني من  
وصالك الذي كان اقصى آمالي ان اجتنب هواي لامره . ولعمري ان هذا  
لغريب فيما خلا من الازمان فكيف في مثل هذا الزمان الذي قد ذهب خيره  
وأتى شره وما اقدر في هذه الاخبار — وهي صحيحة — الا احد وجهين لاشك  
فيهما : إما طبع قد مال الى غير هذا الشأن واستحكمت معرفته بفضل سواء  
عليه فهو لايجب دواعي الغزل في كلمة ولا كلمتين ولا في يوم ولا يومين ولوطال  
على هؤلاء المتحنيين ما امتحنوا به لجادت طباعهم واجابوا هاتف الفتنة ولكن  
الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم وعلماً بما في ضمائرهم من الاستعاذة  
به من التفتاح واستدعاء الرشد لا اله الا هو ، واما بصيرة حضرت في ذلك  
الوقت وخاطر تجرد انقمعت به طوابع الشهوة في ذلك الحين لخير اراد الله عز  
وجل لصاحبه جعلنا الله ممن يخافه ويرجوه آمين

وحدثني ابو عبد الله محمد بن عمرو بن مضاء عن رجال من بني مروان  
ثقات يسندون الحديث الى ابي العباس الوليد بن غانم انه ذكر ان الامام عبد  
الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهوراً وثقف القصر بابه محمد الذي  
ولى الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلاً وقعوده نهائراً فيه ولم يأذن  
له في الخروج البتة ورتب معه في كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من اكابر  
الفتيان يبيتان معه في السطح . قال ابو العباس فاقام على ذلك مدة طويلة  
وبعد عهده باهله وهو في سن العشرين او نحوها الى ان وافق مبيتي في ليلي  
توبة فتى من اكابر الفتيان وكان صغيراً في سنه وغاية في حسن وجهه قال  
ابو العباس فقلت في نفسي اني اخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك  
بمواقفه المعصية وتزيين ابليس واتباعه له قال ثم اخذت مضجعي في السطح  
الخارج ومحمد في السطح الداخل المظل على حرم امير المؤمنين والفتى في الطرف  
الثاني القريب من المظلع فظلمت ارقبه ولا اغفل وهو يظن اني قد نمت ولا يشعر

باطلاعي عليه قال فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوذ من الشيطان ورجع الى منامه ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزع عن نفسه وعاد الى منامه ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجله من السرير وبقي كذلك ساعة ثم نادى القى باسمه فاجابه فقال له انزل عن السطح وابق في الفصيل الذي تحته فقام القى مؤتمراً له فلما نزل قام محمد واغلق الباب من داخله وعاد الى سريره قال ابو العباس فعلت من ذلك الوقت ان الله فيه مراد خير

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور عن احمد بن مطرف عن عبيد الله ابن يحيى عن ابيه عن ملك عن جيب بن عبد الرحمن الانصاري عن حفص ابن عاصم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (سبعة بظاههم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله . ورجل تصدق صدقة فاخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ) واني اذكر اني دعيت الى مجلس فيه بعض من تستحسن الابصار صورته وتألف القلوب اخلاقه للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه فسارعت اليه وكان هذا سحراً فبعد ان صليت الصبح واخذت زبي طرقي فكرر فسحنت لي ابيات ومعني رجل من اخواني فقال لي ما هذا الاطراق فلم اجهه حتى اكلمتها ثم كتبها ودفعها اليه وامسكت عن المسير حيث كنت نويت ومن الايات :

أرأيت حسن غيه لك تأريق      وتبريد وصل سره فيك تحريق  
وقرب مزار يقتضي لك فرقة      وشيكا ولولا القرب لم يك تقريق  
ولذة صم معقب لك علقماً      وصاباً وفسح في تضاعفه ضيق

ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثواب لوجب علينا افناء الاعمار واتعاب  
الابدان واجهاد الطاقة واستنفاد الوسع واستفراغ القوة في شكر الخالق الذي  
ابتدأنا بالنعم قبل استئهاها وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ووهبنا الحواس  
والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات وصرف لنا السموات جارية بمنافعها ودبرنا التدبير  
الذي لو ملكنا خلقنا لم نهتد اليه ولا نظرنا لانفسنا نظره لنا وفضلنا على اكثر  
المخلوقات وجعلنا مستودع كلامه ومستقر دينه وخلق لنا الجنة دون ان نستحقها  
ثم لم يرض لعباده ان يدخلوها الا باعمالهم لتكون واجبة لهم قال الله تعالى :  
(جزاء بما كانوا يعملون) ورشدنا الى سبيلها وبصرنا وجه ظلها وجعل غاية  
احسانه اليها وامتنانه علينا حقاً من حقوقنا قبله وديناً لازماً له وشكرنا على ما  
اعطانا من الطاعة التي رزقنا قواها واثابنا بفضلها على تفضله هذا كرم لاتهدي  
اليه العقول ولا يمكن ان تكيفه الالساب ومن عرف ربه ومقدار رضاه وسخطه  
هانت عنده اللذات الذاهبة والحطام الفاني فكيف وقد اتى من وعيده ماتقشعر  
لسماعه الاجساد وتذوب له النفوس واورد علينا من عذابه ما لم ينته اليه امل  
فاين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب  
الندامة عنها ولا تنفي التبعة منها ولا يزول الحزني عن رايها والى كم هذا التهادي  
وقد اسمعنا المنادي وكأن قد حدا بنا الحادي الى دار القرار فاما الى جنة واما  
الى نار الا ان التبط في هذا المكان هو الضلال المبين وفي ذلك اقول :

اقصر عن لهوه وعن طربه	وعف في حبه وفي عربه
فليس شرب المدام همته	ولا اقتناص الظبي من اربه
قد آن للقلب ان يفيق وان	يزيل ماقد علاه من حجيته
الهاه عما عهدت يحجيته	خيفة يوم تبلى السرائر به
يانفس جدي وشمري ودعي	عنك اتباع الهوى على لعبه
وسارعي في النجاة واجتهدي	ساعية في الخلاص من كربته

علي احظي بالفوز فيه وأن  
يا ايها اللاعب المجد به ال  
كفاك من كل ماوعظت به  
دع عنك داراً تفتي غضايتها  
لم يضطرب في محلها احد  
من عرف الله حق معرفته  
مامنقضي الملك مثل خالده  
ولا تقي الوري كفاسقهم  
فلو أمنا من العقاب ولم  
ولم نخف ناره التي خنقت  
لكان فرضاً لزوم طاعته  
وصحة الزهد في البقاء وان  
فقد رأينا فعل الزمان باهـ  
كم متعب في الآله مهجته  
وطالب باجتهاده زهر ال  
ومدرك ما ابتغاه ذي جدل  
وباحث جاهد لبغته  
بينما ترى المرء سامياً ملكاً  
كالزرع للرجل فوقه عمل  
كم قاطع نفسه اسي وشجاً  
أليس في ذاك زاجر عجب  
فكيف والنار للمسيء اذا  
وبوم عرض الحساب يقضحه الله وييدي الخفي من ربه

أنجو من ضيقه ومن لهبه  
دهر اما تتقي شبا نكبه  
ما قد أراك الزمان من عجه  
ومكسباً لاعباً بمكسبه  
الا نبا حدها بمضطربه  
لوى وحل الفؤاد في رهبه  
ولا صحيح التسقي كؤوتشه  
وليس صدق الكلام من كذبه  
نخش من الله متقى غضبه  
لكل جاني الكلام محتقه  
ورد وقد الهوى على عقبه  
يلحق تنفيذنا بمرتقه  
ليه كفعل الشواظ في حطبه  
راحت في الكريه من تعب  
دنيا عداه المنون عن طلبه  
حل به ما يخاف من سيبه  
فانما يحشه على عطبه  
صار الى السفلى من ذرى ربه  
ان يتم حسن النمو في قصبه  
في اثر جد يمجد في هربه  
يزيد ذا اللب في حلي ادبه  
عاج عن المستقيم من عقبه  
وييدي الخفي من ربه

من قد جباه الآله رحمة  
فصار من جهله يصرفها  
أليس هذا أحرى العباد غداً  
شكراً لرب لطيف قدرته  
رازق اهل الزمان اجمعهم  
والحمد لله في تفضله  
أخدمنا الارض والسماء ومن  
فاسمع ودع من عصاه ناحية  
واقول ايضاً :

اغارتك دنيا مسترد معارها  
وهل يتعنى المحكم الرأي عيشة  
وكيف تاذ العين هجمة ساعة  
وكيف تقرر النفس في دار نقلة  
وأنى لها في الارض خاطر فكرة  
أليس لها في السعي للفوز شاغل  
فخابت نفوس قادها هـو ساعة  
لها سائق حاد حيث مبادر  
تراد الامر وهي تطلب غيره  
أمسرعة فيما يسو قيامها  
تعطل مفروضاً وتعنى بفضلة  
الى ما لها منه البلاء سكونها  
غضارة عيش سوف يدوي اخضرارها  
وقد حان من دهم المتايا مزارها  
وقد طال فيما عاينته اعتبارها  
قد استيقنت ان ليس فيها قرارها  
ولم تدر بعد الموت اين محارها  
اما في توقيها العذاب ازديادها  
الى حر نار ليس يطفى أوارها  
الى غير ما أضحى اليه مدارها  
وتقصد وجهاً في سواه سفارها  
وقد أيقنت ان العذاب قصارها  
لقد شفيها طغيانها واغترارها  
وعما لها منه النجاح نفارها

(١) في الاصل : من نعمه ، والصواب ما صححناه

وتعرض عن رب دعاها لرشدتها  
 قيا ايها المغرور بادر برجمة  
 ولا تتخير فانياً دون خالد  
 أعلم ان الحق فيما تركته  
 وترك بيضاء المناهج ضلة  
 تسر بلهو معقب بندامة  
 وتقتى الليالي والمسرات كلها  
 فهل انت يامغبون مستيقظ فقد  
 فجعلى الى رضوان ربك واجتنب  
 يحد مرور الدهر عنك بالاعب  
 فكما قد غرها الدهر قبلنا  
 تذكر على ما قد مضى واعتبر به  
 تحامى ذراها كل باغ وطالب  
 توافى بطن الارض وانشت شملها  
 وكم راقد في غفلة عن منية  
 ومظلمة قد نالها تسلط  
 أراك اذا حاولت دنياك ساعياً  
 وفي طاعة الرحمن يقعدك الونا  
 تحاذر اخواناً ستفنى وتفقضي  
 كأنني ارى منك اتبرم ظاهراً  
 هناك يقول المرء من لي باعصر  
 تنبه ليوم قد اظلك ورده  
 تبرأ فيه منك كل مخالف

وتتبع دنيا جد عنها فراها  
 فله دار ليس تحمد نازها  
 دليل على محض العقول اختيارها  
 وتسلك سبلاً ليس يخفى عوارها  
 لهماء يؤذي الرجل فيها عثارها  
 اذا ما انقضى لا ينقضي مستأثارها  
 وتبقى تباعات الذنوب وتارها  
 تين من سر الخطوب استأثارها  
 نواهيها اذ قد تجلى مزارها  
 وتغرى بدنيا ساء فيك سرارها  
 وهاتيك منها مقفرات ديارها  
 فان المذكي للعقول اعتبارها  
 وكان ضماناً في الاعادي انتصارها  
 وعاد الى ذي ملكة استأثارها  
 مشمرة في القصد وهو سعارها  
 مدل بايد عند ذي العرش تارها  
 على انها باد اليك ارورارها  
 وتبدي أناة لا يصح اعتذارها  
 وتنسى التي فرض عليك حذارها  
 مبيتاً اذا الاقدار حل اضطرارها  
 مضت كان ملكاً في يدي خيارها  
 عصيب يوافي النفس فيها احتضارها  
 وان من الآمل فيه انهارها

فأودعت في ظلماء ضحك مقرها      يلوح عليها للعبون اغبرارها  
 تنادي فلا تدري النادي مفرداً      وقد حط عن وجه الحياة خوارها  
 تنادي الى يوم شديد مفرع      وساعة حشر ليس يخفى اشعارها  
 اذا حشرت فيه الوحوش وجعت      صحائفنا واتال فينا انتشارها  
 وزينت الجنات فيه وازلفت      واذكي من نار الجحيم استعارها  
 وكورت الشمس النيرة بالضحي      واسرع من زهر النجوم انكدارها  
 لقد جل امر كان منه انتظامها      وقد حل امر كان منه انتشارها  
 وسيرت الاجبال والارض بدلت      وقد عطلت من مالكيها عشارها  
 فاما لدار ليس يفنى نعيمها      واما لدار لا يفك اسارها  
 بحضرة جبار رفيق معاقب      فتحصى المعاصي كبرها وصفارها  
 ويندم يوم البعث جاني صغارها      وتهلك اهلها هناك كبارها  
 ستغبط اجساد وتحي نفوسها      اذا ما استوى اسرارها وجهارها  
 اذا فحهم غفو الاله وفضله      واسكنهم داراً حلال عقارها  
 سيلحقهم اهل الفسوق اذا استوى      بحلبة سبق طرفها وحمارها  
 يفر بنو الدنيا بدنيهم التي      يظن على اهل الحظوظ اقتصارها  
 هي الام خير البر فيها عقوقها      وليس بغير البذل يحمي ذمارها  
 فما نال منها الحظ الا مهينها      وما الهلك الا قربها واعتارها  
 تهافت فيها طامع بعد طامع      وقد بان للب الذكي اختبارها  
 تطامن لغمر الحادثات ولا تكن      لها ذا اعتار يحثيك غمارها  
 واياك ان تغتر منها بما ترى      فقد صبح في العقل الحي عيارها (١)  
 رأيت ملوك الارض يغفون عدة      ولذة نفس يستطاب اجترارها

(١) في الاصل غيارها والصواب ما صححناه



واخلوا طريق القصد في مبتغاهم  
 وان التي يغوث نهج بقية  
 هل العز الالهة صح صونها  
 وهل راجح الامر متوكل  
 ويلقى ولاة الملك خوفاً وفكرة  
 عياناً نرى هذا ولكن سكرة  
 تدبر من الباني على الارض سقفا  
 ومن يمسك الاجرام والارض امره  
 ومن قدر التدبير فيها بحكمة  
 ومن تق الامواه في صفح وجهها  
 ومن صير الالوان في نور نبتها  
 فمنه مخضر يروق بصيصه  
 ومن حفر الإنهار دون تكلف  
 ومن رتب الشمس النير ايضاضها  
 ومن خلق الافلاك فامتد جريها  
 ومن ان ألت بالعقول رزية  
 تجمد كل هذا راجع نحو خالق  
 أبان لنا الآيات في انبيائه  
 فانطق افواهاً بالفاظ حكمة  
 وارز من صم الحجارة ناقة  
 ليوقن اقوام وتكفر عصاة  
 وشق لموسى البحر دون تكلف  
 وسلم من نار الانوق خليله

لمتبعه الصفار جم صفارها  
 مكين لطلاب الخلاص اختصارها  
 اذا صان همت الرجال انكسارها  
 فتويع غني النفس باد وقارها  
 تضيق بها ذرعاً ويفنى اضطبارها  
 أحاطت بنا ما ان يفيق خارها  
 وفي علمه معمورها وقفارها  
 بلا عمد يبنى عليه قرارها  
 فصح لديها ليلها ونهارها  
 فمنها يغذى حبها وثمارها  
 فأشرق فيها وردها وبهارها  
 ومنه ما يغشى اللحاظ احمرارها  
 فتار من الصم الصلاب انفجارها  
 غدوا ويبدو بالعشي اصفرارها  
 واحكمها حتى استقام مدارها  
 فليس الى حي سواء افتقارها  
 له ملكها منقادة وأيتارها  
 فأمكن بعد العجز فيها اقتدارها  
 وما حبها انتقارها وانتقارها  
 واسمهم في الحين منها حوارها  
 أتاها باسباب الهلاك قدارها  
 وبان من الامواج فيه انحسارها  
 فلم يؤذه احراقها واعتزارها

وحجى من الطوفان نوحاً وقدهدت به أمة ابدا فسوق شرارها  
وممكن داوداً بايد، وابنه فقصيرها ماسقى له وبدارها  
وذلل جبار البلاد لامره وعلم من طير السماء حوارها (١)  
وفضل بالقرآن امة احمد ومكن في اقصى البلاد مغارها  
وشق له بدر السماء وخصه بآيات حق لا يخل معارها  
وأقننا من كفر اربابنا به وكان على قطب الهلاك منارها  
فما بالنا لاترك الجهل ويحنا لتسلم من نار ترمى شرارها

هنا اعزك الله انتهى ماتذكرته ايجاباً لك وتقمناً لمسرتك ووقوفاً عند امرك  
ولم امتنع ان اورد لك في هذه الرسالة اشياء يذكروها الشعراء ويكثرون  
القول فيها موفيات على وجوها ومفردات في ابوابها ومنعمات التفسير مثل  
الافراط في صفة النحول وتشبيه الدموع بالامطار وانها تروي السفار وعدم النوم  
البتة واقتطاع الغذاء حجة الا انها اشياء لاحقيقة لها وكذب لاوجه له ولكل  
شيء حد وقد جعل الله لكل شيء قدراً. والنحول قد يعظم ولو صار حيث  
يصفونه لكان في قوام الذرة او دونها ولخرج عن حد المعقول. والسهر قد  
يصل ليالي ولكن لو عدم الغذاء اسبوعين هلك وانما قلنا ان الصبر عن النوم  
اقلم من الصبر عن الطعام لان النوم غذاء الروح والطعام غذاء الجسد وان كانا  
يشاركان في كليهما ولكننا حكينا على الاغلب، واما الماء فقد رأيت ان ميسوراً  
البناء جارنا بقرطبة يصبر عن الماء اسبوعين في حمارة القيظ ويكتفي بما في غذائه  
من رطوبة. وحدثني القاضي ابو عبد الرحمن بن جحاف انه كان يعرف من  
كان لايشرب الماء شهراً وانما اقتصر في رسالتي على الحقائق المعلومة التي  
لايمكن وجود سواها اصلاً وعلى اني قد اوردت من هذه الوجوه المذكورة

اشياء كثيرة يكتفى بها لكسلا اخرج عن طريقة اهل الشعر ومنههم وسيرى كثير من اخواننا اخباراً لهم في هذه الرسالة مكنياً فيها من اسمائهم على ما شرطنا في ابتدائها . وانا استغفر الله تعالى مما يكتب الملكان ويحصيه الرقيان من هذا وشبهه استغفار من يعلم ان كلامه من عمله ولكنه ان لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء فهو ان شاء الله من اللهم المغفو والافليس من السيئات والفواحش التي يتوقع عليها العذاب وعلى كل حال فليس من الكبار التي ورد النص فيها

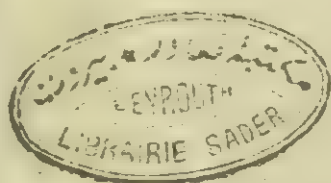
وانا اعلم انه سينكر على بعض المتعصين على تأليني لثل هذا ويقول انه خالف طريقته وتحافى عن وجهته وما احل لاحد ان يظن في غير ما قصده قاله الله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ﴾ وحدثني احمد بن محمد بن الجسوري ثنا بن ابي دليم ثنا بن وضاح عن يحيى ابن ملك بن انس عن ابي الزبير المكي عن ابي شريح الكعبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ اياكم والظن فانه اكذب الكذب ﴾ وبه الى ملك عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن الاعرج عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت ﴾ وحدثني صاحبي ابو بكر محمد بن اسحق ثنا عبد الله بن يوسف الازدي يحيى بن عائد ثنا ابو عدي عبد العزيز بن علي بن محمد بن اسحق بن الفراء الامام بمصر ثنا ابو علي الحسن بن قاسم بن دحيم المصري ثنا محمد بن زكريا العلاني ثنا ابو العباس ثنا ابو بكر عن قتادة عن سعيد بن المسيب انه قال وضع عمرو بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانين عشرة كلمة من الحكم ﴿ ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه ﴾ ولانظن بكلمة اخرى من فيء امريء مسلم شرا وانت تجد لها في الخير محملاً . فهذا اعزك الله ادب الله وادب رسوله صلى الله عليه وسلم وادب امير المؤمنين وبالحمة فاني لا اقول

شراية ولا انسك نسكاً عجمياً ومن ادى الفرائض للمأمور بها واجتنب المحارم  
هي عنها ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ودعني  
اسوى ذلك وحسبي الله. والكلام في مثل هذا انما هو مع خلاه الذرع  
راغ القلب وان حفظ شيء وبقاء رسم وتذكر فائت لمثل خاطري لعجب على  
امضى ودهمني فانت تعلم ان ذهني متقلب وبالي مهضم بما نحن فيه من نبو الديار  
الحلاء عن الاوطان وتغير الزمان ونكبات السلطان وتغير الاخوان وفساد  
وتبدل الايام وذهاب الوفير والخروج عن الطارف والتائد واقطاع مكاسب  
الاجداد والغربة في البلاد وذهاب المال والجاه والفكر في صيانة الاهل  
والباس عن الرجوع الى موضع الاهل ومداغة الدهر وانتظار الاقدار  
حظنا الله من الشاكن الا اليه واعادنا الى افضل ماعودنا وان الذي ابقى لاكثر  
اخذ والذي ترك اعظم من الذي تحيف ومواهبه المحيطة بنا ونعمه التي غررتنا  
نجد ولا يؤدى شكرها والكل منحه وعطاياه ولا حكم لنا في انفسنا ونحن منه واليه  
نقلنا وكل عاربة فراجمة الى مبرها وله الحمد اولا وآخراً وعوداً وبدأً وانا اقول

الفهرس

صفحة

١	مقدمة المؤلف
٤	باب الكلام في ماهية الحب
١٠	علامات الحب :
١٧	من احب في النوم :
١٨	من احب بالوصف :
٢٠	من احب من نظرة واحدة :
٢٢	من لا يحب الا مع المطاولة :
٢٥	من احب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها :
٢٧	التعريض بالقول :
٢٩	الاشارة بالعين :
٣٠	المراسلة :
٣١	السفير :
٣٣	طبي السر :
٣٦	الاذاعة :
٣٨	ومن اسباب الكشف وجه ثالث :



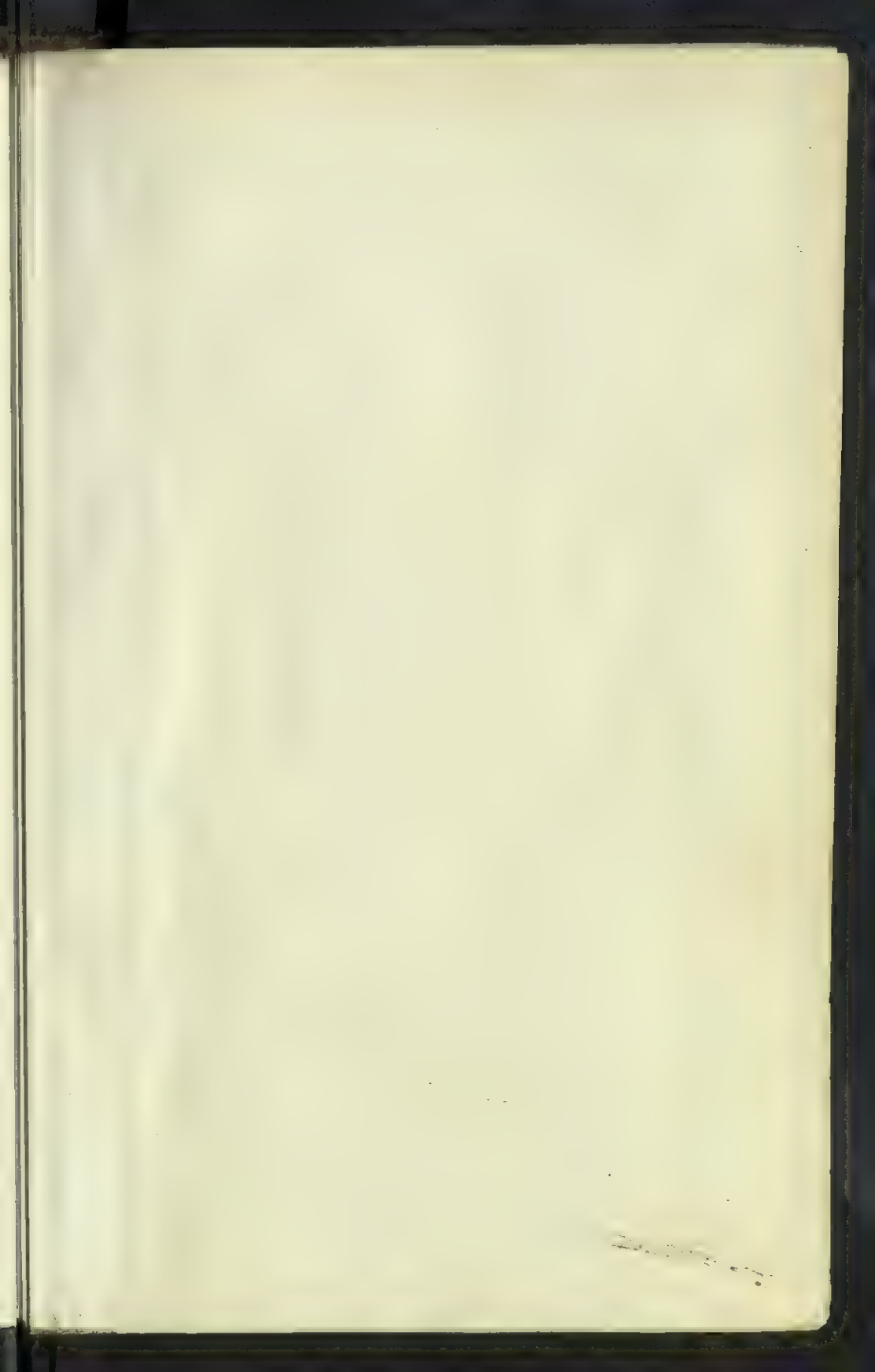
باب الطاعة	٣٩
: المخالفة — باب العاذل	٤٣
: المساعد من الاخوان	٤٤
: الرقيب	٤٧
: الواشي	٥٠
: الوصل	٥٦
: الهجر	٦٣
: الوفاء	٧٤
: البين	٨١
: القنوع	٩٣
: الضنى	١٠١
: السلو	١٠٤
: الموت	١١٥
: قبح المعصية	١٢١
: فضل التعفف	١٤١

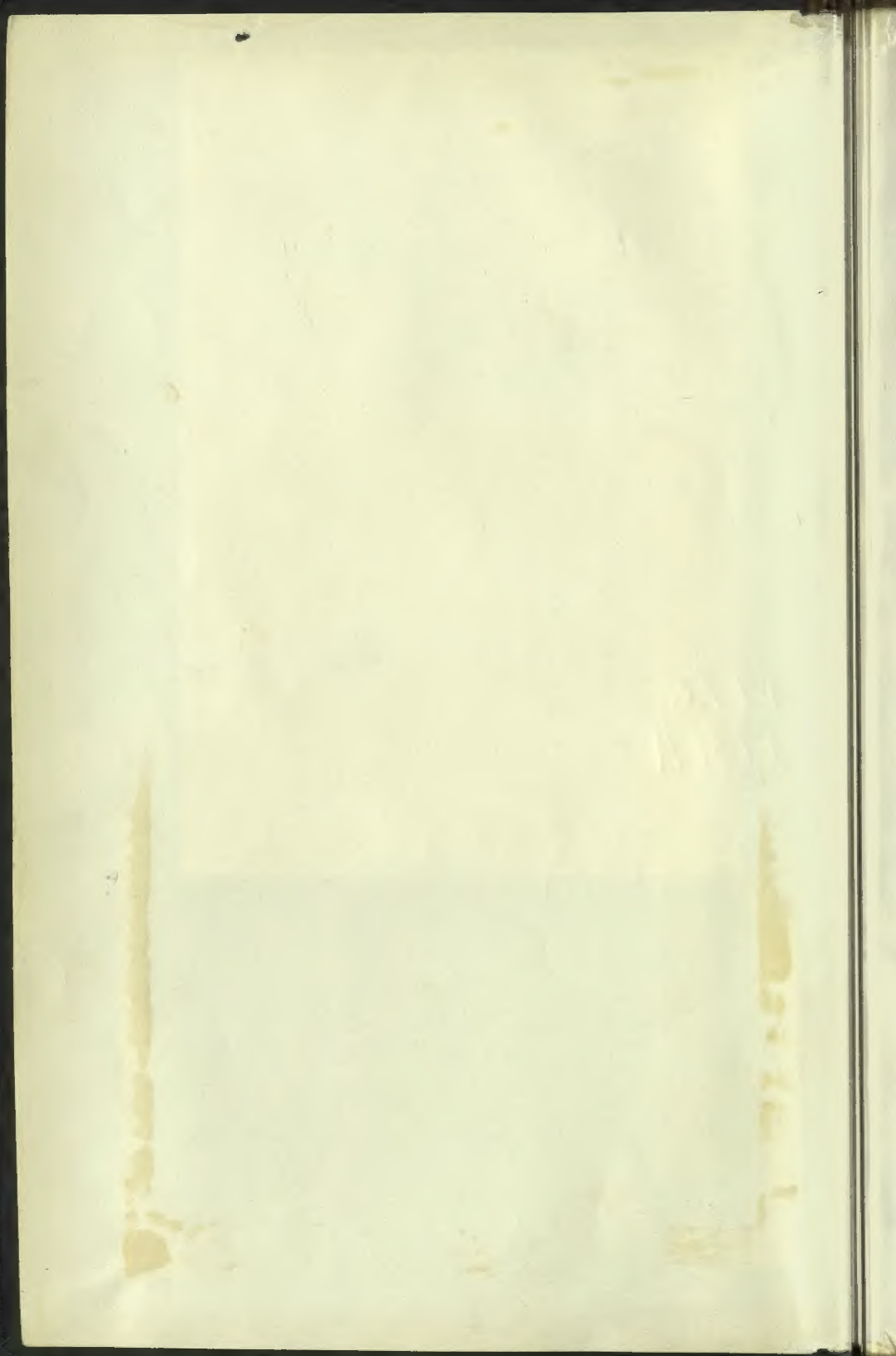
❧ اصلاح الخطأ وبيان الصواب ❧

ص	س	الخطأ	الصواب
١	٢٠	خير	حيره
٥	١١	زوخها	تزوجها
١٦	٨	ابن	بن
٠٠	٢٣	حقر	حقرا
١٨	٨	الى	لي
٢٤	٢٢	سقاط	اسقاط
٢٨	٨	بغض	بعض
٣٠	١	احدهما	احدهما
٣١	١٩	يصبغ	بصبغ
٣٧	١٤	ينصرم	يتصرم
٠٠	٢٠	صفاه	صفاته
٣٩	٤	الا ف	الانف
٤٠	٦	وجفاه	وجفاء
٠٠	٢٠	ابن	ابي
٤١	١٤	عنقها	عتقها
٠٠	٢٠	الري الرد	الري
٤٣	١٤	الفضا	القضا
٤٥	١٥	ويحد	ويحمد
٤٦	٦	ظفرت	ظفرت
٤٨	٢٠	الحوارث	الحوادث

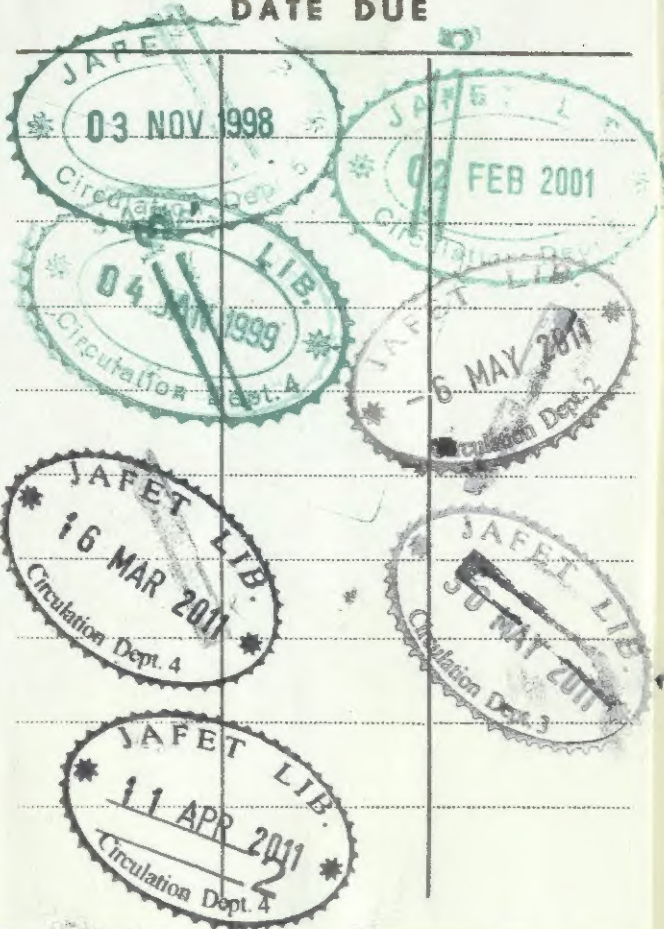








DATE DUE

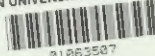


**A.U.B. LIBRARY**

177.6:I13tA:c.1

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد  
طوق الحمامة في الالفه والالاف

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01065507

177.6  
I13tA

**A.U.B. LIBRARY**



